الاستيلاء

فاطمة هامل

@ART_OF_BOOK

https://t.me/art_of_book

المقدمة

لسنا بحاجة لها

مذكرة

عندما بدأت نغمة المطر تتردد في مسامعي، وقطراته تقرع النافذة التي أسترق بواسطتها النظر إلى الناس في الأسفل؛ لم يتوانَ عقلي حينها عن أداء مهمته المعتادة.. تذكيري بما حدث قبل سنتين ونصف من الآن!

عند استرجاع بعض الأحداث، تتثاقل سرعة بديهتي ولا تسعفني للاستيعاب، حين أنظر إلى دوافع الناس من حولي، مهما كانت عظيمة بنظرهم، لا أراها سوى مجرد رغبات هاوية.

على الأرجح، لو رأوا ما رأيت لكانوا أشدَّ جشعًا! لذا، كلما قلَّ عدد البشر العالمين بأمر ما، قلّت الوحشية التي ستُرتكب بحق الكثير من الأشياء!

لا تحتاج إلى أشخاص من بيئتك حتى تشعر بالانتماء لهم ولما حولك، فهناك.. في مكان آخر.. بعيد جدًّا! هناك أشخاص ستنتمي لهم، وهم كذلك، كل ما يمكن وصفه بعد فقدانهم أن الشوق غلّاب.

قبل سنتين ونصف، عندما استيقظت من نوم طويل دام تسعًا وعشرين ساعة، كنت فيها أجوب العديد من الأماكن، ومع أشخاص كثر! أماكن لم أكن أتصورها، ولم أعتقد أني قد أراها بخيالي حتى! كهوف معلقة.. مدن مائية.. معابر.. أشجار ضخمة مرتصة.. مملكة شامخة، شاهقة، ترسو فوق نهر عظيم لا يمكن للمرء أن يعانقه ببصره.. أماكن شاسعة، لياليها مظلمة، لم يعرف النور لها سبيلًا.. قرى صغيرة، بكابينات

معلقة على أشجارٍ يبدو البشر تحتها كالفتات من شدة طولها.. غابات بنحوت غريبة تبث الرعب في قلب من يمر بها.... وأخيرًا، مملكة فوق السماء!

كنت سأعتقد أنه مجرد حلم بعد أن استيقظت، ولكن الوشم أو الختم الموسوم على ساعدي جعلني أصحو من وهم أن كل شيء كان حلمًا!

أفضل ما يقوم به شخص شهد كل هذا هو أن يتكتم على الأمور التي رآها، أو يقوم بما سأقوم به أنا! كتابتها بمذكرة، وإخفائها في مكان آمن، حتى يأتي من ينبش عنها وتقع بين يديه، ليقوم أخيرًا برميها في أقرب حاوية قمامة، من سخافة ما قد يقرؤه في ظنّه! فلا أظن أن عاقلًا سيصدق الحروف التي أمامه، فهي تميل لقصة أطفال خيالية أكثر من قصة قد لامست الواقع يومًا!

@ART_OF_BOOK

قبل سنتين ونصف

رُمي أمامي ملف سيرتي الذاتية فوق مكتب المدير الذي جئت لمقابلته، لن ألعب دور البطل المظلوم، سأقر أني تواقحت في الحديث معه.. لكني لا أتواقح سوى مع من يستحق، كأمثال هذا الحثالة!

عفراء ميرانجي.. سبعٌ وعشرون سنة بلا وظيفة ثابتة، محققة الرقم القياسي لأكثر شخص طُرِد من عمله، بمجموع ثلاثة عشر مرة خلال تسعة أشهر.

أعمل حاليًا في بقّالة تحت شقتي التي لم أدفع إيجارها، وبقيت أتهرب من دفعه منذ شهرين.

عفراء..

سبعٌ وعشرون سنة..

عاطلة، بدوام جزئي..

بدون هدف..

بدون حياة..

أثناء صعودي الدرج لشقتي، قابلت ظلًا أعرفه جيدًا! غيرت من مسار طريقي، ولكنه لمحني قبل أن أفعل، ليصرخ قائلا: عفراء! لقد رأيتك!

التفتُّ بطريقة درامية لصاحب الشقة الذي ظلَّ يقرع باب شقتي، ولكنني كنت على علم مسبق بمواعيد وجوده، فلم أكن آتي إلا أثناء غيابه، وأخرج من المنزل باكرًا؛ كي أتفادى عناء رؤيته.. تقدَّمت ناحيته ببطء ريثما أستجمع برأسي بعض الكذبات الذي كنت قد جهزتها سلفًا في حال قابلته صدفة! قلت بجدية رجل عجوز:

هذا البلد.. لم يعد يصلح للعيش فيه، نحن نعاني من التضخم، ونقص في الأجور، وكبح فرص العمل!

أجاب بطريقة جعلتني أعرف أنه على علم بالمسرحية التي أؤدّيها أمامه:

نعم.. معك حق، أفضل حل هو الهجرة إلى دولة أخرى، ولكن طبعًا بعد أن تسدّدي الديون التي عليك!

بافتُّه بابتسامة وأنا أهز رأسي له بتفهم، وانسللت بمحاذاة الجدار لأصعد إلى الشقة، بينما ظل يصرخ عليّ لتهرّبي الدائم والمعتاد منه واعتذاراتي المتالية، حتى سمعته يقول:

أحدهم يتظرك بالأعلى، أظن أنه ضيف، فلتدعيه يدفع بدلًا عنك!

توقفت لبرهة قبل أن أتابع الصعود إلى الأعلى، لأتساءل عن هوية الشخص الذي ينتظرني هناك، فأنا لا أقارب لي، ولا أذكر أن لي صديقًا قد يزورني! أثناء تفكيري بآخر جزئية ابتسمت نصف ابتسامة تنم عن الخيبة، لإدراكي أنه لا صديق لعلة مثلي.

عند اقترابي، بدأت أخفف من وتيرة صعودي حتى أستطيع استراق النظر إلى الشخص الذي ينتظرني، كان يقابلني بظهره! اقتربت رويدًا رويدًا حتى استدار لمواجهتي! لقد كانت جدتي! آخر الأوراق التي تبقت في شجرة العائلة. سررت برؤيتها، فاندفعت أحضنها بقوة شديدة لأرفعها عن الأرض، بينما تقوم بالضرب بعكازها بخفة لأضعها أرضًا.. فتحت باب الشقة وأنا أحمل حقيبتها المتوسطة الحجم وأرحب بها في منزلي المتواضع...

تذكرت أن منزلي المتواضع جدًّا في حالة مزرية ومقززة، لذا، قمت بدفع الجدة للخارج، وأغلقت في وجهها الباب، ورحت أركض بأرجاء المنزل، أنظفه وأزيل القاذورات عنه، أريكني قرعها المتتابع على الباب، وصراخها الذي جعلني أشعر بأن الجيران قد بدؤوا يتجمعون على إثره! رششت بعضًا من البخاخ المعطر، وفتحت الباب لأدخلها مجددًا، لكنها رفعت عكازتها وهوت بها بقوة على رأسي حتى جعلتني أركع من شدة الألم!

لم يكن بذلك الحسن، ولكنها دخلت واستقرت على الأريكة تمدد قدميها أمامها وتدلكهما، جلست بجانبها وأنا أفرك على رأسي.

جاءت الجدة من القرية إلى المدينة لزيارتي ومفاجأتي، نحن نتبادل الرسائل بانتظام، وبكل رسالة كانت تخبرني بأنها تنوي زيارتي، باستثناء آخر رسالتين منها، يبدو أنها كانت تخطط للأمر وقتها.

https://t.me/art_of_book

هي بعمر الثمانين، ولكنها نشيطة للغاية، لو قمنا بإجراء سباق عدوٍ فأنا كلي ثقة بأنها ستفوز! لم تجلس كثيرًا حتى بدأت تجول أرجاء المنزل لتدخل المبطخ وتثبت حضورها به، قامت بإعداد العشاء.. كنا نتسامر على الطاولة بدون ملل ولا كلل، أستمع لقصصها وجديدها.. جدتي روائية ممتازة، كانت تكتب منذ شبابها الكثير من الروايات، ولم يكن يقرؤها أحد غيري، لقد كانت تكتبها لتحتفظ بها لنفسها، ولكنها لاحقًا أصحبت تكتبها لأقرأها، كنت أراهن عليها دومًا بأنها كانت ستجني ثروة طائلة لو قامت بنشر كتاباتها.

بعد انتهائنا من تناول العشاء، نهضت عن المأدبة وقالت أثناء ذهابها للغرفة: عفراء، تعالي إلي عندما تنتهين، أريدك أن تري شيئًا قبل أن تنامي.

همهمت لها بالموافقة.. لم يطل الوقت كثيرًا حتى قرعت الباب فأذنت لي بالدخول عليها، عندما فتحت الباب.. كانت جالسة بمنتصف السرير تربع قدميها، وأمامها كتاب كبير غلافه من الكرتون، مغطى بجلد بني يميل إلى السواد بسبب قدمه، عرفت مباشرة أنه أحد الكتب التي تحتوي على حروف قامت بخطها، فكتب الجدة تتشابه في الأغلفة، ركضت نحو سريرها وقفزت عليه مربعة أقدامي مثلها تمامًا، أنظر إلى الكتاب بشغف، فلا قصص تجذبني كالقصص التي تكتبها، قربت يديَّ من الكتاب أحمله وأتفحص العنوان الذي نقشته بسكين على الغلاف الجلدي، حاولت أن أقرأه ولكنني واجهت صعوبة في ذلك بسبب النور الخافت بالغرفة،

نهضت وقامت بتشغيل فانوس كان بقربها، حينها استطعت أن أقرأ عنوانه! كان بعنوان "الاستيلاء"

بقيت أحدق بالعنوان لفترة، أحاول أن أتنبأ بالقصة، ثم قلت:

الاستيلاء؟ أهو استيلاء على الحكم؟ أم...

قاطعتني قائلة:

ليس على الحكم وحسب، بل على كل شيء!

لم أجبها، وبدأت أقلب صفحاته دون أن أقرأها، ثم أردفت الجدة قائلة:

هذه مجرد مسودة، تنقصها بعض المعلومات، لا زلت أكتبها.

https://t.me/art_of_

بالنسبة لي، أتابع بنهم كل ما تقصه وتكتبه جدتي، لذلك لم يكن مهمًا لي إن كانت قد أكملت كتابته أم لا، سأكتفي بقراءة ما كتبت ريثما تستأنف البقية.

حملت الكتاب وأجبت:

لا يهم، فأنا لن أنهيه من جلسة واحدة! سأقرأ ما كتبتِ ريثما تنهين الباقي.

ابتسمت، ولكن هذه المرة لم تكن الابتسامة نفسها التي عهدتها منها، لقد كانت مأساوية نوعًا ما! أمسكت بيدها وأنا أربت على أصابعها برفق، وهززت لها رأسي بتساؤل، لكنها أشاحت بنظرها عني وبقيت

تحدق أرضًا وكأنها تفكر، لم أقاطعها وتركتها تفكر بهدوء، بقيت لفترة ليست بالقصيرة على حالتها هذه، حتى تنهدتْ بعمق مغمضة عينيها، ثم نظرت إلي تخبرني:

لا أعتقد بأني سأنهي كتابة هذه القصة، فأنا أظن أن أسوأ شيء قد يواجه الكاتب هو خروج الشخصيات عن سيطرته!

أعربت عن استغرابي من كلامها، ففسرت لي: ما رأيك أن تكتبي النهاية المناسبة؟

ضحكت باستهتار وقلت: أنا؟ أكتب؟!

لم تجب، واكتفت برمقي بنظرات جادة بينما لم أرد عليها، أخذت الكتاب وذهبت، وقبل أن أغلق الباب أضفت: سأرى أحداثها وأخبرك بما هو مناسب لتكتبي النهاية.

ثم غمزت وأرسلت لها قبلة طائرة؛ لمعرفتي المسبقة بأنها لا تحب هذه الحركات، خلقت على وجهها ملامح من تمَّ استفزازه ضامةً شفتيها بتحزز، غادرت وأصوات ضحكي تتردد بالمكان.

هرولت على أطراف أصابعي لغرفتي، وأغلقت الباب ورائي، وجلست على مكتبي، ثم أشعلت المصباح على أضعف درجة، أنا لا أحب الأنوار، فكلما كان المكان مظلمًا زاد تركيزي، فتحت الكتاب ذا الأوراق الصفراء المقواة، لم تكن به أية مقدمة كما هو معتاد من الجدة! خطها منمق جدًا، بدأت بقراءة الأحداث مباشرة.

لم أشعر بالوقت! قرأت لثلاث ساعات متواصلة دون انقطاع، قرأت الكثير من كتاباتها، ولكن لم تشدّني أيّ منها كما فعل هذا الكتاب! لن أوفيه حقه لو وصفته بأنه مشوق وممتع! هناك الكثير من الأسئلة التي أود أن أطرحها على جدتي بمجرد أن تستيقظ غدًا.

بدأ النوم يداهم جفني، فأنا مستيقظة منذ ثلاثة أيام بسبب الأرق، ولم أستطع إكمال القراءة، ونمت على مكتبي.

في اليوم التالي، استيقظت مبكرًا بسبب عملي في البقالة، كنت قد نمت لمدة لا تزيد على ثلاث ساعات، وهذه هي طبيعة نومي، قصير ومتأخر.

مررت من البهو حتى وقفت عند باب الجدة، فتحته ببطء وهدوء ثم أدخلت رأسي وكأنني لص.. لقد كانت نائمة، أرجح أنها ستتأخر بنومها بسبب وعثاء السفر.

تجهزت ونزلت إلى البقالة، لم أستطع التركيز بعملي طوال اليوم، فقد بقيت أحداث الكتاب تشغل بالي والعديد من الأسئلة تطوف فوق رأسي.. كانت القصة مميزة وشاملة جدًا لكثير من الأشياء، جعلتني أصدم بأن رأس جدتي يحتوي على هذا الكم الهائل من المعلومات والخيال الخصب! لكن بما أنها مسودة فهناك أمور ناقصة.

أترقب الوقت على أحر من الجمر، وأحسب بأصابعي كم تبقى حتى ينتهي دوامي، وبعد ساعات.. انتهيت.

https://t.me/art_of_book

عدت أركض للمنزل وأصعد الدرج بسرعة فائقة، حتى إنني قابلت صاحب الشقة، ولكنني تجاهلته بدون تقديم أي اعتذارات كما عهد مني، دخلت للمنزل وكانت الجدة تجلس على الأريكة وهي تمرس على قدميها كالعادة، تقدمت بخطوات تشبه الضب، واستقررت عند ركبتيها جاثية، وقلت بدون أي مقدمات وأنا أضع سبابتي على رأسي:

هنا بحر من الأسئلة، وأريد له كل الأجوبة الممكنة لو سمحتِ!

ضحكت وهي تشيح بيدها ثم نظرت إلي وكأنها تمنحني الإذن للبدء وطرح الأسئلة، ثم بدأت:

لمَ شفرتِ اسم البطلة؟ لقد كان عبارة عن نجوم ولا اسم لها!

بدا أنها تفكر مليًا بالسؤال، ثم قالت وكأنها ترمي الإجابة بوجهي:

اسم البطلة هو عفراء.

- جميل... مهلًا! ماذا؟

ضحكت وهي تطلب مني الانتقال للسؤال الذي يليه، بقيت ابتسم ويداخلي موجة من السعادة، فلقد أعجبت بالبطلة في بادئ الأمر، وسيكون من الرائع أن تتشابه بالأسماء، فكرت ثم أضفت:

التاريخ المستخدم بالقصة هو الإيفرو، ما الذي يعنيه هذا؟

لم تجب واكتفت بسؤالي إن كنت قد انهيت الكتاب أم لا، فأخبرتها بأنه لم يتبقَّ لي الكثير، فأخبرتني بأن سبب التاريخ مذكور بالكتاب.

- السؤال التالي! هناك شخصية اسمها بياتريس، هل تنوي الانقلاب على عفراء؟ فأنا لم أرتح لظهورها، ولا أنتِ التي قمتِ بوصفها كما يجب لأستطيع أخذ لمحة عن نواياها. حاولت التملص من الإجابة كي تمتنع عن حرق الأحداث، وقالت بدهاء:

لا أعرف، ربما نعم، وربما لا!

استغنيت عن فكرة طرح بقية الأسئلة بما أنها تتهرب من الإجابات بهذه الطريقة، لذا قمت من مكاني وأخبرتها بأني سأكمل القراءة، وغالبًا سيتم ذلك الليلة، فلتتجهز لأسئلتي! قبل ذهابي أمسكت بي من يدي وسحبتني لأجلس على الأرض بقوة، وبدأت تمعن النظر بوجهي وهي تلمس خدَّيّ، لم أعلق على هذا، زفرَت زفرة طويلة وهي تقول:

لمَ هناك حبٌّ متناثر على وجهك؟ تبدو آثارًا من حساسية ما!

بدأت أتحسس وجهي، وقد كانت محقة، أشعر ببعض البثور على خدَّيَّ، أعرف ما سبب هذه الحبوب ولكني لن أخبرها! إنها ناتجة عن الورق الأصفر المقوى الذي تكتب عليه.

سألتها من قبل عن مصدر هذه الأوراق التي تكتب عليها وعرفت أنها تشتريها من عجوز صاحب مكتبة قديمة في القرية، وبثمن بخس.

نهضت من مكانها وأخذتني معها إلى المطبخ، وبدأت تخرج بعض الأعشاب من الخزانة، ثم ذهبت لغرفتها، وعادت وهي تحمل معها كيسًا قماشيًا، لم أعرف ما تلك المادة التي أخرجتها منه، وبدأت تخلط كل

الأشياء التي جمعتها بإناء واحد حتى أصبحت متجانسة، قرَّبت الوعاء من أنفي وكدت أختنق من الرائحة لدرجة أن توازني اختلّ! تكلمت قائلة:

هذا قناع مفيد للبشرة، ضعيه على وجهك قبل أن تنامي واتركيه لمدة ربع ساعة، ثم قومي بشطفه بماء فاتر. بقيت أحدق بها تارة وبالوعاء تارة أخرى بإشمئزاز، ورفعت إصبعي السبابة، أحركه بدلالة أني أرفض وضع هذا الشيء على وجهي، تبدَّلت ملامحها للغضب وكانت في طريقها لجلب عكازها حتى تضربني به، ولكني تراجعت في آخر لحظة ووافقت على الفور!

الساعة 12 بعد منتصف الليل

دخلت إلى الغرفة أحمل الإناء بيدي وأنا أعصر على أنفي من قوة الرائحة، وضعته فوق المكتب ريثما أنهي قراءة كتاب جدتي ثم أقوم بمسح القناع عن وجهي قبل أن أنام.

الساعة 01:30 بعد منتصف الليل

أنهيت قراءة الكتاب ذي الأحداث غير المكتملة، كفكفت دموعي واضعة وجهي في حضن كفي.. عرفت لماذا أسمت البطلة عفراء.. لأنها ستموت على يد أخيها الأصغر الذي يسعى للحكم! الجدة العجوز اللعينة!

كان يجب أن أشك في مصداقيتها منذ أن جعلت من اسمي اسمًا للبطلة كذلك، لأن المصير السيئ كان بانتظاري!

لي عادة.. كلما أنهيت بكائي اتجه للمرآة وأنظر لملامحي، فهي تبدو جذابة بعد البكاء، رفعت رأسي للمرآة ولكني صدمت من وجهي! إنه مليء بالحبوب المبعثرة بأرجائه! وهذا راجع لحساسيتي من الورق الأصفر المقوى! ملامحي معدومة ولا يمكنني الخروج من غرفتي ومقابلة العالم بهذه الخلقة.

ركضت مباشرة للإناء الذي أعدته لي سابقا وبدأت بمسح محتوياته على وجهي لعله يفيدني، ثم تمددت على السرير. لم تمر دقيقة حتى بدأ يلسع جلدي ويحرقه.. كانت جدتي قد أخبرتني مسبقًا بأنه سيلسعني لذا يجب علي التحلي بالصبر، لأن ذلك يعني أنه قد بدأ مفعوله.

https://t.me/art_of_book

لقد كان يلسع.. يلسع بقوة! بدأت أحرك يديَّ على وجهي أحاول أن ألطّف الهواء ولكن بلا فائدة، أحضرت الكتاب وأمسكته من حافته الخلفية وبدأت أبرّد به على وجهي قليلًا من الاحتراق الذي يسلع جلدي وكأن جيشا من النحل يقرصني، بدأ وجهي يبرد شيئًا فشيئًا، وأنا مستمرة بالتلويح بالكتاب على وجهي، وصفحاته تصدر صوت أوراق تتحرك بقوة أمام عيني.

فجأة!

حصل أمر غريب!

أوراق الكتاب بدأت تتوهج مصدرة ضوءًا أزرق منبعثًا من

بين طيات الصفحات، خفت وتوقفت عما أفعله! ثم بدأ وعيي يتلاشى رويدًا رويدًا حتى... فقدت الوعي تمامًا!

@ART_OF_BOOK

مملكة أورورا

عفراء.. فلتستيقظي!

أجبت:

اللعنة على مساحيقك وقناع الوجه يا جدتي!

قلتها وأنا أفرك عينيَّ بتعب، فتحتهما.. نظرت وكان نظري ضبابيًّا وبالكاد تعرفت إلى وجه جدتي.. ثم.. ابتعدت بسرعة شديدة وأنا أنظر إلى وجه المرأة بجانبي والمكان الذي أنا به! سألت:

أين أنا؟ ومن أنتِ؟

بقيت تحملق فيَّ ببلاهة وهي قاطبة لحاجبيها قبل أن تجيب:

أنا.. أدا!

بدأت أستذكر الاسم، هذا مألوف! أهي أحد المدراء الذين قاموا بطردي سابقًا؟ لا هذه جارتي! مهلًا.. لا أعرف أسماء جيراني حتى! من هذه؟

بدأت أحك رأسي وأنا أنظر حولي..! أين أنا؟

هذه الغرفة.. هذه ليست شقتي!

المكان شاسع على مد البصر، لا أكاد أصدّق أن هذه مجرد غرفة! لم أنبس ببنت شفة وبقيت أحاول أن أفهم أين أنا وكيف وصلت إلى هنا، آخر ما أذكره هو...

ما آخر ما أذكره؟

القناع.. الوهج الصادر من الكتاب!

هذا آخر ما يتوارد لذهني، أدا! هذا الاسم، بدأت أتذكره لتوي.. هذه مساعدتي! أقصد مساعدة عفراء بقصة جدتي.

بدأت تتضح لي الأمور، أعتقد أني.. دخلت لعالم القصة التي كنت أقرأها!

شردت لبرهة قبل أن أضحك بهستيرية شديدة من شدة السعادة.. أخيرا! فطمتني الحياة من المعاناة، اعتقدت أن هذا يحدث في الأفلام فقط! نهضت من السرير الكبير الذي كنت متمددة عليه وبدأت أجول في الأرجاء، نظرت إلى وجه أدا.. لم يكن كما تخيلته إطلاقًا! فتشت بنظري في الغرفة على مرآة لأرى كيف أبدو.

شعرت بخيبة أمل شديدة عندما رأيت انعكاسي بالمرآة فوجهي لم يتغير.

تقدّمت أدا نحوي ببطء وهي تقول:

ما الأمر يا عفراء؟ هل أنتِ بخير؟

– إني بخير كما لم أكن من قبل! هيا لنتجول في المكان.

خرجنا من الغرفة، لقد كان القصر.. لا ليس قصرًا.. بل حيًّا بأكمله! كبيرًا بشكل مهول وكأنه لا ينتهي، منيف، أعلاه الكثير من الفوانيس المعلقة بسيقان أشجار لينة، منها الغليظ ومنها الرقيق، في الأرجاء سلالم متعددة، كل منها يؤدي إلى مكان لا يشبه الآخر، بالجدران ثقوب غائرة، استدعتني الحاجة والفضول للوقوف ومعرفة ما الذي يوجد بها، أدا بتساؤل:

عفراء! ما الأمر؟

رفعت إصبعي لها بأمر أن تهدأ بينما أنا أركز بتلك الثقوب حتى خرج منها.. ما يشبه الإنسان، لكنه بحجم كف اليد الكبيرة، وله جناحان، وآذان طويلة.. شهقت صارخة:

أووووه، لقد تعرفت إليه! هذه جنيات الإيلفو! لقد وصفتها الجدة بكتابها.

شعرت بنظرات أدا المستغربة تخترق جسدي، استدرت ناحيتها، وكانت عيناها جاحظتين من تصرفاتي.. تنحنحت قليلًا معتذرةً، ثم قلت:

أدا، أشعر ببعض التعب، ما رأيك بتعريفي بكل شيء هنا وكأني ضيفة جاءت لهذا المكان لأول مرة؟

لم تجب واكتفت بهزّ رأسها بالإيجاب، استمررنا بالنزول من ذلك الدرج الذي لا ينتهي، لم أستطع التحمل فجلست أتنهد والعطش يحرق حلقي.. خاصة وأني اعتدت على ارتداء السراويل الرياضية، ولكني أجد نفسي الآن أرتدي فستانًا يشبه قن نعامة، وبالكاد أتحمل ثقله.

قلت بصعوبة بالغة موجهة حديثي لأدا:

تعبت من النزول، متى ينتهي هذا؟

أجابت وعلى وجهها تلك الملامح التي تجعلني أدرك بأنها ستعرف قريبا أني شخص غريب عنها:

ألستِ أنتِ من يطلب النزول من الدرج دومًا؟

– عزيزتي أدا، أخبرتك أني أشعر بالتعب اليوم.. من شدة إرهاقي لم أعد أعرف نفسي حتى، لذا سيكون من الجيد لو تعرفينني عن نفسي من وقت لآخر.

هزّت رأسها بتفهم ثم قامت بالتصفير، استغربت فعلها ولكني لم أعلق عليه، على الرغم من قراءتي للقصة فأنا أعرف عن عفراء التي أنا أتقمصها الآن القليل.. أعرف أنها قتلت كذلك على يد...

مهلًا!

قتلت! هل هذا يعني أني سأموت؟!

لم أجد وقتًا للصدمة حتى بدأ صفير قوي بالأرجاء، رفعت رأسي لأجد طائرًا يشبه النسر ولكن حجمه أضعاف مضاعفة! من شدة الخوف الذي تملكني لم أستطع أن ألوذ بالفرار حتى، اكتفيت بالسماح لدموعي بالنزول وحسب.

اقترب هذا الشيء منا، ولكن أدا لم تكن خائفة منه مطلقًا، حتى استقر أمامنا وامتطته ومدّت بيدها إليّ، فهمت ما يحصل وحاولت ألا أظهر صدمتي قدر الإمكان، وامتطيته بدوري.

حلّق بنا في الجو، وكان هذا دليلًا على مدى شساعة القصر الذي أنا به، نزل بنا إلى لأسفل بسرعة.. لم أشعر به بسبب استغراقي في التفكير في أخي الذي سيقتلني بسبب طمعه في الحكم! هذا ما حصل في القصة التي قرأتها.

هزّت أدا كتفي برفق لأنتبه وأنزل عن هذا المخلوق.

نظرت حولي، كان هناك حشد غفير من الخدم، والطاولة التي ينظمون عليها مأدبة الإفطار تبدو كممر طويل أكثر من كونها طاولة، الكراسي مصطفة بانتظام، بين كل كرسي وكرسي مسافة المتر والنصف تقريبًا.

شعرت بيد شخص تمسكني من كتفي وتقربني نحوه، انزعجت نوعًا ما من الحركة لأستدير بطريقة عدائية، كان رجلًا بقمة الوسامة يضع ذراعه حول رقبتي، انقلبت ملامح وجهي العادية مباشرة إلى ملامح ودودة، شعرت حنيها أني محض حملٍ وديع، لم أشح بنظري عنه، إنه متميز بعيون زرقاء وشعر أصفر ناعم قام بمشطه للخلف، مع أني لا أحب الأشخاص ذوي الشعر الأصفر، بحركة خاطفة غمزت لأدا بمعنى من هذا؟ تداركت الوضع قائلة ببلاهة:

صباح الخير سيد آرثر.

صعقت! آرثر؟ أليس هذا أخي الذي سيقتلني بالقصة؟ يا للحسرة! هذا الجمال بأكمله يقبع تحت مسمى أخي!

آرثر بابتسامة:

صباح الخير أدا. نظر ناحيتي ثم أضاف: صباح الخير عفراء.

قالها بطريقة تجعلني أكاد أصدق بأن نهايتي لن تكون على يده! بادلته الابتسام وأزحت يده عن رقبتي وتقدمت نحو طاولة الإفطار، إن كنت سأسترجع الأحداث في القصة، آرثر شقيقي الأصغر من أم مختلفة، وحسب سرد الجدة فهو سيقتلها لأجل الاستيلاء على الحكم.. وبما أني على قيد الحياة! فيعني أنه لا زال هناك وقت لتنفيذ خطته عليّ، وكل ما

يجب معرفته هو في أي يوم نحن أو في أي حدث مرَّ علي بالقصة.. النهاية مفتوحة، فالجدة لم تكمل كتابتها، انتهت بموتي!

فجأة تذكرت حديث جدتي معي:

ما رأيك أن تكتبي النهاية المناسبة؟

إن سنحت لي الفرصة، فأنا سأفعل بالطبع، ولن أمانع البقاء هنا بهذا العالم، لا أظن أني أريد الرجوع إلى حياتي الطبيعية.

تذكرت أيضًا أحد الشخصيات التي قرأت عنها وسألت الجدة عنها، بياتريس! أريد مقابلتها.

قمت أولًا بسؤال أدا عنها، وعن شخصيتها، وكيف تبدو من خلال طباعها.

بالفعل كما توقعت، لم تُجد الجدة وصفها بقصتها، لذا فهي غامضة حتى عن الشخصيات الأخرى.

بدأت الطاولة تمتلئ شيئًا فشيئًا بينما كنت بموقف لا أحسد عليه، كل من يكلمني أكتفي بالابتسام ناحيته بدون كلمة، فأنا لا أعرف أسماء الجالسين معي، ولكن الأمر الإيجابي الوحيد أني أقابل أجمل النساء والرجال الذين قد تراهم عيناي يومًا!

كان الجو شبه صاخب، والجميع يتبادل أطراف الحديث أثناء الأكل، ثم تكلّم أحد الجلوس:

سنجتمع في الغد لأجل إقامة حفل ضخم بمناسبة دخولنا عام إيفرو جديد!

عام الإيفرو، التاريخ الذي يعتمدونه بهذا المكان، إنه على هذا المسمى بسبب أول ملكة لمملكة أورورا، والمدعوة بإيفروناس، ذلك قبل 411 سنة مضت.

تكلّم آرثر:

أليس من المبكر قليلا أن نجتمع غدًا لأجل هذا يا إلمار؟ فالسنة الجديدة بعد ثمانية أيام!

فكرت بكلامه قليلًا أحاول أن أسترجع بعضًا من تفاصيل الكتاب، لقد تذكرت! عام الإيفرو الذي تمَّ الاحتفال به هو 412، وهو نفس اليوم الذي تمَّ اغتيالي فيه.. إذن، لم يتبقَّ لي سوى ثمانية أيام! ولا أعرف، هل سأعود لو متُّ هنا أم سأموت تمامًا؟

بعد تفكير طويل تدخَّلت بالحديث:

فلنقم الاجتماع غدًا.

ثمَّ نهضت من الطاولة، تكلَّم صوت أنثوي خلفي:

مهلًا يا حضرة الأميرة.. ما سبب الاستعجال؟

لم تعجبني هذه اللكنة مطلقًا، فقد لمست فيها نوعًا من التحدي، استدرت بقوة أبحث عن المتكلم، ولكن الحشد كثيرون.. تدخَّلت أدا هامسة بأذني، تخبرني بأن المتكلم هي بياتريس.

شعرت بنوع من الحماس، فهمست لها بدوري أن تشير لي بإصبعها نحوها، فلا زلت لا أعرف أيهم هي. لم يحتج الأمر أن تشير إليها فلقد وقفت عن كرسيها وهي تنظر إلي بثقة.

نظرت مليًّا إليها. ذهلت! إنها بغاية الجمال، أنا أحب الأشخاص الجميلين لذا لا أتكلم بحضرتهم ولا أحاسبهم على أفعالهم، لا أعرف ما معنى هذا؟ أهو ضعف شخصية مني أم لا؟

اكتفيت بالنظر إليها لبرهة، وابتسمتُ بتكلّف، وقلت:

ما الأمر عزيزتي بيا، هل هناك ما يزعجك؟

- بيا؟

- ألا يروقك أن أخاطبك هكذا؟

لم تجب، ابتسمت ثم رحلت.

خرجت وأدا متجهين للخارج، متجاوزين الباب الكبير ذا العشرة أمتار، لا زلت لا أفهم سبب كبر حجمه.

خرجنا، وكان الخارج مختلفًا تمامًا! السماء هنا مختلفة عن سمائنا، إنها خضراء مصفرة لكن بلون باهت ولمّاع في آن واحد! عند تركيزي وتوجيه بصري أمامي.. عرفت أن هذا القصر ضخم، ويسبح فوق نهر عظيم!

بالتفكير بواقع الأمر، هذا المكان برمّته هو مجرد خيال رسمته الجدة.

ولا زالت هناك قارات لم أرها بعد، فلقد قامت بوصفها فقط قبل أن تتوقف عن الكتابة، لذا هناك الكثير مما سيبهرني رؤيته قريبًا!

بدأت أحرك أنظاري بكل مكان، كان على يميني ما يشبه القلعة التي ليست كبيرة ولا ضئيلة.. يخرج من شقوقها السفلية نوع من النبات البنفسجي، رحيقه أصفر، تبدو لمن يراها من مسافة بعيدة كأنه يطفو على ورق النبات، جذوع ملتوية على شكل زخارف ترتفع إلى الأعلى وكأنها قد سُحبت حتى يتم تنسيقها على شكل امرأة من الشجر.. كان التصميم مبهرًا فعلًا للدرجة أنه جعلني أتوهّم بأن هذه الجذوع امرأة فعلًا وهي تتحرك الآن.

نظرت..

إني لا أتوهم! هذه الجذوع تتحرك!

أمسكت بذراع أدا أقربها مني، وقلت بفزع أحاول إخفاءه:

ما هذا الكائن؟!

أمسكت بيدي مجيبة بتوجس:

هذه "بيرل"، أيعقل أنك لم تتعرفي إليها؟

بقيت أبدل أنظاري بسرعة بين أدا وهذه الشجرة التي تشبه المرأة وترتدي على رأسها طوقًا من ورد أبيض محاولة التمسك بموقف دفاعي، ثم.. بدأت كومة الجذوع هذه أو ما تسمى بـ"بيرل" بالاقتراب منّا! ولا جديد يذكر. بدأت سيقاني تهتز من تحت الفستان وكأني أقوم برقصة تانغو، أصابعي بدأت تتجمد من الخوف، وجسمي يثقُل، وأطرافي تتدلى، ورأسي ارتخى للأسفل بسبب مزيج الدهشة والخوف الذي اعتراني، اقتربَت كثيرًا ثمَّ انحنت أمامي أنا وأدا قائلة:

طاب يومك.. سموَّ الأميرة.

ابتلعت ريقي بشق الأنفس، لأجيب بتلعثم:

أسعدتني.. رؤيتك.. بـ.. بـ.. بيرل!

رفعت كومة الجذوع هذه رأسها، تنظر بدهشة قبل أن تبتسم برفق، وأبادلها ابتسامة غصبتها على ثغري.

أشحت بنظري عنها بسرعة، وأخبرت أدا بأن نستمر بالتجوال قليلًا، فأنا بداخلي أريد أن أتعرف على المكان، وافقت أدا، وبدأنا بأول خطواتنا قبل أن تقاطعنا هذه الشجرة المدعوة بيرل وهي تضع كف يدها الهائل قاطعة به طريقنا، لم أتحدث وبقيت أنتظر منها أن تفعل، ثم بسطت يدها لنا، فهمتُ مباشرة.. صعدت أدا أولًا لتمد لي بيدها هي الأخرى وتساعدني على الصعود.

كان كف يد بيرل كالعشب الخفيف، لذا جلست على أطراف أصابعها لأتمكن من رؤية المكان بشكل أفضل، وقفت بنا وقد كانت طويلة للغاية، لم أرَ سوى الأرض من تحتي وهي تبتعد عني! بل أنا التي كنت أرتفع عنها.

بدأ هدير الرياح يخترق أذني لأقوم بتغطيتهما بيدي، لكن بيرل قامت بعكف كفها ورفع سبابتها وإبهامها وضمهما مع بعض، فألقت علينا بظلها وصدّت عنا الريح، كانت تبتسم.. فعلت أيضًا، بالنظر عن كثب فهي ليست مرعبة كما تبدو.

الجميع بالأسفل يبدون كالحشرات لضآلة أحجامهم، تمكنت من رؤية المكان من ارتفاع وزاوية أفضل.. عندما رأيت بيرل لأول وهلة اعتقدت أنها مجرد شجرة ضخمة وأردت أن أذهب وأتقصى ما يوجد خلفها، والآن أستطيع أن أرى ما الذي كانت تغطيه.. قبة زجاجية دائرية

كبيرة، تخترقها أشعة الشمس، وتنعكس على زجاجها فلا يتمكن أحد من رؤية ما فيها من الأعلى، سألت أدا عنها.. أخبرتني بأنها مسكن مخلوقات "اللو"، حاولت تذكر ما هي اللو..

ولكن بؤت بالفشل، لاحظت ارتباكي فوضعت كفها على رأسها تحركه بخيبة أمل، ثم قالت:

هل هناك خطب ما؟ فأنتِ لست بخير منذ البارحة!

صمتُّ قليلًا قبل أن أجيب:

ما الذي حصل البارحة؟

بدأت أدا تقص علي ما حدث.. كنا نتمشى بوقت متأخر من الليل على أحد الدروب خلف القصر، سرعان ما بدأ وعيي يتلاشى تدريجيًّا ثم.. سقطت مغشيًّا علي ومنذ إستيقاظي وأنا أتصرف بشكل غير معتاد!

فكرت، أأخبرها بالحقيقة أم لا؟ ولكن تبادر لذهني عواقب حديثي عن الأمر، ربما تسخر مني حتى!

مع ذلك أقدمت على الأمر، وأخبرتها بأني لست عفراء التي تعتقدها، وأني جئت من مكان آخر، ولا أعرف السبيل إلى العودة، وحتى لو عرفته فأنا لا أريد العودة!

استمرت بالتحديق بي بينما بيرل تتحرك ببطء تجول بنا المكان، لم أتكلم، فغالبًا أنا ألمس بعينيها نوعًا من الحزن على حالي.. ابتسمت ابتسامة خافتة تدريجيًا، أحزنني الأمر لأقول لها:

أنتِ لا تصدقين.. أليس كذلك؟

هنا تكلمت بيرل متدخلة بعد أن عرفت أنها استمعت لكل كلمة قلتها لأدا:

أعتقد بأنَّ أدا تُصدِّق سمُوَّها.

أدا موجهة حديثها لبيرل وعيناها صوبي:

نعم.. لأن عفراء لا تكذب عليَّ أبدا!

ماذا؟ أهذا فقط؟ لقد كان الأمر سريعًا! تنفست الصعداء بعد أن كنت أنوي العدول عن كلامي الذي قلته، لكن كانت هناك معضلة صغيرة، وهي أنها تريد عفراء التي تعرفها وليست أنا.

لم يعجبني هذا التعليق، لذا تذكَّرت صاحب الشقة الذي أنا مدينة له بإيجار شهرين، كنت أهرب من قبضته في كل مرة بإستخدام جمل فلسفية تجعله يقف واقفًا يفكر بمعناها ريثما أنسل وأهرب منه، لذا تبادر لذهني تجربة الحيلة ذاتها على أدا.. بعد تفكير قلت:

اسمعي يا أدا.. أتفهم مشاعرك نحو سيدتك الحقيقية، ولكن فلتعلمي! أنه لا وجود لعفراء بدون عفراء وأني أنا عفراء، وعفراء هي أنا!

نفس الملامح التي تعلو وجه صاحب الشقة تمامًا، هذا ما أريد التوصل إليه.. ضحكت بيرل بينما بقيت أتأمل الأسفل.

كانت هناك أشجار بنفسجية، وأخرى زرقاء، يخرج من أسفلها أقزام.. تعرفت عليهم من الوصف الذي قرأته سابقًا.

على يميني كانت هناك غيمة فوقي! ينهمر منها ماء كشلال، يبدو أن النهر الذي يعوم فوقه هذا القصر مصدر مائه هو هذا الشلال، رفعت بيرل يدها إلى الأعلى أكثر؛ لأتمكن من رؤية أكثر من شلال، تنهمر المياه منها وكأنها تجري في سباق، فتحت ثغري من الصدمة، اخترقت تلك المياه العديد من النسور مسرعة تضم أجنحتها لها مغطية رؤوسها، وتدور حول نفسها مشكلة زوابع في الجو، سألت عن هذه النسور، لتجيب أدا:

هذه ليست نسورًا! هذه طيور العنقاء العظيمة.

اعترتني قشعريرة من أخمص قدميَّ حتى ظهري، كان علي أن أتوقع ذلك من قبل؛ لأنه صحيح نسبيًا أن شكلها لا يشبه النسور

كان يطير سرب منها فوقنا، وكلما قامت تلك الطيور بالاستدارة حول نفسها ثم فتحت أجنحتها رششنا بمياه كالمطر.

تعالى في الجو صوت صدح الطيور التي تمر بقربنا بأحجامها المتفاوتة، لكل طير تصميم مختلف.. أحدها المستقر على عشب بيرل، شعر رأسه غريب للغاية، وكأنه مسرّح إلى الأعلى، والآخر الذي بجانبه ينسدل من ذقنه ما يشبه عصًا حديدية نحيلة، على نهايتها دائرة مختومة برمز، وكل أشباهه من الطيور تمتلك الرمز ذاته، ولكن بأماكن متفرقة.. إما فوق رؤوسها أو تحت رؤوسها أو على ظهورها.

تذكرت سابقًا مخلوقات "اللو" التي رأيتها، سألت عنها لأعرف مباشرة أنها كائنات بحجم القط، بل وتشبه القطط أيضًا، تقوم بإفراز عصارات تُقدَّم للعائلة المالكة لأجل الحفاظ على جلدهم من التقدم بالسن شكليًا، لذا فهي في قبة محروسة، ويتم الحرص على الاعتناء بها على أكمل وجه.

تجاوزنا الغابة حتى وصلنا إلى النهاية عند الجرف، كما أن تلك السحب السابقة تصب مياهها الجارية على هذا النهر، هناك أيضًا هذا الذي يصب المياه التي يلفاها من السحب للأسفل، لتنزل على نهر آخر، ولكن هذا النهر يخص العامة من الشعب.

البيوت الخاصة بالعامة ملتصقة ببعضها، ومعظمها بيت فوق الآخر، تشبه تمامًا تصاميم البيوت بالقرى الألمانية بأسقف بنية من الرخام الخام وجدران صخرية، وصخور ضخمة متفرقة بالأرجاء.. المكان ليس ككتلة واحدة، فكل قطعة أرض تضم أربعة أو خمس بيوت، وبينهم مياه النهر ثم كتلة أخرى تحمل بعضًا من البيوت، وكل البيوت مبنية على المياه، والانتقال من مكان لآخر يتم عبر جسور، أما عن البيوت بالأعلى فيتم الانتقال إليها بواسطة مراكب تشبه الطائرات الصغيرة مربوطة بخيوط متينة ترتفع إلى الأعلى كالمصاعد.

@ART_OF_BOOK

إستدارت بيرل لتعود بنا على الرغم أني لم أتقصى المكان بأكمله، ولكن أمرتها بأخذنا لنرى مخلوقات "اللو" بما أنها تشبه القطط.

في طريقنا فتحت حوارًا بسيطًا مع أدا لمحاولة التعرف عليَّ، فعرفت أن اسمي الكامل هو "عفراء لوِي دايا"، لأصدق نفسي القول لقد أعجبني اسمي الكامل، فهو يمدني بالهيبة التي كنت أفتقر إليها في حياتي الحقيقية.

وعمري الآن خمسة وعشرون إيفرو.. أي أني أصغر نفسي القديمة بستين، أطلعتني على بعض المعلومات التي أعرفها مسبقًا، مثل أني أكبر أبناء الملك الراحل، وبعد موت زوجته تزوج بإحدى المحظيات التي أنجبت له آرثر لاحقًا، ليموت بعد ست سنوات بسبب اغتياله وزوجته أثناء احتفالهم مع الشعب بالأسفل بعام الإيفرو الجديد ليتم توارث الحكم بليبيًا لأكبر أبناء الملك، وقام على هذا القرار عدة صراعات، والتي كان يقودها شقيق الملك السابق، ولكن قرارات لجنة وزراء الملك الأسبق كانت معارضة لإنتقال الحكم لغير أبنائه، لأنه لو حصل الأمر فبعد موته سينتقل الحكم لإبنته الوحيدة بياتريس، لذا فالأحق بالحكم من البداية هي ابنة الملك.

هنا عرفت أن بياتريس هي ابنة عمي، لذا استفسرت عن شقيق الملك الراحل أكثر، وبالفعل كما كنت أتوقع، لقد مات، ولكنه قام بالفعل بنفسه وانتحر! ظهر بعض الانزعاج على بيرل من حديث أدا، لكنها لازمت الصمت.

بدأت أنظم الأفكار المبعثرة بذهني؛ لأتوصل إلى فكرة لم يكن ليثبت صحتها سوى أدا:

كيف هي علاقة بياتريس وآرثر ببعضهما البعض؟

أدا وهي تحك ذقنها:

بإمكانك القول بأنها متوترة، ولا يتفاهمان أغلب الوقت.

هنا بدأت أفكر بصوت مسموع نوعًا ما:

إذن، يستحيل أن يكونا متفقين على الإيقاع بي واغتيالي وسلب الحكم مني.

أدا وهي تتكلم ببطء:

ما هذا الذي..؟

– محض شكوك أحاول التحقيق بشأنها.

– أعتذر يا عفراء على مخاطبتك بهذا الأسلوب، ولكن إن كانت هذه تحقيقات فهي.. تحقيقات كلب!

ذبل وجهي من حديثها وابتسمت بألم:

شكرا لتذكيري بحقيقتي.

وصلنا للقبة، وكان هناك العديد من طيور العنقاء أمام الباب، تساءلت عن سبب وجودها، ثم عرفت أنها تستخدم للتنقل من مكان

حسب خبرتي المتواضعة في مسيرتي الحياتية التي قابلت فيها عددًا غفيرا من الناس، فأنا أستطيع أن أدرك بأن هذه المرأة لا تحبني، أجبت باقتضاب:

يبدو أن عزيزتي بيا قلقة علي.

بدت ملامح الانزعاج والتقزز على وجهها لتغادر المكان وهي تتذمر وتكلم نفسها بصوت يكاد يسمع:

ما خطب كلمة يا التي تخاطبينني بها!

غادرت وبقي ثلاثتنا بالمكان، أخذت نظرة تحليلية لروي.. طويل.. شعر أسود كالذي أحبه، وعيون حادة.

فعلًا عفراء لم تكن تعرف مصلحتها، لم يتكلم وبقي يحدق للأسفل.. أمسكت يد أدا لنخرج من المكان، فقد استعمر التعب جسدي.

كان اليوم طويلًا، عزمت فيه على حبس نفسي بغرفتي والتفكير بمصيري.. أخي غير الشقيق الذي سيقتلني قريبًا!

أمضيت ما تبقى من اليوم مع أدا أسألها عن آرثر وكيفية أدائه لعمله، والمهام الموكلة إليه، وكيف يدير الشؤون والواجبات التي هو ملزم بها كأمير.

في اليوم التالي.

كانوا ينوون الاجتماع لأجل التناقش بخصوص الاحتفال بعام الإيفرو الجديد، فالعائلة المالكة تنزل من الأعلى لتحتفل باليوم بأكمله مع الشعب، ناديت على أدا وأمرتها بأن تجمع كل الوزراء الذين يديرون شؤون المملكة، وليأتِ كل الأقارب أيضًا فأنا أريد قول شيء مهم.

بالفعل، قامت أدا بفعل ما طلبته منها، لم أنزل لمأدبة الإفطار حتى، مما سبب قلقًا مما سأقوله في الاجتماع.

تجهزت ونزلت على ظهر طائر العنقاء الذي طار بي حتى قاعة الاجتماعات، كانت ضخمة وشاسعة للغاية والكثير من الأشخاص ذوي الهندام المرتب ينحنون أمامي نصف انحناءة، لا يبدو على أحد منهم آثار الكبر بوجهه، مشيت باتزان حتى وصلت لرأس الطاولة، وجلست وأشرت للجميع بالجلوس كذلك.

على يميني يجلس آرثر وبقربه روي، على يساري بياتريس ولست متأكدة ممن يجلس بجانبها.

تكلَّم أحدهم والذي رجحت أنه وزير بسبب طقم الملابس التي يرتديها:

ما الأمر سموك؟ لماذا طلبتنا جميعًا؟

أخذت نفسًا عميقًا وأنا أفكر بما قد يسببه الشيء الذي أقوله، بقيت أحدق بآرثر الذي يسيله التوتر عرقًا بسبب نظراتي.

أخذت شهيقًا وزفيرًا لثلاث مرات، ثم وجهت بصري نحو آرثر قائلة:

من الآن، جميعكم ستتخلون عن اللقب التشريفي وتكتفون بمناداتي بعفراء وحسب، فأنا لم أعد أشعر بالراحة من كلمة سموها.

صمتُّ لبرهة أنتظر أي تعليق ولم ألقه، ثم أضفت:

ما جمعتكم بخصوصه اليوم هو أمر مهم. نظرت لأخي الصغير الخائف الذي لا يجيد إخفاء توتره أمامي، حاولت أن أوحي له قدر الإمكان بأني سأقول شيئًا يجعل مخططاته تذهب هباءً منثورًا، شبكت يديَّ يعضها ووضعتها تحت ذقني مغمضة عينيَّ بطريقة حازمة لأنهي حديثي: من الآن وصاعدًا، الملك القادم لمملكة أورورا هو آرثر لوِي دايا.. أخي الأصغر!

الصوت الوحيد المرتفع الذي سمعته بعد جملتي هذه هو شهقة بياتريس المصدومة قبل أن تتنحنح، وكأنها لم تصدر صوتًا، بدأت النمتمات غير المفهومة تعلو المجلس وأنا لا ألقي لها بالًا.. كل ما أفعله هو مبادلة آرثر النظرات وأنا أبتسم له.

أجزم تمامًا أنه لا يجد أي كلمة يتفيها ليقولها لي من الصدمة، فمه مفتوح وعيناه جاحظتان يعلوهما الاستغراب والشك بمزيج من التوتر.

تكلَّم أحد الوزراء موجهًا حديثه لي:

هل لنا أن نعرف ما سبب هذا القرار فجأة؟

وقفت وقبضتي على الطاولة محاولة خلق جو مهيب لي:

أنا لا أتخذ أي قرار قبل أن أدرسه جيدًا، وأرى أن أنسب فعل قمت به هو نقل الحكم لآرثر، فلا أحد سيجيد التحكم بالشؤون الملكية غيره!

وعلى عكس ما توقعت تمامًا، لم يناقشني أحد أو يُصعِّب الأمر علي ويحتج! اكتفوا جميعًا بهزِّ رؤوسهم بالموافقة طواعية، وهذا الأمر أظهر لي مدى ولائهم لي مما استوجب عليّ شكرهم على تفهمهم وقطع وعد عليهم بأن كل شيء سيكون بخير.

نهضت وخرجت مباشرة، وامتطيت العنقاء الذي حط بي أمام باب غرفتي حيث كانت أدا تنتظرني، شعرت بالراحة لرؤيتها وطلبت منها أن تُعدَّ لي شيئًا ساخنًا بشرط أن يكون مالحًا.

قتل آرثر عفراء بسبب طعمه ليستولي على العرش، ولكن بعض الأمور كانت مفقودة، مثل طبيعة العلاقة بين الأخوين التي يمكن أن أستنتج أنها كانت متوترة، مما لن يكبده عناء الشعور بالذنب بعد ارتكابه جريمة الاغتيال بحق أخته.

لكن لو قمت بتقديم غايته التي يسعى للوصول إليها على طبق من فضة، فحينها لن يضطر إلى التخطيط لقتلي، وقد أحرص على تغيير أسلوبي معه حيث أجعله متعلقًا بي، وبهذا أكون ضربت عصفورين بحجر واحد!

العصفور الأول – أخي الذي لن يضطر لقتلي.

العصفور الثاني - الحرية.. لا خبرة لي بإدارة شؤون مملكة كاملة، وحتى لو كنت كذلك فسيتوجب علي الالتزام بالعديد من البروتوكولات التي تقيد من مساحتي وحريتي، لذا أظن بأني سأكتفي بالعيش بهدوء تحت هذا السقف والتجول من وقت لآخر مع أدا، حيث تحملنا يبرل على يدها وتقوم برفعنا عاليًا.

إن كنت أشعر بالامتنان لشخص ما فبالطبع هو جدتي! لا أعرف هل وجدت جثتي وتقوم بالبكاء عليها أم أنّي جئت بجسدي بأكمله إلى هنا والآن هي تقوم بالبحث عني!

رججت هذه الأفكار من رأسي، فمنذ مجيئي إلى هنا وأنا أحاول قدر المستطاع طرد حياتي السابقة وماضيّ البائس من رأسي.

قرع الباب بدقات متسارعة لأسمح للطارق بالتفضل، نظرت وقد كان آرثر.. لن أنكر أني كدت أستمع لضربات قلبي الذي بدأت وتيرة خفقاته بالتسارع بسبب الهلع.

اقترب مني وجلس على طرف السرير بقربي وهو مطأطئ رأسه للأسفل، قربت يدي لوجهه ووضعت إبهامي وسبابتي أرفع بها ذقنه للأعلى وأنا أخاطبه مبتسمة:

أخي لا يطأطئ رأسه أبدًا ما دامت أخته على قيد الحياة.

كان التوتر يسيطر عليه وأدرك ذلك من اهتزاز قدميه المتواصل، تكلم أخيرا:

عفراء.. هل كلّمك أحد أو أخبرك بشيء ما؟

تظاهرت بالبلاهة:

من قد يكلمني؟! لم أفهم!

هزَّ رأسه نافيًا وكأنه لم يقل شيئًا، هنا حانت لحظتي المنتظرة! الحوار الذي جهزته لأقوله حتى أضمن أني سأكسبه لجانبي، وأسلم شرَّه:

آرثر.. أخي.. عزيزي، أنا أعتذر عن كثير من الوقت، لا أظن أني كنت بجانبك ورفقتك كما أردت يومًا، ولربما انشغلت عنك، لكن أنا لا أكرهك مطلقًا، حتى لو كنت قد قلت ذلك فلتعلم أني أكذب! آرثر.. أنا أحبك جدًّا فأنت أخي الأصغر.. نحن إخوة.

أمسكت بيديه وأنا أعصر عليهما بقوة لأبين له جدية حديثي وأنا أرسم ابتسامة العجوز العطوفة.

رأيت لمعة بعينيه، كانت راية النصر بالنسبة لي التي تخبرني بأني نجحت وضربت هذا الكيان، أمسك بيدي كذلك وضمني.. للحظة شعرت بالندم بسبب التلاعب الذي أقوم به عليه، جعلني أشعر أننا إخوة فعلًا! حضنته وأنا أربت على رأسه وظهره برفق، كنت أشعر بيديه من خلف ظهري وهو يمسح عينيه من الدمع المتطفل.

ربما لم يكن آرثر بهذا السوء، ردود الفعل القليلة التي يقوم بها الآن تجعلني أدرك بأنه رقيق من الداخل، بل كان بحاجة لكلمة فقط، والظروف من حوله، وربما الأشخاص، ما دفعاه ليصبح بهذا السوء.

لآخر.. إذن، يبدو أنه يوجد أشخاص بالداخل، بدأت أنبه أدا بأن تهمس بأذني باسم كل شخص يخاطبني.

دخلنا.. سعدت بما رأيت، هذا هو المنظر الذي كنت سأطلبه من الله في الجنة! المكان مليء بالقطط.. ركضت خلفها، وبدأت أمسكها بعشوائية بينما تقوم بمسح فرائها عليَّ، ألمسها جميعها وأقبلها.. لمحت قطًا أبيض بشعر طويل، وما ميَّزه هو لون عينيه، فاليمنى خضراء واليسرى زرقاء.. حملته وقربته من وجهي، قبلته، وعلى الرغم أني لم أقم من قبل بما فعلته حينها، لكن قلت:

ميو ميو!

توقفت كل القطط عن الحركة، وشعرت بأنظار الجميع حولي، حتى أني قبل أن أنطق بذلك كنت أشعر بوقع خطوات تقترب مني على يساري، ثم توقفت بعد الكلمتين اللتين قلتهما، رفعت رأسي، وكانت بياتريس برفقة رجل غريب، يحدقان بي باستغراب، تكلم صوت قريب قائلًا:

ما هذا؟ سمو الأميرة!

بحثت عن مصدر الصوت على الرغم من أن عقلي قد نبهني بصاحب الصوت، ولكني تجاهلته، نظرت بعيني القط ليضيف:

هل أنتِ بخير اليوم؟

رميته بعيدًا وأنا أزحف على أقدامي للخلف، لقد تحدث! هذا القط.. لقد تحدث!!

ضحكت بياتريس ضحكة متغطرسة على مظهري وهي تغطي فمها، وقفت بسرعة وأنا أحك رقبتي، وهذا فعل أقوم به في كل مرة أشعر فيها بالإحراج.

اقتربت أدا من أذني بسرعة، وهمست لي:

الشخص الذي يقف بقرب بياتريس هو روي.

نظرت إليه.. صعقت! إنه جميل جدًا، روي الذي كان سيتزوج عفراء بالقصة، حسب عادات المجلس الوزاري التي تنص على اتباع قواعد الملك وتزوج العائلة المالكة من أبناء الوزراء.. صحيح، لم أفهم هذه الجزئية بالقصة، أخبرتها بأنه جميل وأعجبني:

– لكنك لا تحبينه!

– أنا؟ لا.. التي لا تحبه عفراء القديمة، أما أنا فلا.

– لكن...

– لا يوجد لكن، أنا أعرف مصلحة عفراء أكثر منها! لا تناقشي من فضلك.

اقتربت مني بياتريس:

لم نحظَ بحديث جيد هذا الصباح.. سمعت أنك فقدتِ الوعي البارحة.

فككت عناقه وأنا أقرص خدَّه بخفة، الآن رأيت وجهه الحقيقي.. إنه ليس بهذا السوء، وقد أعامله مستقبلًا بلطف وعلى أساس أنه أخي الصغير بنهاية المطاف.

نهض وقبَّل رأسي ثم استأذنني للخروج.

توامن خروجه مع دخول أدا التي هزَّت رأسها بإحترام له، وبعد أن خرج هرولت إلي وهي تحمل صحنًا وتلهث وكأنها كانت تركض قبل أن تدخل علي، من مظهرها أرجح أنها كانت تسابق الزمن لتخبرني بشيء مهم.. سألتها ما الخطب، لتخبرني بأن وزيرين من الوزراء -إلمار وإيديث- في طريقهما لرؤيتي!

ارتبكت كما لم أرتبك من قبل، قرأت اسميهما ولكن لا أعرف الكثير عنهما، لذا قدمت لأدا مهلة نصف دقيقة لتختصر علي المفيد الذي سيجعلني أعرف كيف أتعامل معهما!

لم تقل الكثير، غير أنها أمرتني أن أتعامل معهما بجدية وبأسلوب يليق بمقامي ومقامهما، وأن أستمع لما سيقولانه حتى النهاية، وأن آخذ كلامهما بعين الاعتبار.

قُرع الباب، وهذه المرة أذنت أدا للطارق بالدخول، تفضل إلمار الذي أعرف عنه أنه مستشار العائلة المالكة، وقد كان اليد اليمنى للملك الأسبق.. ثم أخه إيديث، قائدة القوات الداخلية بالمملكة، نظرت إليهما ملِيًّا فتذكرت أنهما كانا موجودين بالاجتماع، وإلمار هو الذي سألني سابقًا عن سبب قراري بجعل آرثر الملك لا أنا.

تقدما حتى استقرا أمامي، وإنحنيا نصف انحناءة، كنت على وشك فعل المثل لولا أن أدا قرصتني على خصري لأتمايل من الألم.. نظرت إليها بغضب لأرى تعبيرًا على وجهها مفاده أنه لا يجب علي الانحناء لأحد!

رفعا رأسيهما بوقار، نظر إلمار إلي ثم لأدا بتكرار لأفهم أنه يريد الحديث على انفراد.. صرفت أدا قليلًا ريثما يرحل ضيوفي.

كان في الغرفة طاولة يحيط بها الكثير من الكراسي، جلسنا وافتتح إلمار الحديث:

عفراء.. هل لي بمعرفة السبب الحقيقي الذي جعلك ترشحين آرثر للحكم؟

إيديث:

ربما لم يكن بمقدورك الإفصاح عنه أمام الجميع بالقاعة.

كان لهما صوت بخامة ثقيلة ومهيبة تجعلني أرتجف، ملامحهما صغيرة، ولكن أدرك أنهما أكبر مما يبدوان عليه. لم أعلق على حديثهما، بقيت أفكر للحظة، ثم قاطع تفكيري إلمار:

عفراء، لا نية لي بمناقشتك في قراراتك الأخيرة، ولكن من حقي إبداء رأيي.

لم أجب واكتفيت بهزِّ رأسي له ليكمل:

لا أعتقد مطلقًا أن آرثر مناسب لأخذ مكانك!

قمت بهزّ رأسي مرة أخرى بتفهم، وجهت نظري نحو إيديث وقلت:

وأنتِ ما رأيك؟

أشبكت يديها ببعضهما البعض تفركهما وهي تفكر، ثم:

سواء أكان أنتِ أم آرثر، أرى أن كليكما مناسب، وأيضًا مهمتي هي الولاء لنسل الملك الأسبق.

سألتها:

إذن لمَ أنتِ هنا؟

- يرى إلمار أن أخاك الأصغر لا يصلح للحكم، لا أدري ما الأمر الذي يراه إلمار ولا أراه أنا، ولكني أثق ببصيرته لذا أنا هنا!

أنا أعرف أنّ آرثر يقوم بأعماله وواجباته على أكمل وجه، وقد تحققت من ذلك شخصيًا، وأثق كذلك بأنه أنسب شخص للمنصب، ولكن، هذا المدعو إلمار.. لا أعرف غايته تحديدًا من هذا الكلام.. إيديث تثق ببصيرة اليد اليمنى للملك الأسبق، وأخاف أن يكون الأمر كما تقول.. أن إلمار يرى ما لا نراه! لكن مع ذلك سأصر على قراري حتى يطلعني على الشيء الذي يراه ولا نفعل نحن، وحينها قد أفكر بالعدول عن قراري، مع أن داخلي يخبرني بألا أفعل، وأترك زمام الأمور برمتها لآرثر، فلسبب ما أنا أثق به!

عدلت من جلستي واضعة قدمًا على قدم، وأخبرت كليهما أني لا أرى داعيًا يجبرني على التراجع عن قراري، ولكن إن كان لديهما حجج دامغة تجعلني أتراجع، فأنا بالطبع سآخذ حديثهما بعين الاعتبار وأتصرف على أساسه!

بقي إلمار يفكر بحديثي مليًا ثم نهض عن الكرسي لتفعل إيديث الأمر نفسه وهي تنظر إليه مترقبة ما سيقول، تحرك نحو الباب لتتبعه أخته.. أمسك بمقبض الباب ثم التف ينظر إلي:

سأرسل رسولًا لغرفتك الليلة ليأتي بك إلي وأناقشك عن رؤيتي للأمور.

صمت قليلًا ثم أضاف:

يقول جود بأنك تتغيبين عن التدريبات العسكرية.

ثم خرج، دخلت أدا مباشرة خلفه متطفلة ممسكة بي من كتفيّ وتسألني: ما الذي جرى؟

أمسكتها أنا من كتفها وأجلستها أمامي، وأخبرتها بأن هناك الكثير من الأسئلة، وهي مصدري الوحيد الذي سيجيبني كالعادة.

سألت أولًا عن جود، أدا:

جود قائد من الصفوف الملكية الأولى، ذو رتبة عالية، وهو من يشرف على تدريب العائلة المالكة.

فجأة!

ذكرى قديمة..

تراءت برأسي وكأنها شريط فلم!

عندما كنت أقف أمام بيضة كبيرة، وأنا أراقبها تفقس ليخرج منها هذا الطائر، كان بحجم ضئيل.. تقدمت وحملته بيديّ وأنا أنظر نحوه بذهول! كان عمري أصغر قليلًا مما أنا عليه الآن.. قلت حينها:

نير.. اسمك هو نير.

مشهد آخر وأنا أتردد من ركوب ظهر نير بسبب تشكيكي في قدرته على حملي، حينها قام بمد جناحه من أسفل قدميّ وقام برفعي عاليًا لأسقط على ظهره ويطير بي في الأرجاء وهو يضحك، وأنا أشد عليه بقوة خوفًا من السقوط.

آخر مشهد وأنا أودعه قبل ذهابه لبعثته في قارة زندو لمعبر الشجرة، حينها قمت بربط تميمة حول إظفره.

بقيت متصنمة لتلك الفترات التي تمرُّ فيها الذكريات على ذهني، وكأني قد عشت هذه الأمور شخصيًّا من قبل! أمسكت برأسي أشده بقوة بينما صرخ نير صرخة ثانية أيقظتني للواقع.

نظرت فيه بحزم يعرفه، وابتعدت عن جناحه لأتقدم نحو مخالبه وأبحث عن التميمة التي ربطتها.. وجدتها وبدأت بفكها.

بعد أن نزعتها وقفت أمامه، وكان حجمي مقارنة به كقرد حديث الولادة، نظرت لعينيه بغضب وقلت:

من أنا؟

أجاب بهدوء:

عفراء.

وابتعدت عنه لأدخل وتتبعني أدا، أغلقت النافذة العريضة بوجهه ليعرف أني أشعر بالغضب منه، وكنت قد رأيته ينظر بحزن وندم واضحين تمامًا.

سحبت أدا الستارة لتحجب عنه الرؤية، حينها جثوت والدمع بعيني من الخوف موجهة حديثي لها:

هل بللت ملابسي من الخوف؟

أدا:

إنها مبللة من لعابه فقط، لكن ما الذي حدث قبل قليل؟

أخبرتها بالرؤيا التي مرَّت علي وكأن الموقف قد حصل وكنت أنا من قام به، عرفت أن بعضًا من ذكريات عفراء قد بدأت تنتقل تدريجيًّا لعقلي.

كان هذا جيدًا ويستدعي ابتسامة شريرة، على هذا المنوال ستسير الأمور كما أبتغي أنا!

***

في غرفة كبيرة..

حمام ساخن.. البخار بالأرجاء.

بركة ليست بالصغيرة بمنتصف المكان.

أغطي نفسي بمنشفة وأنا أتقدم نحو البركة، كان البخار يمنعني من رؤية ما أمامي حتى تجاوزته، وصعقت بوجود العديد من النساء بقربها.

تبادلت النظرات معهنّ وأنا اشعر بالغرابة، خرجت من المكان ووجدت أدا على وشك الدخول.. سألتها عن هوية الموجودات بالداخل لتخبرني بأنهنّ الخادمات اللاتي يقمن بتحميمي عادة.

أغمضت عينيَّ والحروف تخرج من بين أسناني:

تأمرينهنّ بالخروج حالًا!

قالت معترضة:

لكن!...

- لا يوجد لكن، لا أحد يحممني حتى لو كانت تفوح رائحة لعاب نير مني لآخر القصر.. فليخرجن حالًا!

خرجن ومنعت أدا كذلك من الدخول، بدأت أنزل من درج البركة حتى وقفت بمنتصفها.. تفوح من المياه رائحة الورد.. بالطبع ستحتل رائحة الورد الأرجاء بما أنه منثور فوق الماء.

بدأت أغطس ببطء وأخرج، كررت هذا لعدة مرات وأنا أشعر بالاسترخاء الشديد وأنا ممتنة بداخلي لجدتي على هذا العالم المثالي الذي أنشأته.

في العادة أستعيد الكثير من الأحداث أثناء استحمامي لأن ذهني يكون بحالة استرخاء ويصفو تركيزي.. لذا أفكر بالعديد من الأمور لأقوم بدراستها ومحاولة التوصل لما يكمن خلفها.

ما يؤرق تفكيري هو الأمر الذي سيطلعني عليه إلمار الليلة، أتمنى ألّا يكون موضوعًا سطحيًّا يقتضي التنازل بسبب صلة القرابة بيني وبين آرثر.. على الرغم من أننا أخوين إلا أننا من أم مختلفة.

لكن لا أعتقد أن إلمار ذو تفكير قديم ومنحط ليتخذ من هذا حجة ضدَّ أخي.

هناك بياتريس! قد تكون تكن بعض البغضاء نحوي بسبب أن والدها انتحر من غيظه على العرش الذي سلبته، بل كان من حقي! أتمنى أنها لا تتمسك بمعتقد أنها فقدت والدها بسببي.. ومن جهة أخرى.. روي! حقًّا عفراء التي هي ليست أنا.. بلهاء، من يكره وجهًا جميلًا كذلك؟

بما أني هنا، سأصحح كل شيء وأعيد الأمور إلى نصابها، وطبعًا أنا أعرف مصلحتي... أقصد مصلحتها أكثر منها، لذا سأعتني بكل شيء من الآن فصاعدًا.

بدأت أمسح المياه على رأسي وأقوم بتنظيف جسدي جيدًا لأنّ لعاب نير أطلق رائحة كريهة علقت بي! استغرقت حوالي نصف ساعة إضافية ثم خرجت من الحمام حيث كانت أدا بإستقبالي بمنشفة والكثير من العطور ذات الرائحة الفذة.

نزلت عند بيرل التي رحبت بي بحرارة، رفعتني فوق يدها وبدأت تتجول بي في الأرجاء، وكانت تسألني عن نفسي، وقد ارتحت برفقتها كثيرًا، أخبرتها عن الجدة، وعن نفسي، وكيف تبدو الحياة التي أعيشها، وإلى أي حد هي متطورة، لقد كانت تصغي بإهتمام شديد وتسألني عن كثير من الأشياء التي شعرت أنها غريبة.

بعد غروب الشمس، عدنا من الهاوية إلى القصر بعد أن أهلكني الحديث الطويل، ولاحظت أن بيرل تفقد كثيرًا من قوتها وطاقتها بعد غياب الشمس، وتبدأ ملامحها بالاختفاء تدريجيًّا لتشبه شجرة عادية ضخمة. لم أعلق على الأمر وطلبت منها أن تنزلني وسأكمل المسير بنفسي ففعلت ما أمرتها به بدون أن تتكلم، وعرفت أنها لا تقوى على الحديث فعليها أن تعود لمكانها بسرعة قبل أن تخور قواها وتضعف عن الحركة.

أكملت السير، المكان مضاء بفضل يرقات كبيرة الحجم، وقد قابلت بعض الأقزام بطريقي! لم يقف أحد منهم لي؛ فهم مجتهدون للغاية ولا يضيعون وقتهم مطلقًا.. يحملون فوانيس يحبسون بداخلها تلك اليرقات، متأثرين بالأرجاء، كل من يلمحني ينحني قليلًا ثم يكمل طريقه.. لولا تأخر الوقت لكنت تتبعت أثرهم لأرى إلى أين سيذهبون.

الغيوم التي تدر مياه النهر.. لا تزال واضحة والسبب يعود للون المياه!

المياه التي تخرج من الغيوم إلى الأسفل ذات لون أزرق متوهج، وكأن هناك العديد من المصابيح بالداخل، بالنظر لهذا اللون تذكرت تلك الليلة التي بدأ الكتاب يتوهج فيها.. لقد كان الأزرق نفسه.

سمعت تلويحًا قويًّا في السماء، وأنا أميز الأصوات تمامًا لأعرف أن هذا الصوت صوت أجنحة تطير فوقي! رفعت رأسي والعديد من طيور العنقاء في الأعلى البعيد بإستثناء أضخمهم يقترب ناحيتي، أمعنت النظر وعرفت أنه نير! تظاهرت بأني لم أرَ وبدأت في تسريع وتيرة خطواتي من الخوف، وأدعو بداخلي أن اصل إلى الداخل قبل أن يداهمني ولكنه.. كان أسرع مني!

حطَّ على قدميه الخلفيتين وجناحاه منبسطان في الهواء بشكل مهيب، ثم نزل بأكمله على الأرض وهو يقرب رأسه نحوي بطريقة ودية كما تفعل الأحصنة مع صاحبها وبدأ يداعب رأسي، كانت أدا قد أخبرتني سابقًا أن عفراء تمشي بطريقة وقورة تجعل من يمر بجانبها ينحني احترامًا لها، لذا قامت بنصحي بتغيير مشيتي التي تجعلني كأني أعاني من حكة بظهري، وجعل عمودي الفقري مستقيمًا ورأسي مرفوعًا للأعلى.

حديث عفراء مفيد مختصر، وهي قليلة الضحك والابتسام فيبدو مظهرها جديًّا للغاية لذا عليَّ أن أتحلى بهذا أيضًا في حال لم أرد أن ينتبه

- أيدريني؟

- أنتِ وآرثر وبياتريس وروي!

لم يكن هذا الوقت المناسب لظهوره، فلا رغبة لي بأية تدريبات أو شابه، ثم أكثر ما كان يشغل بالي هو كيف يرى إلمار آرثر؟

أدا:

يقوم بالثناء عليه كثيرًا، أي أنه يرى أنَّ آرثر مميز، وأيضًا... يرى أن أذكى منك.

استغربت! إن كان بهذه المميزات جميعها، لمَ إذًا يشعر إلمار أن آرثر لا يناسب مقعد الحكم؟ يبدو في نهاية المطاف أن الأمر كما قالت إيديث، أن شقيقها يرى ما لا يراه أحد منا، لم يكن الأمر يهمني ببادئ الأمر، ولكن الآن كذلك، فلقد أصبحت أشعر أني أنتمي لهذا المكان بعد أن كانت خططي البقاء بعيدًا عن السياسة والاكتفاء بقضاء الوقت مع أدا وبيرل.

شعرت بهواء قوي يندفع من النافذة، مما استدعاني لتغطية عينيّ من شدته، بدأت الأغطية بالغرفة والكراسي تتحرك حتى توقف الهواء تدريجيًا.

رفعت رأسي ناحية النافذة العريضة، وكان يستقر على حافة الشرفة طائر عقاب أكبر من بقية الطيور التي رأيتها سابقًا، اقتربت منه أدا وهي تربت على رأسه.. استدارت نحوي مشيرة إلي بالاقتراب ثم تكلمت بأذني:

هذا طائرك الخاص: "نير"، لقد كان في بعثة وعاد لتوّه.

اقتربت لألمسه، ولكني تراجعت إلى الخلف حتى فقدت توازني، وأقر أني كدت أموت إثر سكتة قلبية عندما قال الطائر:

عفراء.. لقد عدت!

من المفترض ألا أفزع من أي شيء منذ أن رأيت شجرة عملاقة على شكل امرأة وهي تتحرك وتتكلم!

لاحظ "نير" فزعي ليمد بجناحه الهائل نحوي ويقوم بهزي حتى وقفت، نظر مليًّا إلي.. خفت من هذه النظرات ولكن لحسن الحظ أن أدا بجانبي حيث تدخلت وأخبرته بأني أشعر بوعكة صحية، ومنذ ذاك الوقت وأنا لست بخير، حتى أن ملامحي شاحبة ومتغيرة! قرأت بعينيه نظرات الشك التي تخترقني كأسهم مشتعلة، وبدأت أدعي بأني على وشك أن أفقد وعيي وأنا أغمض وأفتح عينيّ بطريقة غبية وأتمايل وكأني أفقد توازني.

لم تنطلِ الحيلة على طائر العنقاء هذا ليقول بصوت أجش جعل سيقاني ترتجف وتصطك ببعضها:

من أنتِ؟

أجبت وبالكاد تخرج الأحرف من شفتيّ:

أنا.. عف.. راء.. وعفراء.. هي.. أنا ولا.. وجود ل...

صرخ نير صرخة جعلت من لعابه يبللني بأكملي، يبدو أن هذه الطيور وفية للغاية وتدرك صاحبها جيدًا!

مظلم كثقب أسود، فجأة لمحت حركة!

هناك شيء يخرج من الثقب!

هذه! هذه مخلوقات السفينيكس!

النصف الخلفي من الجسد هو جسد أسد والنصف العلوي هو جسد امرأة، ويظهرها جناحان هائلان.. رفعَت رأسها لتنظر إلي وتبدأ بالطيران نحوي.. شعرت بقلبي الذي توقف عن ضخ الدم لجسمي وهو يسقط لمعدتي، ولكن شعرتَ بنسبة ضئيلة من الأمان بما أني برفقة نير الذي يكبرها حجمًا.. لو حاولت إيذائي، سأطلب منه أن ينطحها أو يبزق عليها كما فعل معي صباحًا.

اقتربت كثيرًا ولم يقم نير بأي حركة دفاعية ضدها بينما شددت على بقرة، حلّقت بمحاذاته ثم ابتسمت لي قائلة:

مرحبا بسموِّها، لقد مرَّ وقت طويل.

منذ أن وطئت قدمي المكان وأنا أنزعج من كلمة سموها وهذه أول مرة أسعد بسماعها، لقد شعرت بأنها درع يحميني من الجميع.. ابتسمت بدوري وأنا أجيب:

نعم.. لقد مرَّ وقت طويل، كيف حالك؟

- بخير برؤيتك! قالتها وهي تنحني.

نظرت أمامي وأنا أخبر نير بأن يرجعني إلى القصر فلدي التزام مهم! في حقيقة الأمر أنا أتقطع في كل ثانية من الهول الذي أراه.

استدار ليوصلني، حينها لففت رأسي إلى الخلف لأرى الهاوية، لقد خرجت الكثير من مخلوقات السفينيكس منها، لا أعرف لماذا تعيش بذلك الظلام.

كانت أدا باستقبالي، رأيت أمارات السرور والبهجة على وجهها بعد أن رأتني برفقة نير.. غمزت لها لتفهم بأن كل الأمور على ما يرام.

نزلت لتخبرني مباشرة أن إلمار كان قد أرسل طلبًا لأحضر عنده، سابقًا كنت قد تساءلت عن سبب كبر حجم هذا الباب ولكن الآن أنا أفهم، إنه لكي تدخل طيور العنقاء كبيرة الحجم كنير.

***

دخل نير من الباب وطلبت منه أن يوصلني إلى غرفة آرثر فأنا أرغب برؤيته أولًا، قالت أدا سابقا أن آرثر ذكي، لذا سأستغرب لو أنه صدقني بسرعة.. صحيح أنه بكى أمامي، وكان بلحظة أخوية عاطفية، ولكن إن كان نابغة فعلًا كما يطلق عليه فهو سيشعر بعدم الأمان بسبب التغير المفاجئ لأخته التي كان يخطط لاغتيالها! لذا قد نحظى بحوار قصير بسيط لأعرف كيف يفكر، وفي الوقت نفسه أحاول أن أظهر فعلًا أني تغيرت، وأني لا أنوي عليه.

مهلا، نير! قلت.

رفع رأسه لأضيف:

فلتمر أولًا على المطبخ.

استدار بي متجهًا نحو المطبخ...

***

بعد أن ارتديت المئزر وشمرت عن ذراعيّ، بدأت أصدر الأوامر على الخدم بالمطبخ، بدأت بطلب الحليب والبيض، وكمية كافية من السكر والطحين، وبعض من الفانيلا السائلة.

لقد كانت علامات الاستغراب تغزو وجوه من حولي من الخدم، يبدو أن هذه هي المرة الأولى التي يدخل عليهم فيها شخص من العائلة الحاكمة للمطبخ، لم أعبأ لهم كثيرًا وبدأت بخلط المكونات التي طلبتها حتى حصلت على خليط متجانس. غمست إصبعي بالخليط لأتذوقه، بدأت أستطعمه لأضيف قليلًا من الملح الذي ينقصه.. بينما انشغلت بالطبخ طلبت منهم بعض الشكولاتة والسكر المطحون.

لم يطل كثيرًا حتى كان طبقي المثالي جاهزًا، وضعت ورقة نعناع فوقه، وسرعان ما رميتها لأنها تجعل من مظهره مبتذلًا، الآن الوجهة هي غرفة آرثر.

قام نير بمدح الرائحة التي تصدر من الطبق مما جعلني أسر كثيرًا، أعرف أن السبيل للوصول لقلب الرجل هو معدته! لذا سيكون أحد أسلحتي للتقرب من آرثر وخلق جو مطمئن له ناحيتي.

قرعت الباب، سمعت صوته وهو يسمح لي بالتفضل.. دخلت وبدا عليه الاندهاش، فلم يتوقع أن يكون الزائر أنا!

أغلق الكتاب الذي كان بيده ونهض من مكتبه متقدمًا نحوي بارتباك، لم تفارق الابتسامة وجنتيّ.

رحب بي وسمح إلي بالتفضل لنجلس على طاولة بقرب شرفته، أخرجت الطبق الذي كنت أخبئه خلفي ووضعته أمامه.. نظر إليه مليًّا ليسأل:

ما هذا؟

لحسن حظي أني عملت في مطعم، وقد تعلمت العديد من الوصفات قبل أن أطرد منه، ومن بعض الوصفات الكريب الفرنسي! أحد النقاط الإيجابية فيّ أني أحسب لكل موقف حسابًا لذا أتوقع بأنه لن يأكل منه ما لم أفعل أنا أولًا، فغالبًا عقله البسيط يخبره بأني سممت أكله.

أجبت بابتسامة:

هذا شيء لذيذ قمت بإعداده لنفسي قبل أن أنام، ولكن فجأة تذكرتك واعتقدت أنه سيكون من اللطيف أن نأكله معًا.

أخذت أول قضمة لتكون رسالة أخبره بها أن الأكل سليم، شعر بالراحة وبدأ بالأكل بينما أراقب ملامح وجهه التي بدأت بالتغير تدريجيًّا من الشك إلى الذهول، أعتقد بأنه يأكل الكثير من الحلويات، ولكن لم

تكن أي منها كالتي يأكلها الآن، تشكلت ملامح الغرور على وجهي وأنا أدرك مدى إنجازي ومهارتي في إبهار الملك المستقبلي، أو أخي الأصغر..

نظر وحدقتا عينيه متسعتان:

ما هذا الشيء؟ إنه لذيذ! من علمك صنعه؟

بدأت أرمي بشعري للخلف بطريقة درامية تدل على الغرور التام لأرسم ابتسامة جانبية وأنا أقول:

هذا سر المهنة، لا تستخف بي.. آرثر.

أنهى قطعته بسرعة وبقي يحدق بقطعتي بطريقة جعلتني أضحك لأمدها إليه ويلتهمها هي الأخرى بنهم.

أثناء مشاهدتي له بدأت أشعر بذات الدوار الذي شعرت به سابقًا صباحًا حين بدأت بعض المشاهد تُسترجع لذهني وكأنها ذكريات سابقة! مرَّ علي مشهد وكأنه فلم بين عينيّ عندما كنت وآرثر نتدرب عند جود.. لقد كنت أتغلب عليه بمعارك السيف، مشهد آخر من الماضي حيث يقف أخي بجانبي وهو متشوق لرؤية ردة فعلي على عمل ما كان يحمله، ولكني تجاهلته بحكم ضيق الوقت، وتركته خلفي.. يبدو أنها كانت رسمة رسمها، إنها نحن!

تقف بجانب بعضنا والقصر من خلفنا وبيرل.. صحيح أن رسمه بشع، ولكني أدرك بأنه رسمنا معًا.

آخر مشهد.. نجلس بقاعة الاجتماعات الكبرى بوجود جميع الوزراء ولكني أرى نفسي! أوبخ آثر أمام الجميع بينما هو منزل رأسه لا ينبس ببنت شفة من الإحراج.

أمسكت برأسي من الألم، لاحظ ذلك لينهض من كرسيه وهو يمسك بكتفي بقلق يحاول الاطمئنان علي، كأن غشاء شفافًا كان بعينيّ والآن يتلاشى ببطء لأستطيع رؤية كل شيء أمامي.

أمسكت بيده وأخبرته بأني بخير وألا يقلق، أبى أن يجلس لولا أن أصررت عليه بأني حقًّا بخير وليجلس أمامي، بقيت شاردة للحظة.. لقد كانت عفراء فعلًا شخصًا قاسيًا، من الجيد أن الجدة قتلتها في قصتها! لأول مرة لا أتعاطف معها حتى لو كان يجمعنا نفس الاسم!

الفرق بيني وبين آرثر هو خمس سنوات، رفعت رأسي وقد كان يرمقني بتوجس وقلق.. تذكرت ما رأيت حينها، قلت:

آرثر.. قد يكون ما سأقوله سخيفًا نوعًا ما لكن...

- ما الخطب؟

- هل تذكر؟ قديمًا عندما كنَّا صغيرين، أظن أني كنت في الثالثة أو الرابعة عشر، بينما أنت بالثامنة أو التاسعة من عمرك.

أومأ برأسه ليمينه مستذكرًا وهو يحك رأسه، بعد صمت:

نعم، ماذا حدث حينها؟

- حسنًا، كنت قد جئتني برسمة كنت قد رسمتها، وأردتني أن...

لم أكمل حديثي حتى قاطعني قائلًا:

نعم أذكر، لقد مضت على هذا اثنتا عشرة سنة.

- إذن أنت تذكر؟

هزَّ رأسه بدون أن يتحدث، شعرت بتأنيب ضمير، ولم أعرف ما قد أقول، لذا صمتُّ لبرهة، ثم قلت بصوت خافت:

أعتذر عن تجاهلك حينها.

رأسي مطأطأ أرضًا، ولكني رفعت عينيّ لأنظر لوجهه، لقد كان يبتسم بعطف وكأنه سعيد لسماع ما قلته! لوَّح بالهواء وكأنه يبعد بعوضة ليقول:

أظن أن أختي كانت تحمل مسؤوليات أكبر من عمرها حينها!

ابتسمت ورفعت رأسي إيجابًا بهدوء.

لم أتوقع، ولكن سألني حينها:

هل تريدين رؤيتها؟

صعقت! هل يحتفظ بها منذ ذلك الوقت؟ لاحظ الصدمة على محياي ولم يقل شيئًا سوى أن نهض واتجه نحو خزانته وفتحها، ثم فتح أحد الرفوف فيها، وبدأ يفتش بين بعض الأوراق لفترة حتى وجد الرسمة

كان سعيدًا، بإمكاني ملاحظة هذا من وجهه! يجعلني أراه كالطفل، ربما هو لا يزال كذلك بعد كل شيء، أو هو هكذا فقط لأنه برفقتي.

جلبها ومدَّها إلي لأستلمها وأبدأ بتفحصها باهتمام بالغ، فعلًا.. رسمه بشعة، ضحكت على الرسمة ليسألني عن سبب ضحكي.. وضعت سبابتي على الأنف الذي رسمه وأنا أقول بتهكم:

لمَ يبدو أنفي بحجم قارة؟

اقترب ليتفحص وانفجر ضاحكًا وهو يمسك ببطنه بيد والأخرى يغطي بها فمه، بدأت أتفحصها وأرمي بالتعليقات الساخرة عليها ويتقبل هو سخريتي بصدر رحب.. بعد أن أنهيت قمت بطيِّها على أربعة لأقول:

هل بإمكاني الاحتفاظ بها؟

سحبها بقوة من يدي وهو يقول بأنه سيحتفظ بها عنده، أظهرت له أني أريدها وبشدة ولكنه كان يرفض تسليمها إلي لأرضخ لرغبته أخيرًا.

نظرت إلى السماء من الشرفة، لا يزال عليَّ مقابلة المار.. نهضت بتعب وقام عن كرسيه وألقى بذراعه على رقبتي ليوصلني حتى الباب، نظرت لوجهه عن كثب.. على الرغم من أني لست أنا من كان يقسو عليه، إلا أني أشعر بتأنيب الضمير ناحيته، لا يمكنني أن أعذله على ما كان سيفعله لأني سأفعل المثل لو كنت بموقفه! لحظات قليلة من الذكريات الكثيرة جعلتني أحقد على عفراء.

أحد لتغير تصرفاتي! أذكر أني لمتها على تأخرها عن إخباري بهذا، مع ذلك لا أعتقد بأني سأصبح مثلها وأتظاهر بما لست عليه.

قومت ظهري للأعلى لأقف باستقامة ووجهي مرفوع وأنا أقابل نير وأحاول تبني لكنة متزنة، تكلم نير:

آسف عمّا سبق.

- نير، من أنا؟

- أنتِ صاحبتي، عفراء.

- لا تشكّك فيَّ مستقبلًا.

- أمرك.

زفرت نفسًا طويلًا وأنا أنتظر الموعد الذي سيأتيني فيه رسول الملا، لاحظ نير إنهاكي وبدأ يحاول إسعادي بحك جبهته على وجهي، ضحكت وقلت بسخرية:

لقد غطاني لعابك، حتى الاستحمام لم يكن كافيًا لإزالته!

ضحك مجيبًا:

للحظة عندما قربت وجهك لي، شعرت بأنك شخص آخر غير سيدتي.

لم أجب وبدأت أفرك رأسه حتى شعرت بأقدامي ترتفع، لقد حملني بجناحه ووضعني فوق ظهره، وهو يريد أن نتجول معًا.

طار بي محلقًا بينما تمسكت به بشدة، هذه المرة ذهبت لأماكن لم أزرها.. أخبرته بأن يصعد للأعلى وألا يتوقف وقد فعل بالطبع، تجاوزنا الغيوم المائية وأصبحنا فوقها، الغيوم بداخلها مياه لا تنتهي، ظننت أني قد أرى مصدر المياه ولكن لا مصدر لها سوى ذاك المصدر الوحيد! المكان مضاءٌ تمامًا.. السماء حمراء على عكس الصباح فهي خضراء تميل للأصفر، الكثير من طيور العنقاء، أكثر مما تصورت، وكائنات الإيلفو التي رأيتها بشقوق القصر هنا أيضًا.. اللمعان الذي أراه يعمي البصر، تكلم نير:

تمسكي جيدًا يا عفراء.

تمسكت بقوة حتى زاد من سرعته وبدأ يدور حول نفسه وهو يضم جناحيه وكأنه يحضن نفسه، كانت أمامنا غيمة، أسرع إليها ثم تجاوزها بسرعة البرق لدرجة أني سمعت صفير الهواء الذي أصدره جناحاه، بقي يتنقّل من غيمة لأخرى مخترقًا إياها حتى تبللنا تمامًا.. لقد ضحكت كما لم أضحك من قبل، إنه ممتع بحق.

بدأ بالنزول إلى الأسفل لأرى أننا خلف القصر.. الكثير من الكهوف بعضها فوق بعض، هنا مسكن العنقاء والكثير من البيوض، وكل طائرة تعرف عشها وبيضها، وبالأسفل هناك هاوية مظلمة، تمنيت لو أن أدا معي لأسألها ما الذي يوجد بالأسفل.

قارة زندو
قارة كاونتر
القارة الكبرى زابور
الشاطئ
مملكة اوروزا
قارة مينارى
الأونى
مندوسا

سأل إن كنت أريد منه أن يوصلني إلى غرفتي ولكن رفضت بحجة أني سألتقي بإلمار بعد قليل.

ركبت على ظهر نير وأنا ألوِّح لآرثر، توجهت لإلمار.. لأعرف ما الذي يريدني بخصوصه!

ختم العهد المشروط

مساحة مسطحة واسعة.. أرضية من الرخام الأزرق الأملس اللماع تحده الأشجار في باحة خلف القصر.

كان إلمار وإيديث جالسين بإنتظاري، عدلت من طريقة مشيي وأنا أرفع رأسي بطريقة تجعلني أشعر بغطرسة.. نهضا عن كراسيهما لينحنيا بينما جلست مباشرة.

كان على الطاولة لفافة كبيرة وصندوق ذهبي مرصع بالمجوهرات وكتيِّب صغير، نظرت لخلقة إلمار بقلة صبر ليباشر الحديث بسرعة.

بالنظر لوجه أخته إيديث فيبدو لي أنها هي الأخرى بإنتظاره لتعرف ما الذي سيقوله، فلا أعتقد أنها تعرف ما بجعبته مثلي.

بدأت بطرح السؤال أولا:

إذن يا إلمار.. لقد جئت وأريد أن أعرف لماذا ترى أن آرثر لا يناسب الحكم؟

أشبك أصابعه ببعضها البعض ونكس برأسه عليها لبرهة، ثم أمسك باللفافة وفتحها لأعرف أنها خريطة!

بقيت أحدق فيها ياندهاش بادٍ! إنها معلَّمة بالكثير من الرموز، ومعظمها علامات × باللون الأسود باستثناء واحدة بآخر الخريطة لونها يختلف عن البقية.. بارزة بحجم كبير، مطليّة بالأحمر.

قربت الخريطة أكثر لأرى كيف يبدو هذا العالم، رسمه غريب جدًا.. لم أصرف عن بالي تلك العلامة الملونة بالأحمر، ولكن أردت أن أسأل عن شيء آخر مرسوم هنا ويبدو كدوامة! هناك اثنان منه، دوامة صغيرة وأخرى كبيرة، الصغيرة تبدو كأنها على يابسة، أما الأخرى فهي بمنتصف البحر بين ما يشبه قارتين.

إلمار وهو يسحب الخريطة نحوه قليلا:

هذا عالم ايرفوردن ويلت بعد الانقسام.

- بعد الانقسام!

هنا، شرع إلمار بالحديث والشرح...

منذ فترة طويلة أثناء فترة حكم الملك ماكسيم، كان عالم إيرفوردن ويلت عبارة عن أرض، أو بالأصح كتلة واحدة تضم المخلوقات الأحد عشر المنفصلة، وجميعها تحت إمرة الملك ماكسيم الذي قام بتعيين القائد الخاص لكل مخلوق من المخلوقات لتحكم نفسها وتكون والية على نفسها بأرضها، لكن يتم العودة إلى الملك فيما يخص القرارات المصيرية!

عرفت فترة الحكم تلك استقرارًا تامًّا بفضل حكمة وحنكة الملك الذي استطاع التحكم بزمام الأمور وتوفير الأمان لشعبه ومخلوقاته المتشعبة بالأراضي البعيدة.

كان قد أقر بقانون يمنع استخدام السحر لشعبه وبقية المخلوقات الأخرى، باستثناء الساحرات اللاتي قد رخَّص لهن مزاولته، فيعتبرن أحد الأركان الحامية والمدافعة عن المملكة، وقد خصَّص لهن موطنًا لوحدهن، أما عن الاستخدام الداخلي فقد كان مسموحًا للعائلة الحاكمة فقط تعلم فنون السحر وخصائصه، وقد تمدرسوا على أيادي أقوى الساحرات، كانت هناك استثناءات في بعض الأحيان.. إذ رأى الملك ماكسيم أنه لا ضرر في تعلم بعض من وزرائه السحر، إذ أنهم سيكونون خط دفاع أول، ومن جهة هم يحيطون بالقصر من كل ناحية.

استنكر العديد فعل الملك، خاصة وأنهم يرون أن المملكة تعيش في أزهى أيامها وأكثرها هدوءًا وسلامًا، لذا - برأيهم- لم يكن هناك حاجة لتوفير قوات دفاعية خاصة، وأنه لا يوجد من قد ينقلب على الملك أو المملكة، وحصول حرب ما أمر مستبعد بل مستحيل!

كان لماكسيم نظرة مستقبلية، يعرف أن البشر يسعون جاهدين خلف العيش بسلام وهدوء.. لكن يعرف أيضًا كيف هي حقيقة الكينونة البشرية التي تتّسم بالجشع وحبّ السّلطة ليفتعلوا حروبًا بينهم! غريزتهم الحيوانية والوحشية المخمدة.. ستشتعل يومًا ما! وهناك أيضًا ما يسمى

بالخيانة، لذا قرّر أن يقوم بتجهيز بعض القوات وتدريبها احتياطًا لأجل الكيح.

كانت اليد اليمنى للملك وزيره المقرب إيلفين.. الذي كان على اطلاع بجميع مخططات ماكسيم، وكان أيضًا أحد المختارين لتعلم السحر من الدرجة الأولى.

رزق الملك سابقًا بأول أبنائه.. الأمير فيكتور، ثم تلاه الأمير ويليام، صدح عالم إيرفوردن ويلت بقدوم ورثة للملك ماكسيم، خاصة أن الشعب كان يخفي قلقه وخوفه من موت الملك قبل أن يحصل على وريث للحكم، فقد تجاوز منتصف الستين عامًا، لكنه الآن قد رزق بولدين.

في أحد أيام السنة التي تنزل فيها العائلة الحاكمة للاحتفال مع الشعب بمناسبة عام الإيفرو الجديد حيث تجتمع المخلوقات قادمة من أراضيها للقاء الملك وعائلته، أثناء ذلك.. تبدلت الأجواء.. شعر الكل باهتزاز شديد فقد الجميع توازنهم إثره.

كان سابقة لم تعهدها الأرض من قبل، حتى أنها تشققت من شدته وتلبدت السماء بالغيوم السوداء، أما الغيوم التي تصب مياه النهر فقد أصبحت تصبه بغزارة لدرجة أن النهر السفلي لم يعد قادرًا على استيعاب الكمية لترتفع إلى اليابسة ملامسة سيقان الموجودين.

جميع النظرات كانت نحو الملك وكأنها تسأله ما الخطب وما الذي يحدث، امتطى ماكسيم عنقاءه صاعدًا إلى القصر، وأمر بعض الساحرات باللحاق به..

في قاعة الاجتماع الكبرى ثلاثة ساحرات عتيات يقفن مشكلات مثلثًا، وبالمنتصف ما يشبه الموجات الهوائية تعرض هذه الموجات عالم إيرفوردن.. صعق الجميع مما يرى من خلال الموجات التي تعرض! الأرض لم تعد كما كانت عليه من قبل.. الكتلة الواحدة انقسمت وصارت كتلًا متفرقة، وأكبر كتلة تتوسط الأرض بينما البقية يفصل بينها البحر.

شعر ماكسيم بالضياع والحيرة، بحث بعينيه عن أحدهم بين الموجودين ولكن لم يجده! يده اليمنى ووزيره إيلفين!

أمر إحدى الساحرات بتعقب مكانه فورًا وعرضه عليه على الموجة، عندما ارتسمت صورته كان مبتسمًا وكأنه يتوقع أن الملك سيقوم بالبحث عنه.

جالس على عرش فوق الماء، ومن خلفه جبل تنفجر من شقوقه عين وهي التي تجعل عرشه يطفو فوق الماء، قبضته تحت حنكه وهو ينظر إلى الأعلى بعجرفة شديدة.

قال:

قد ختم على الأمير فيكتور ختم الحكم على ساعده، إن استول ويليام بدلًا منه على الكرسي ستهتز الأرض مرة أخرى لتتشقق أكثر من ذي قبل، يبدو أن الجميع سيفقد ثقته بك.

لم يجب الملك، لكن سأله أحد الوزراء الموجودين:

ما مبتغاك من كل هذا؟

عدل من جلسته مجيبًا:

تطهير نسل الملكة إيفروناس والاستيلاء على الحكم!

كان حوارًا طويلًا فحواه بالمختصر أن إيلفين يسعى لدثر سليلي المؤسسة، والاستيلاء على الحكم له فقط، لكنه قام بعقد بشرط بينه وبين الملك، يتم توارث الحكم لأول ابن لكل ملك ولا يورث للابن الثاني وإلا كان لهذا عواقب وخيمة.

لم يرضخ ماكسيم لأوامر إيلفين بسهولة، ولكن الزلزال الكارثي الذي تسبب فيه إيلفين كان إشارة منه على أنه قادر على فعل أكثر من ذلك! بعد انقسام الأرض تمَّ تحديد القارات الجديدة، وبعدها، اتخذت المخلوقات الأحد عشر مواضع لها من كل قارة، ولا تزال تحت حكم نفسها كما عيَّنها الملك سابقًا، ولكن ما اختلف الآن هو أن المخلوقات

فقدت ثقتها بالملك، ولم تعد ترجع له في القرارات المصيرية، فتكتفي بحل الأمور بنفسها وانتهاج حكم ليبيرالي مستقل.

وافق الملك على العقد المشروط من إيلفين بعد أن تمَّ نفيه من المملكة بتهمة الخيانة، وأرسل ختمًا يوشم على ذراع الابن الأول لكل ملك كدلالة وإثبات على أن حامله هو ولي العهد القادم، وإن تم صرف العرش للابن الثاني الذي لا يحمل هذا الوشم فسيشهد عالم إيرفوردن ويلت كارثة لم يسبق لها مثيل!

***

بعد أن أنهى إلمار حديثه بقيت أفكر.. القصة ناقصة! العديد من الجوانب مملوءة بالثغرات، صيغ أسئلتي ستكون بكلمتي لم وكيف؟

لاحظ ذلك الارتباك عليَّ ليقول وهو يفتح الصندوق:

أظن أنك تعتقدين أن القصة ناقصة.

أومأت رأسي بنعم، أضاف:

هذه القصة كما سمعتها من الملك فيكتور.. والدك! أنا لم أشهد على الأحداث شخصيًّا، ولا أظن أن والدك قد أخبرني بكل شيء.

أرخيت بظهري للخلف متكئة على الكرسي وأنا أفكر، إذن لا يمكن أن يتولى آرثر الحكم، وإلا شهدنا كارثة أخرى، ولكن ما الذي يمنع إيلفين من قتل العائلة المالكة وحسب والاستيلاء على الحكم بدون

ضرورة اللجوء لأي عقد؟ لربما هناك أمر ما يحمي العائلة.. لكن لو كذلك لما تمَّ اغتيال الملك فيكتور الذي يعتبر والدي أثناء احتفاله بـ الإيفرو الجديدة.

غالبًا هناك أمر ما يمنع إيلفين من قتلنا واستخدام عقد يقتضي بـ الابن الأول، وإن تمَّ نقضه ستحل الكارثة التي ستجعل من الشعب يفـ ثقته تمامًا بالعائلة الحاكمة، وربما حينها ستسنح له الفرصة لإظهار تف كملك على الجميع.. إذن فهو ينتظر الفرصة أو الزلة منا ليقتنصها فالشعب لم يفقد ثقته تمامًا بالعائلة الحاكمة ويكنون بعض الوفاء لـ المخلوقات الأحد عشر ليست تحت إمرة أحد.. لا إمرتنا ولا إمـ إيلفين، لذا سيكون من الصعب عليه التحكم بها ما لم يكن ملكًا جليـ ويقطع بعض الوعود التي قد تجعلهم يرضخون للحكم نوعًا ما!

أثناء فتحه للصندوق سألته:

إن كانت الساحرات هنَّ من علَّمن إيلفين السحر كما تقول، فلمـ يساعدن الملك باستخدام سحرهن وسحق الخائن؟

أصدر قفل الصندوق صوتًا متزامنًا مع إجابة إلمار:

هل تعرفين المثل الذي يقول أن التلميذ أحيانًا يتفوق على المعلم؟

زفرت زفرة طويلة تدل على نفاد صبري وانزعاجي الشديد بعد كل شيء، تمنيت لو عرفت القصة كاملة كما هي من والدي.. الملك فيكتور!

أشعر أني أكاد لا أصدقها بسبب بعض الأمور الضائعة، أنا حصلت فقط على عناوين بعض الأحداث التي وقعت، أحتاج إلى التفاصيل.

أخرج من الصندوق الذهبي شيئًا لا أعرفه لأني لم أرَ مثله من قبل، كان مثل خشبة مخروطية الشكل مملوءة بالعديد من النقوش البارزة، مدَّ إلمار يده وهو ينظر إلى يدي وكأنه يريد مني أن أعطيها له.. مددت يدي ليمسكها ويمرر عليها تلك الخشبة الغريبة، شعرت بوخز شديد فوق معصمي حينها، توهَّج هذا الشيء، حاولت سحب يدي ولكن قام بالشد علي بقوة حتى اختفى هذا الوهج الأحمر نظرت للمكان الذي أشعر فيه بالوخز.. وشم لم يكن موجودًا من قبل، استغربت ليخبرني:

هذا الوشم لا يحمله سوى أول ابن للملك، ولا يظهر إلا عليه!

نظرت وقد كان مألوفا، هذا.. إنه النقش ذاته الذي يرمز إلى العائلة الحاكمة!

إيديث بعد صمت طويل:

لم لم يجعل السيد فيكتور المخلوقات الأحد عشر تثق به مجددًا، وحينها سيشكل حلفًا قويًا يطيح بإيلفين؟

نظر إليها بانزعاج، وسرعان ما قال:

وكيف سيمكنه ذلك؟

قلت:

لو تحالف الملك والمخلوقات، هل سيتمكنون من الإطاحة بالخان؟

شعر ببعض الارتباك وهو يفرك يديه ويقول:

نعم.. ربما!

أنا الآن أشعر بأني أود فعلها، بما أني أشعر بهذا.. فبالطبع أن الملك فكتور شعر بذلك أيضًا! إذن، ما الذي منعه من فعلها؟ الكثير من التساؤلات تسبح بعقلي.

تذكرت آرثر.. لا زلت أريده أن يكون الملك ولا أريد أن أتراجع عن هذا، ولكن يبدو أن الظروف تجبرني فعلًا و... أتذكر وجهه! أريد إسعاده!

لم تسنح لي الفرصة لأبكي عليه، شعرت بعينيَّ تغرورقان ولكن تمالكت نفسي، نظرت لإلمار:

ماذا عن آرثر؟ لقد أخبرته بأنه سيصبح الملك، ولا أريد ألّا أفي بوعدي!

إلمار:

هل تصرين على ذلك بعد كل ما أخبرتك به؟ أرى أنك متغيرة نوعًا ما، وأصبحتِ تتبعين عواطفك، وهذا ما لم أعهد منك!

أردت أن أجيب، ولكني شعرت بحركة صادرة من الشجرة التي خلفي، إنها ليست رياحًا وأنا أدرك ذلك جيدًا! نهضت إيديث واستلت سيفها، رفعت كفي لها لتهدأ وتنتظر.

اخرج! قلت.

لم أكن أعرف من المختبئ، ولكني تفوهت بهذا، خرج من خلف الشجرة.. آرثر!

نظر إلى وجهي ثم أنزل رأسه حرجًا وخوفًا مني، أمرته بالاقتراب، غالبًا لقد استمع إلى كل شيء.. وقف على يساري لأسحب له الكرسي ليجلس، استغرب أني لم أغضب منه، فغالبًا هذا ما ستفعله أخته التي يعرفها، ولكن هناك فرق شاسع بيني وبينها!

سأله إلمار إن كان قد استمع لما كنا نتكلم بشأنه، نظر إلي ثم أشاح بنظره وهو يهز رأسه إيجابًا، سحبت نفسًا عميقًا لأقول:

حسنا آرثر، أنا بعد كل شيء لا أريد أن أنكث بوعدي لك.

آرثر بانفعال:

لا أريد هذا إن كان سيتسبب بالدمار للمملكة!

لم أستطع صبرًا لأضرب الطاولة بقبضتي بقوة وبغضب شديد، صرخت بالثلاثة:

تحركت لأغادر، حينها أمسك آرثر بيدي يستوقفني:

وأنا أيضًا، سأذهب معك!

إيديث:

لن تتحركا بدوني!

بدا الانزعاج على إلمار ولكنه رضخ هو الآخر للأمر الواقع ليقول بأنه سيرافقنا، فلن يرتاح باله لمعرفته بتهورنا.

@ART_OF_BOOK

نساء الثعابين

السيروروس

القناطير

العنقاء

الأقزام

الملائكة المجنحة

مصاصي الدماء

العمالقة الضخام

سفينيكس

غريفون

الأوني

المستذئبين

لا تخبروني بأنكم تعتقدون أننا نعيش بسلام! ألا ترون أن إيلفين يشكل خطرًا علينا؟ ما دام هذا الخائن حيًّا فنحن بسلام مزيف، ولا نعرف متى قد يسحب الفراش من تحت أرجلنا لنسقط بهاوية لا نهاية لها!

وافقتني إيديث وهي تهز رأسها بحزم، أما أنا فقد ألقيت بقراري الأخير، وهو أن الملك الذي سيحكم هو آرثر لا أنا، والعقد المشروط الذي أُجبر عليه الملك ماكسيم سأقوم أنا بنقضه!

لقد بحت بمشاعري للثلاثة الجالسين أمامي، خاصة فكرة أنَّ المخلوقات الأحد عشر قد تخلَّت عن الملك في أشد حاجته إليها وقرَّرت حكم نفسها بنفسها، عندما يحصل هذا كيف سنسمي أنفسنا بالعائلة الحاكمة؟ أين هي هيبتنا ووقارنا عندما يتجرأ رعاع الملك على مخالفته؟!

الملك ماكسيم كان يسعى للسلام باستماتة شديدة لدرجة أنه لم يقاتل لأجل نفسه واكتفى بالعيش في هذا الوهم خوفًا من أن تصبح الأمور أكثر سوءًا! كيف ستعرف أن الأمور ستكون أكثر سوءًا ما لم تقم بالتجربة والمبادرة بالخطوة الأولى؟ كيف تجزم أنك لن تنجح؟ نحن سنبقى بخط البداية دائمًا ما لم نركض بأقصى قوتنا حتى لو كنا في سباق عدوٍ مع أسرع شخص في العالم! لماذا نسمح للتدخلات الخارجية بتقرير المصير؟ مصيرنا! قد نفوز بالسباق! الخوف من كلام الناس، الخوف من الفشل والسقوط.. لو بقينا نتمسك بمخاوفنا فنحن لن نجني ثمارًا لمبتغانا،

الفمة ما هي إلا جبل نبنيه من الفشل والإحباط، حتى تصل لآخر نقطة ونتصر!

لن أنكر حقيقة أني شخص جبان كان على أهبة الاستعداد للتخلي عن كل شيء والعيش في حياة روتينية رفقة أدا وبيرل، لكن بعض الحقائق التي نسمعها تجعل بركانًا من الغضب ينفجر بداخلك لتضرب بجبنك عرض الحائط! الآن.. الشيء الذي لم يقم به الملك ماكسيم والملك فيكتور سأقوم به أنا!

القرارات المصيرية تحتاج لإرادة قوية، وهذه الإرادة كامنة فيَّ أنا، سأعلن الحرب على إيلفين! الخائن الذي يقوم بالتحكم بنا كما يحب!

في نهاية الأمر أعتقد أن ما يغضبني حقًّا هو حقيقة أن إيلفين يحركنا كالبيادق، وهذا يشعرني بنوع من الإهانة الفظة التي لا أتقبلها ولن أفعل أبدًا! لا إيلفين ولا المخلوقات الأحد عشر ولا كيان في هذا الأرض سيقوم بتحريكي كيفما يشاء، أنا أحكم نفسي، ولكل شخص الحق في أن يحكم نفسه ويتبع إرادته هو لا غيره!

نهضت من الكرسي وأنا أعلن آخر كلام عندي:

أنا لن أرضى بهذا، وإيلفين سينال عقابه على يديَّ أنا عفراء، وما لم يفعله جدي ووالدي سأفعله أنا، والمخلوقات الأحد عشر تلك.. آن الأوان لتعرف مكانتها وتتأدب.

الساحرات

الشياطين

أعرف عن المخلوقات الأحد عشر من معلومات الجدة، كلٌّ منها بقارة، وأحيانا تعيش بذات القارة ولكن تفصل بينها حدود لا يمر أحد منها.

في حدود زندو القريبة منا تعيش أول المخلوقات، مصاصو الدماء، الذين كانوا أول من أعلن انفصاله عن حكم الملك.

ثانيًا المحاربون الضخام، عبارة عن كائنات خضراء اللون عملاقة، تستخدم المطارق الكبيرة والسيوف كأسلحة لهم، ولا أمتلك الكثير من المعلومات التي قد تفيدني عنهم.

ثالثًا الملائكة المجنحة، ليست كالملائكة التي أعرفها بعالمي، فالملائكة عندنا هي مخلوقات سماوية عظيمة تخدم عقيدتنا ولا نراها أبدًا، أما هذه عبارة عن مخلوقات مجنحة شقراء وعلى رأسها حلقة مستديرة.

رابعًا القناطير أو القنطور! نصفه العلوي بشري، والسفلي لحصان، كانوا أحد القوات الدفاعية لدى الملك ماكسيم، يعيشون بمتاهات قاموا بصنعها، وكانوا مميزين بالنسبة للملك السابق بفضل قدرتهم على التلاعب بالمتاهات، فبمجرد أن يلمسوها ستصبح أشد تعقيدًا ويكون من الصعب للغاية الخروج منها، وأخيرا سيموت من يدخلها.

خامسًا الغريفون، نصفه السفلي جسد أسد ورأسه رأس نسر وه مجنح أيضًا، اتخذهم الملك كحرس يجوبون سماء مملكته.

سادسًا الساحرات اللاتي قمن بتعليم إيلفين والعائلة الحاك السحر، سرعان ما فقدت الساحرات ثقتهن بالملك بسبب ضع ورضوخه للعقد المشروط فأمسى ضعيفًا في نظرهن، فانسحبن بهد حتى لم يصبحن تابعات لحكمه.

سابعًا المستذئبين، أكثر المخلوقات وفاءً للملك، ومن أوائل من تخلى عنه في حاجته، تجمعهم الحدود مع الساحرات في قارة زابورا التي تعتبر أكبر قارة، وأغلب الظن أنها تجمع حوالي أربع أو خمس أو حتى ست مخلوقات من المخلوقات الأحد عشر.

ثامنًا الشياطين، لدي معلومات قليلة بخصوصهم ولكن لم يميلوا من قبل لأي طرف، فوجود الملك ماكسيم أو عدمه سيان بالنسبة لهم، فهم معروفون بأنانيتهم المطلقة وخدمة مصالحهم الخاصة وحسب.

تاسعًا الأقزام! الذين قاموا بتشييد قصر الملك الهائل، إنهم اليد العاملة في عالم إيرفوردن ويلت.

عاشرًا نساء الثعابين.. أعرف أن قائدتهم تدعى ميدوسا، هذه المخلوقات شعرها عبارة عن ثعابين سامة متحركة ويستطعن السيطرة على مدى وقوة الضرر التي تسببه الثعابين برؤوسهن، وأيضًا يستطعن

إطلاق سرب من الأفاعي الزاحفة، ويتحكمن بقوة السم وهل ستكون ملامسة ثعابينهن سامة أم لا، معروف عنهن أنهن خبيثات من الدرجة الأولى، ولا شيء يقلقني سواهن.

أخيرًا مخلوقات الأوني وبمسها شياطين من نوع خاص أو عفاريت، إنها تشبه التي أعرفها بالأساطير اليابانية! يبدو أنها موجودة أيضا في عالم إيرفوردن.

هذه هي المخلوقات الأحد عشر التي كانت يومًا تحت إمرة الملك ماكسيم، وجميعها متفرقة بالقارات الخمس باستثناء قارة كاونتر.

قارة زندو.

قارة زابورا.

قارة توغال.

قارة ميناري.

قارة كاونتر.

هناك أيضا بعض الجزر المتفرقة، علامة × التي كانت في آخر الخريطة والملونة باللون الأحمر مُعلَّمة تمامًا في قارة كاونتر، أبعد قارة في الخريطة، وهناك يعيش إيلفين، المعلومات المتوفرة أن لا أحد من المخلوقات الأحد عشر يعيش بتلك القارة.. ومن ناحية أخرى يستبعد تمامًا أنه

كنت بحاجة لتشجيع، لذا سألتها:

ماذا عني.. هل تعتقدين بأني سأنجح؟

- لا أجزم تمامًا، ولكن داخلي مؤمن بك كثيرًا!

فرحت.. كلامها جعل شيئًا ما بداخلي مندفعًا، أردت أن أذهب إلى بيرل ولاحقًا مع نير لأرى ما يوجد بتلك الحفرة السوداء العميقة، قمت بالاستفسار منها أولًا قبل أن نذهب لتخبرني بأنَّ مخلوقات السفينيكس والسيربيروس تعيش بها.. في السابق كان عدد المخلوقات أربعة عشر ولكن الملك قام باحتضان هذين الاثنين خلف قصره وهما جزء لا يتجزأ من حاشيته، وهناك العنقاء، بعد الانقلاب بقوا مع الملك ولم ينفصلوا عنه مطلقًا!

سبق ورأيت السفينكس، ولكن لا أعرف ما هي السيربيروس لذا لم أسأل لرغبتي برؤيتهم بنفسي، قرع باب غرفتي لتخبرني أدا أنَّ وقع هذه الطرقات يعود لآرثر بالطبع، لقد تعرفت عليه بنفسي فأنا حفظت كيف يقرع الباب.. دخل عليَّ، لم أقم بصرف أدا هذه المرة فهي تعرف بكل شيء، نظر إليها ولكني أخبرته بأنها ستبقى.

كانت زيارة عادية في بادئ الأمر، سرعان ما بدأ يسألني عن مخططاتي وما الذي أفكر به وأنوي فعله.

نظرت إليه مليًا ثم قلت:

آرثر.. هل أنت مستعد للموت في سبيل المملكة؟

استغرب من صيغة سؤالي، ولكنه أجاب بأنه مستعد ولكن ليس للموت في سبيل المملكة، بل الموت في سبيلي!

لم أجد ما أقوله من الدهشة لتبتسم أدا وتوجه حديثها له:

سيِّد آرثر، لقد تغيرت! الآن أشعر بأنك نضجت فعلًا.

أمسك بيدي بكلتا قبضتيه وهو يشد بقوة ليجيب عليها:

ما سأفعله من الآن وصاعدًا سيكون لأجل أختي فهي ستكون دافعي المطلق.

نظر إلي وهذه المرة يقصدني بحديثه:

إن ذهبتِ فأنا ذاهب معك، وإن بقيتِ فأنا باقٍ معك.

حقًا أدا محقة، لقد نضج آرثر، وهذا أمر يسعدني للغاية! ويسعدني كون أدا برفقتنا، نظر إليها ليقول بإستهزاء:

ما دامت هذه معنا أيضًا فلا داعي للخوف، إنها تجيد التلويح بالسيف، وليست بالشخص الضعيف الذي تبدو عليه.

يعيش بمفرده! لذا يرجح أنه يعيش برفقة أي كائنات باستثناء مخلوقات الملك السابقة.

نظرًا لكبر القارات فسيستغرق الوصول إليه بدون انقطاع عن السير ثلاث اسابيع تمامًا، وقد تزيد المدة أكثر بما أني أنوي أن أعيد حكم العائلة المالكة وضم المخلوقات لنظام الحكم السابق، وقد نواجه بعض الصعوبات أثناء ذلك.. هذا ما لم نُقتل!

أنهينا ليلتنا العصيبة، في اليوم التالي لم أستيقظ.. لأني لم أنم ببساطة، فلقد بقيت أفكر.

لا يتوانى عقلي عن ربط الأمور ببعضها، سرعان ما تنقطع الخيوط المترهلة من نقص الكثير من المعلومات، خططت بأني سأحتفل مع الشعب بالأسفل بعام الإيفرو الجديد، فلم يتبقَّ إلا ست أيام على حلول السنة الجديدة، وغيابنا قد يثير الشك للعامة بالأسفل، لذا سننطلق بعد الاحتفال مباشرة.

كانت أدا الشخص الوحيد الذي بإمكاني أن أخبره بكل شيء، فهي تملك نوعًا من الحكمة ولن أحرم نفسي نصائحها. أخبرتها بما حدث ولم تبدِ أي دهشة، ولكنها كانت تنصت باهتمام بالغ، وبعد إنهائي لحديثي قالت:

سآتي معك.

رفضت رفضًا قاطعًا لا يقبل النقاش لتردف:

ألم تتساءلي من قبل لمَ لم أناديك بأي اسم تشريفي وأتفوه بعفراء مباشرة؟

في حقيقة الأمر نعم، لقد تساءلت، ولكن لم تسنح لي الفرصة ولا الوقت لسؤالها لذا، أجابت:

لأننا تربينا معًا منذ الطفولة.. كل ما تعرفينه أعرف مثله، قد لا تذكرين هذا، لكن دوما كنتِ تفوزين في السيف على آرثر وبياتريس لكنك لم تستطيعي الفوز علي مطلقًا!

كانت تقول هذا وهي تبتسم، سألتها إن كانت عفراء التي تعرفها ستقدم على الفعل الذي سأقدم عليه أنا؟

أخذت نفسًا عميقًا وهي تنظر للأعلى، ولم تختفِ الابتسامة عن محياها، بعد تفكير قالت:

نعم! كانت لتفعل ولكني أشك في مقدرتها على النجاح.

- لمَ تعتقدين ذلك؟

- إنها ذات طبع صعب، لذا قد تقتل على يد المخلوقات الأحد عشر بسبب هذا.

قالتها لتضحك بعدها.

لاحظتُ الانزعاج عليها لتغتصب ابتسامة غاضبة على وجهها، وتجيبه وهي تصك على أسنانها:

ماذا سأعتبر هذا يا آرثر؟ أهو مدح أم ذم؟!

لقد قالت آرثر بدون أي تشريفات، ضحك عليها ليغادر الغرفة وهو يقول:

مدح مدح.

ودعته وأخبرته بأني سأزوره لاحقًا للحديث بشكل أطول لأنه غادر بدون أن يجني ثمار زيارته.

***

ثرثرت كثيرًا مع أدا ونحن فوق كفّ بيرل التي ترفعنا عاليًا وتشارك في الحديث بين فترة وأخرى، سألت أدا عن سبب مخاطبتها لآرثر بدون أي تشريفات، عرفت أننا جميعًا تربينا معًا.. تناديه بالسيد آرثر عندما تكون قد اتخذت منه موقفًا سابقًا وكلمة "السيد" علامة على أنها لا زالت غاضبة منه! لذا فهي تناديه بكل الأحوال آرثر، إلا في حالة الغضب تضيف التشريف الذي يخبره بأنها لا تزال غاضبة، لم أسألها عن سبب غضبها منه لأني فهمت من كلامها أن علاقتهما تسري بشكل طيب، وهي بمثابة أخته الكبيرة، ولكنها مقربة مني أكثر منه.

تكلمت بيرل قليلًا عن حياة العائلة المالكة لأصدم بمعلومة جديدة عنها، وهي أن عمر بيرل هو 240 عامًا! قلت بدهشة:

بيرل، أنتِ عجوز!

لم يحزنها هذا مطلقًا وبدأت بالضحك، لقد كانت تتقبلني على الرغم من معرفتها أني لست سيدتها عفراء التي تعرفها، سيطر علي فضولي لأسألها لماذا لم تغضب، ولمَ تقبلتني حينما عرفت أني لست سيدتها!

بيرل بهدوء رجل عجوز:

عفراء لا تأتيني ولا تعاملني كما كانت تفعل بطفولتها، خاصة وأنها أصبحت تميل للطباع القاسية.

بدا وكأنها تخبرني بطريقة غير مباشرة أنها لم تعد تحبها أو لا تتأثر بها وبغيابها، فالأمران سيان لها، هززت رأسي بتفهم، سرعان ما أدركت! عمر بيرل 240 سنة.. إذن بالطبع قد عاصرت الملك فيكتور السابق وستخبرني ببعض الأمور التي لم يعرفها إلمار!

نظرت إليها وأخبرتها بأن تتوقف عن الحركة لتتكلم بموضوع مهم، لم أضيع ثانية وسألت:

الملك فيكتور، لقد تعرض للخيانة من وزيره إيلفين. ما هي تفاصيل القصة؟

للأسف، لم أجد عندها المعلومات الكافية بسبب أنها لا تتدخل وليس لها الصلاحية أساسًا لمعرفة كل ما يحصل، لكن أفادتني بحقيقة أمر ما، أن الملوك الذين حكموا قبل الملك فيكتور عاشوا لسنين طويلة تمتد حتى 170 سنة! لكن ماكسيم وافته المنية بعمر الخمس والسبعين عامًا، وكذلك الملك فيكتور.. الذي يعتبر والدي، مات بسن الثالثة والأربعين!

قلت بإندفاع:

والد بياتريس، الأمير ويليام، هل صحيح أن انتحاره كان بسبب أنه لم يتولَّ الحكم من بعد شقيقه؟

نظرت بيرل إلي كمن أزعجه ما سمع لتنطق:

ماكسيم وفيكتور وويليام، جميعهم تربوا تحت ظلي وأنا أعرفهم أكثر من أي شخص آخر! ويليام ليس جبانًا لينتحر لأي سبب كان! أنا لا أصدق أبدًا أنه انتحر.

بدأت أفكر قليلًا، لا أحد سيخبرني بهذا الكلام بإستثناء بيرل، فالجميع متمسك بحقيقة أن شقيق الملك الأسبق الأصغر قد مات منتحرًا! نظرت للوشم بذراعي بتأمل، لا زلت أريد معرفة الكثير، ولكن لا أحد يعرف القصة الكاملة، تمنيت لو أن الجد ماكسيم ترك مذكرة يشرح فيها كل ما حصل.

ودَّعت بيرل وأخبرتها بأني سأزورها بوقت لاحق، قامت أدا بالتصفير لمرَّات متتالية ولاحظت أنها تصفر بطريقة غريبة!

ذلك الحجم الضخم أكثر من غيره.. أنا أميزه، إنه نير قادم من مسافة بعيدة.

بمجرد أن رآني بدأ يقوم بحركات بهلوانية في السماء وهو يضحك، ضحكته تشبه ضحكة الأشرار بفلم ما.

نزل أرضًا واستقر، وبدأ كعادته يمسح بخده على وجهي، ذكَّرته ببزاقه علي ليتراجع خلفًا بتأنيب ضمير.. أحب تذكير الأشخاص بالأمور السيئة التي إرتكبوها بحقي!

امتطينا ظهره متوجهين لخلف القصر وكلي حماس ممزوج بتوتر لأرى السيربيروس.

وصلنا ولا تزال الهاوية مظلمة حتى مع حلول النهار ووجود ضوء الشمس، أمرته بالنزول للأسفل، حينها قامت أدا مرة أخرى بالتصفير على أحد العنقاء الموجود بقرب بيضها.. لم أسألها لمَ اقتربت العنقاء وطارت بمحاذاة نير عندما اقتربنا من الحفرة وبدأ ظلامها يصبح دامسًا أكثر، فجأة.. اشتعلت النيران بجسد العنقاء التي كانت بمحاذاتنا، ارتبكت واعتقدت للحظة أنها تعرضت لهجوم ما، لكن أدا أمسكت بيدي وهي ترمقني بنظرة تطمئنني بها.

أصبح المكان أشد وضوحًا بفضل النيران التي اشعلتها الطائرة بجسدها، الحفرة عميقة جدًا، وهناك العديد من الجحور المحفورة بجدران الهاوية تخرج منها رؤوس السفينيكس التي بدأت بالانبثاق والطيران على بعد قريب منا، جميعهم بدون استثناء بدؤوا بتحيتي بإجلال ووقار وبدا الترحيب والسعادة عليهم لم أتكلم، فقط أكتفي بهزّ رأسي لهم بابتسامة.

فجأة! سمعت صوت نباح قوي يشبه الزئير لحد ما، أمسكت بيد أدا، وكنت طبعًا كلما شعرت بخوف يبدأ الدمع يتجمع بعيني وتغرورق عيناي، اشتدت قوة الزئير لأمسك بدوري بقوة أشدَّ من السابقة معصم أدا وأنا أقول بارتجاف:

أدا.. هل بللت نفسي؟

ضحكت وقد تعودت على جبني وخوفي من أتفه الأمور، بدأ يظهر مصدر الصوت، إنها كلاب وليست كأي كلاب!

إنه كلب بثلاث رؤوس!

همست لأدا لتخبرني ما هذا الشيء!

أدا:

هذه هي السيربيروس، المخلوقات التي تحرس تحت الأرض.

- لم تنبح بوجهي؟ ألا تحترمني!

- من عادة الكلاب أن تنبح حتى بوجه صاحبها، ألا يوجد شيء كهذا بعالمك؟

لم أجب وبقيت أتأمل قطيع السيربيروس الكبير، لاحظت شيئًا بهم مشابهًا لطير العنقاء، وهو أن بعضهم بجسد تشتعل منه النار كذلك! يبدو أن هذه النيران لا تحرقهم مطلقًا.

سألت عن شدَّتهم وقوتهم لتخبرني بأنهم أشداء فعلًا، ولا يتمنى إنسان أو أي كائن أن تهجم عليه السيربيروس خاصة إذا كانت مشتعلة فهي ستكون أشد خطرًا.

أمرت نير بأن يتوسط المكان لأني أريد أن أقول شيئًا، بدأ بالارتفاع، حينها وجهت حديثي لأدا:

هل تتكلم السيربيروس؟

هزَّت رأسها نافية لكنَّها أكدت بأنها مطيعة للعائلة المالكة وتستطيع فهم ما تؤمر به وتنفيذه.

بعد أن أصبحت بمنتصف المكان صرخت:

أعيروني انتباهكم جميعًا!

بدأت السفينيكس والسيربيروس بالاقتراب وهدأ زئيرها المزعج لأردف:

نحن في وقت مزدهر ولا نعرف متى قد ينتهي، لذا أريدكم أن تعيروني قوتكم في الوقت المناسب.. أنا أتأمل الكثير منكم!

بدأت أستمع لهمسات السفينيكس بينهم، ولم أفهم أي شيء منها، همسات ونظرات مستغربة، لم يكن لي أية نية في توضيح أي شيء، فقط أردت أن يكون هذا من باب الاحتياط.

خرجنا من تلك الحفرة بعد أن قضيت مبتغاي منها، أردت أن أعرف، هل يمكن للعائلة الحاكمة أن تنزل لعامة الشعب في الأيام العادية بدون الضرورة لوجود مناسبة؟ عرفت أنه مسموح لفترة قصيرة، وألا يكون مكررًا، اغتنمت الفرصة ونزلت برفقة أدا على ظهر نير لرؤية التحضيرات التي بدؤوا بتجهيزها لنا لأجل الاحتفال بسنة الإيفرو الجديدة.

كنا نطير على مسافة بعيدة تمكننا فقط من رؤية التجهيزات التي كانت ببدايتها، لم يعرف أحد من العامة من يمتطي ظهر العنقاء تحديدًا سوى أنه من العائلة الحاكمة، لذا اكتفوا بالتلويح فقط من الأسفل.

شعرت برياح من الأعلى لأرفع رأسي فأجد طائر عنقاء آخر قادمًا باتجاهنا.. بقيت بانتظار اقترابه لأرى من يمتطيه، قلت باندهاش:

أوه إيديث! ما الذي تفعلينه هنا؟

أجابت وهي تبتسم:

"لقد جئت لأجلك" أخرجت لفافة من جيبها "لأعطيك هذه، لقد أوصاني إلمار بإحضارها لك"

لقد عرفت اللفافة مباشرة، إنها الخريطة التي رأيتها سابقًا، في حقيقة الأمر، لقد كنت بحاجتها لأعرف الطريق التي سنسلكها ليسهل علي التخطيط، وكذلك معرفة بأي قارة تتواجد كلٌّ من المخلوقات الأحد عشر.

شكرتها وأخذت اللفافة لأعود إلى القصر وأبدأ بالتخطيط أخيرًا!

الساعة 01:00 بعد منتصف الليل

في حديقة القصر الشاسعة المحاطة بالأشجار من حولها، يجلسون مشكلين دائرة، وأنا والخريطة بمنتصفها!

أدا، آرثر.. إلمار وإيديث، المدعو جود الذي عرفت سابقًا أنه من يدرب أفراد العائلة، وأيضًا امرأة سمراء مفتولة الجسد، تدعى فيرا.. جلبها إلمار برفقته لخبرتها بالطرق والتضاريس والترحال، عرفت من مصدري الموثوق أدا أن فيرا كانت ترافق الملك فيكتور في رحلاته القصيرة للقارات القريبة، وأيضا أستنتج من بنية جسدها أنها شخص قوي بإمكانه حمايتنا، غير أنَّ إلمار يثق بها وهذا كافٍ لتكون برفقتنا.

بعد أن بسطت الخريطة في المنتصف وجلست القرفصاء، طلبت من آرثر أن يقترب مني، فأنا سأستشيره في بعض الأمور، وأريده أن يشعر بأني أثق به وبرؤيته.

وضعت إصبعي على أول قطعة منفصلة لا تحمل أي اسم، وهي المدينة التي نحن بها، وهي أقرب قطعة أرض لقارة زندو، فيها جسر يربط بينها وبين القارة، بمجرد أن نقطع هذا الجسر سنمرُّ بمعبر الشجرة وحسب المعلومات التي بحوزتنا بفضل بعثات طيور العنقاء للقارة.

مصَّاصو الدماء يستظلون بتلك الأشجار الهائلة التي يفوق طولها ثلاثين مترًا، هذه الأشجار لا تسمح لأشعة الشمس أبدًا بالولوج للداخل بسبب ضخامتها وتشعب أغصانها ببعضها البعض، وأوراقها القاسية التي لا تحركها الرياح.. لذا ستكون أولى مهماتنا هي مقابلة أول المخلوقات الأحد عشر، وضمهم لصفوفنا وتحت ظل حكمنا، والخروج بأقل الخسائر الممكنة.

تاليًا في حال نجحنا في ضمهم إلينا، سنمر من معبر الشجرة لنتوغل أكثر بالقارة ونقابل المحاربين الضخام، سنحاول قدر الإمكان التسلل لمسكنهم دون الظهور أمامهم.. فالمحاربون الضخام ذو غريزة حيوانية شديدة ويهجمون على أي شيء يقف أمامهم، ولا يطيعون سوى القائد أو الشخص الذي يحكم القائد، لذا سنقصد قائدهم، وستتم عملية التفاوض والتناقش معه بروية وإقناعه!

وأخيرًا آخر مخلوقات قارة زندو! الملائكة المجنحة.. لو حالفنا الحظ

واستطعنا ضمهم فحينها سنمر من طريق جبلي طويل، قد نستغرق أيامًا لنصل بعدها إلى القارة الكبرى.. زابورا! التي تضم خمس مخلوقات تفصل بينهم الحدود.

أول المخلوقات التي ستستقبلنا بالقارة الكبرى حسب الخريطة هي القناطير، ويجب علينا أن نكون في أهبة استعدادنا وفي أعلى مستوى من الانتباه والحذر، فأغلب الظن أننا قد نقع بفخ متاهاتها، وقد ينتهي أمرنا هناك، لذا يجب أن نتحرك كفريق واحد لتفادي الضياع وفقد أحدنا للآخر، لو حالفنا الحظ هنا أيضًا ونجونا، سنكمل لنمُرَّ بالغابة الصخرية المظلمة التي تعتبر حدودًا بين مخلوقات القناطير والغريفون الذين سنلتقيهم تاليًا، بالخريطة رسم لكهوف، لذا يبدو أن هذه هي مساكنهم، وهم بأعداد كبيرة، ولا نستبعد أنهم مخلوقات وحشية وعدائية.

تاليًا.. الجدار الضخم!

جدار ممتد من بداية عرض القارة لنهايتها، ولا يمكن أن ندرك طوله مهما رفعنا رؤوسنا للأعلى، فهو لا ينتهي، وقد يصل بالتقريب إلى ثلاثين ألف قدم، ويعتبر أحد معجزات الأقزام التي بنوها بأمر من الملكة أيفروناس قبل الانقسام.

بعد أن نجد طريقة أو حلًّا ما يمكِّننا من مرور هذا الجدار العظيم سنقابل الساحرات، قد لا يستغرق الأمر طويلًا معهن بسبب قربهن من

الملك السابق ماكسيم، وأظن أن قطع بعض الوعود عليهن سيكون بالغرض، ثم سنمر من قرية ثلجية، وبما أن الحدود لا يسكنها أحد لن نجد أي مخلوق بها، وقد تكون محطة راحتنا لليلة واحدة، سنجهز أنفسنا للقاء المستذئبين بعد مرور غابة أشجار الجاكراندا. سنعرف أننا وصلنا لوجهتنا عندما نرى قرية بأشجار معلّقًا عليها كابينات خشبية، وستتمنى أن نحظى بترحيب يليق بنا منهم.

آخر مخلوق في القارة الكبرى.. الشياطين!

أكثر ما قد نواجه صعوبة بضمهم إلينا، فهم لا يعبؤون للعائلة الحاكمة ولا توجد وعود مغرية لتقدمها لهم، فهم بنهاية المطاف يخدمون أنفسهم بأنفسهم، ولا يحتاجون لأي مصدر خارجي يمد لهم يد العون.

في حال نجحنا معهم -ونسبة نجاحنا طبعًا لا تكاد تتجاوز الواحد بالمئة- سنبحر إلى قارة توغال، قارة أشد المخلوقات فتكًا! سنفتتح لقائنا بمواجهة أكثر ما أخشاه وهو.. نساء الثعابين! وكونهنّ نساءً سيكون أصعب شيء نواجهه برحلتنا، فلا شيء قد يرضيهن بسهولة، بعيدًا عن التذكير بأنهنّ أشد خبثًا من أي كائن قد نقابله، وعدوانيات لدرجة لا توصف! لذا سيكون من الجيد التأني عند مقابلتهن، والتفاوض بعقلانية، وعدم السماح لهن باستفزازنا أو جعلنا نبادر بالهجوم عليهن، فنحن سنخسر في جميع الأحوال حتى لو رجحت الكفة لنا من ناحية العدد والتكتيك، فالسم الذي يستخدمنه قاتل وفتاك.

تاليًا.. الأقزام، ولا أعتقد بأننا سنواجه معضلة معهم، فهم أقزام في نهاية المطاف!

أخيرًا وليس آخرًا..

قارة ميناري، وهي مسكن لمخلوقات الأوني فقط! أحد أكثر المخلوقات عقلانية، وقابلة للتفاوض، ما لا تحبه الأوني هو الضغط والإصرار على موقف ترفضه من البداية لذا سنكون أكثر حكمة معها متأملين النصر.

حينها ستتبقى آخر قارة.. مسكن الخبيث إيلفين، سنصل إليها باستخدام سفينة متجهة من قارة ميناري حتى كاونتر! بمجرد أن نتمّ عملنا هذا سنعيد كومة القذارة ذاك إلى الواقع ونسقطه، وسيكون عبرة للجميع ولأي شخص ينوي خيانة العائلة الحاكمة أو الانقلاب عليها، وحينها سينقض العهد وسيكون آرثر الملك المستقبلي لمملكة أورورا، وتعود الأرض قطعة واحدة، وتنتهي قصة القارات، وستكون جميع المخلوقات تحت إمرة الملك، وستستعيد العائلة ماء وجهها في النهاية.

أنهيت شرح خطتي وكيف سيكون مسرى الرحلة، وسيكون هذا مباشرة بعد الاحتفال بعام الإيفرو الجديد رفقة الشعب بالأسفل، حينها سننطلق في نفس الليلة نحن السبعة فقط!

وجهت نظري لآرثر ليرفع بصره إلي وتلتقي عيناي بعينيه، رفعت حاجبيَّ له بدلالة ما رأيه بحديثي. نظر إلى الخريطة مطولًا وكان إصبعه على الجدار العظيم بقارة زابورا، حدق لفترة ثم قال:

أعتقد أنه من الصعب، بل المستحيل أن نعبر من هذا الجدار، لذا سأقترح أنسب حل لتلافي تضييع وقتنا.

أزاح بإصبعه لقارة توغال وأضاف:

بدلا من تكبد عناء المرور من الجدار العظيم بعد ضم القناطير والغريفون، سنذهب مباشرة لقارة توغال باستخدام مركب، ونقابل المخلوقات التي هناك، وبعدها سنستقل المركب ذاته لنعود إلى قارة زابورا، ولكن هذه المرة سنرسو خلف الحائط.

فيرا:

نعم صحيح، إنها نفس ملاحظتي، لأن الجدار شاهق لدرجة لا توصف!

أرثر:

تحديدًا! من المستحيل المرور عليه برًّا، لذا سنلتف عليه.

كلامه منطقي وصحيح، هذه الخطوة توفير وكسب للوقت.

نظرت إليه وقد ضاقت عيناي من ابتسامة الفخر التي أعتصرها.. أمسكت بكلا خديه بقوة أسحبهما وأنا أقول: أخي الصغير الذكي النابغة العبقري المحنك...

فكَّ يدي عن وجنتيه بإحراج وهو يمسح على جبينه بخجل.

ضحكت عليه، فقد شعرت بأني الأم التي تحرج ابنها بمدرسته عندما تناديه بكل دقيقة أمام أصدقائه وهي تقول هذا ابني، انظر هنا صغيري!

شعرنا بحركة خلف الأشجار، نظرت خلفي لتنهض فيرا من مكانها متوجهة للشجرة، لم تصل حتى خرج من خلفها روي.. هل سمعنا؟

أجزم أنه سمعنا من خلال رؤيتي لهذه الملامح المرتبكة.

رفع رأسه ونظر إلي ليقول:

سآتي معك!

ضربت جبهتي بكف يدي بنفور من الوضع الذي نحن به، نهض آرثر بقلة صبر نحوه وهو يسأله ما الذي سمعه من حديثنا.

أمرت آرثر بالرجوع والجلوس في مكانه، فقد سمع روي كل الحديث، لم يبدُ عليه أي خوف، وتقدم نحونا وبدأ يسأل لماذا نريد أن نفعل كل هذا، ومن هو إيلفين الذي نسعى لدحره، اقتربت من أدا وهمست:

إنه جميل للغاية! لكن أهو قوي بقدر ما هو جميل؟

اقتربت لتهمس بدورها:

لا أحد ضعيف من العائلة الحاكمة!

أضفتُ بالهمس ذاته:

يتبين لي غباء عفراء بكل مرة، كيف لها ألا تعجب بهذا الجمال؟!

نظرت يمينًا ويسارًا لتقول بأذني ضاحكة:

لأنها لا تعرف مصلحتها.

أمرت روي بالجلوس وطلبت من إلمار إخباره بكل شيء، فلربما نستفيد من قوته ونحضره معنا.

بينما إلمار يقص عليه قصة الملك ماكسيم وإيلفين، سألت أدا بأذنها:

روي من العائلة الحاكمة إذًا، ماذا يكون؟

- قريب لعائلة زوجة الأمير ويليام، لقد كان والده أحد الوزراء أيضًا.

- إذن، هو قريب بياتريس؟

- نعم، من طرف والدتها!

بعد أن أخبره إلمار بكل شيء، بقي يفكر قليلًا، وبكل الأحوال نحن نعلم أنه سيأتي برفقتنا.. بعد لحظات أكد لنا بأنه سيرافقنا.

انتهى اجتماعي بهم، وقمت بصرفهم جميعًا، وسيكون موعدنا بيوم احتفال السنة الجديدة.

سنة الإيفرو الجديدة 412

الضجة تعمُّ المكان.. في غرفتي، وأمام مرآة، تقف الكثير من النساء يعرضن على أدا الفساتين لتختار لي أيها سأرتدي للظهور به أمام الشعب، الكل مشغول بتجهيز نفسه.

عندما وقفت بوقت سابق من شرفتي، رأيت سربًا من العنقاء، على ظهورهم أردية ملونة، وتحمل رمز العائلة الملكية! نفس الرمز الذي وُشم على ذراعي.. على رؤوسهم ما يشبه الخوذات، استطعت تمييز أن هذه هي التي سنمتطيها لننزل بها إلى الأسفل بينما الطيور التي ليست مزينة برداء أو غيره ستقوم بعرض في السماء كنوع من الاحتفاليات وإبهار الشعب.

كان إرضاء أدا بأي فستان صعب، لذا بقيت ترفض كل الفساتين التي يتم ترشيحها لي لأقول:

اختاري أي واحد منها لأرتديه، فالأمر ليس بهذه الأهمية.

كان لدي أمر مهم أخبر به إلمار، لذا خرجت مؤقتًا من الغرفة، بعد بحث مطول عنه، وجدته وقد كان مشغولًا لدرجة لا تعقل، حتى أنه قال بأنه سيكلمني لاحقًا بسبب انشغاله.

لم أطق صبرًا فتوجهت لأخته إيديث لأكلمها بدلًا عنه، لقد كانت تتجهز بغرفتها لذا لم أتكبد عناء البحث.. بعد أن رأتني قامت بصرف خادماتها لتتكلم بأريحية، نظرت إليها وأخبرتها:

إيديث.. أنا أثق بك، وأريد أن أوكلك بمهمة، لذا فلتبقي الأمر سرًا عن الجميع بدون استثناء.

هزَّت رأسها بطاعة، أخبرتها بما أريد، وارتحت بعد أن تأكدت بأني أستطيع الوثوق بها بما يخص هذا الأمر، غادرت مباشرة لغرفتي.

بعد نصف ساعة.. الجميع بالأسفل، كنت آخر الواصلين لتستقبلني بياتريس بسخرية:

أنتِ تعلمين أننا نستطيع الإحتفال بدونك!

نظرت إليها وقد أعجبني مظهرها للغاية لأرد:

عزيزتي بيا بغاية الجمال، أظنك ستخطفين الأضواء عن الجميع.

كنت ألاحظ استغرابها الممزوج بالاشمئزاز كلما ناديتها بعزيزتي بيا، نظراتها تذكرني بجدتي في كل مرة أرسل لها قبلة طائرة.

سألت أدا عن سبب هذه النظرات لأعرف بأن عفراء وبيا لا يحتكان ببعضهما البعض كثيرًا، خاصة أن عفراء توبخها في كثير من الأحيان، لذا فهي تستغرب هذا التغير مني ودعوتي لها بعزيزتي بيا!

نظرت لآرثر الواقف بجانب روي، في كل مرة أرى فيها هذين الاثنين أشكر الجدة ألف مرة، وأتمنى ألا أعود لما كنت عليه سابقًا.

ركبت نير الذي كان مزينًا بحلة من المجوهرات ورداء كبير، وما يشبه الخوذة المرصعة بالياقوت الأخضر أعلاها، لقد كان أكبر طيور العنقاء حجمًا.

بمجرد أن تحرك نير، بدأت الطيور الأخرى تتبعه وتنزل للأسفل، بدأت الهتافات ترتفع وتتعالى من العامة وأهازيج النساء والأطفال مرحبين بنا.. لقد زينت المدينة بالكثير من الأشرطة الملونة، كانت هناك فرقة موسيقية، ارتفع صخب عزفهم وقرعهم عند رؤيتنا ليجتمع أمامهم الشبان والشابات يتراقصون على إيقاع الموسيقى، أكشاك على رصيف طويل تفوح منها رائحة طيبة، هنا راقصات أيضًا يرتدين زيًا موحدًا، شعورهن سوداء طويلة، يتمايلن بانسجام، أطفال يمسكون ما يشبه المفرقعات، لكنها مختلفة عن التي أعرفها، من جهة أخرى من يحمل أعلامًا عليها الرمز الملكي يلوحون بها أمامنا بسعادة عارمة، بالكاد تتحمل طبلتا أذني هذا الصراخ والموسيقى والعزف على الأبواق.. شعرت بأني أريد أن أرقص، سرعان ما قرصت أدا رسغي بدون أن ينتبه أحد وهي تقول بابتسامة تبعد عنها الشبهات:

إياك والتهور وفعل أمر سخيف، تصرفي كالملكة، ولا تمشي مشية القنفذ التي تمشينها دومًا.. اجعلي ظهرك منتصبًا كالوتد، ورأسك

مرفوعًا، واكتفي بالابتسامة بهدوء والتلويح للشعب، لا تتعمق بالحديث مع أحد وكوني سطحية.

لم يجرحني شيء كوصفها لمشيتي بأنها تشبه القنفذا! حاولت رفع مستوى هيبتي والتصرف كعفراء التي يعرفونها واعتادوا عليها بكل سنة، ليست طباعي ولكنه ليوم واحد وحسب، الكثير من الأشرطة الملونة تتطاير بالأرجاء، نزلنا من الطيور لأماكن مخصصة لنا.. هنا المكان يطفو فوق نهر أيضًا، ولكن هناك جسور وقوارب صغيرة الحجم ليتنقلوا بها، والمساحات ليست ضيقة، سمعت صرخات نساء من خلفي، استدرت بفزع لأجد أنهن فقط حفنة من الغبيات اللاتي بدأن بالصراخ لمجرد أن آرثر لوح لناحيتهن..

جلسنا وكان يفصل بيننا مسافة النهر التي لا تشبه مسافات الأراضي الأخرى، بعيدة نوعًا ما كي لا يقرب منا.

بعد أن جلس كلٌّ بمكانه، بدأت ألاحظ حركة بالنهر، ليخرج منها ما يشبه دلفينًا أصفر، ولكن بقرن على رأسه.. انبهرت فقد بدأت هذه الحيوانات بالقيام بحركات استعراضية ويبدو أنها مدربة فعلًا.

استمر العرض لمدة عشر دقائق لينتهي بتصفيق حار من الجميع، أعلن أحدهم والذي قد أُطلقَ عليه لقب منسق، أن عرض طيور العنقاء سيبدأ بعد قليل.

الطيور التي أحضرتنا كانت بمكان قريب ولم تتحرك، بينما الطيور الأخرى التي لم تكن قد زينت بأي شيء قد بدأت بالارتفاع للأعلى لتبدأ عرضها، لم يدهشني مطلقًا فأنا أراه بطريقة شبه يومية خلف القصر، وعندما أكون برفقة بيرل لذا من سيندهش من العرض هم الشعب فقط! سرعان ما غيرت رأيي حينما رأيت الطيور تشتعل!

يبدو أنها تستطيع إحياء نيران بجسدها بدون أن تحرق نفسها، تذكرت تلك العنقاء التي كانت برفقتنا في الهاوية، لقد اعتقدت أنها الوحيدة القادرة على ذلك.

انبهرت بحق عندما كان سرب من العنقاء مشتعلًا ويدور حول نفسه بطريقة متوازنة وبدون أن ترتطم بعضها ببعض.

أعربت لأدا عن انبهاري بقدرتهم على إشعال النيران، وقلت بأني سأطلب من نير أن يقوم بذلك لأجلي من وقت لآخر لتخبرني أدا بأسى:

نير أقوى الطيور وأضعفها.

أجبت باستنكار:

أدا.. أنا الشخص الوحيد الذي يحق له التلاعب بالكلمات، لذا لم أفهمك!

- نير أقوى طير من طيور العنقاء، وأرجح أنك تعلمين ذلك نظرًا لحجمه، لكن.. نير لا يستطيع أن يشعل النيران بجسده كما تفعل البقية فمهما حاول فهو يفشل.

نظرت إليه من بعيد وقد كان ينظر للطيور الأخرى بحزن، يبدو أنه يتألم عند رؤيته لهذا.

استمر العرض لربع ساعة لينتهي هو الآخر بتصفيق حار من الشعب.

بدأ الخدم يمتثلون أمامنا وهم يقومون بتضييفنا، يركبون القوارب ليحضروا الولائم ويعودون إلى اليابسة الأخرى.. عرفت بأننا ستناول الأكل ونجلس قليلًا ثم نبدأ بالتجول بالقارب حول المدينة والاستماع إلى العامة والتواصل معهم.

لم يهدأ الجو مطلقًا فكلما طال الوقت زادت شدة الاحتفالات، بعد ساعة حان الوقت لركوب القوارب.. كنت بنفس القارب مع أدا وآرثر وروي، بالقارب الآخر بياتريس مع ما يبدو لي اثنين من الوزراء الذين سبق أن رأيتهم بأول يوم.. خلفنا إيديث وأمامنا إلمار برفقة جود وفيرا.

البيوت بسيطة وعادية، ومن ناحية أخرى تكون بساطتها مبهرة جدًا، وصلنا لليابسة، وبدأنا بالتمشي والتوقف والتكلم قليلًا مع الناس من حولنا.. بعضهم يشتكي، وبعضهم سعيد، والآخر يشعر بالامتنان.. طريقة تقليدية معروفة.

بينما أنا أكلم أحد العجائز الذين تقدمت نحوه لكشكه.. سمعت بياتريس تصرخ باسم آرثر، نظرت خلفي بسرعة لأجد العديد من السهام المشتعلة تستهدفه.. قفزت إيديث وهي تستل سيفها، وقامت بصدها وإخفاء آرثر خلفها!

قامت بتمرير سيفها على فستانها ليتمزق وتُكشفَ ملابسها الحربية، قامت بالتصفير لأحد طيور العنقاء ليأتي نحوها مسرعًا، امتطته وهي تنظر لي وتخبرني بألا أتحرك وأبقى برفقة آرثر.

لقد كانت السهام من ناحية الشمال، لذا ذهبت مباشرة هناك وهي تبحث عن الجاني، أمسكت بأخي وأنا أضمه لي.. بقدر ما كنت أشعر بالخوف عليه كان يشعر بالخوف علي كذلك، ويحاول اخفائي خلف ظهره، بينما روي واقف ويحاول أن يكون درعًا لكلينا، ارتفعت أصوات الجميع الخائفة وقد شعروا بالهلع.. يبدو أن حادثة اغتيال الملك فيكتور قد تسارعت لذاكرتهم.

بحثت عن إلمار ولم أجده، أثناء بحثي رفعت رأسي لأرى شيئًا ما يلمع من أحد النوافذ.. دفعت آرثر ليقع أرضًا حينها جاءت العديد من السكاكين المتتابعة للرقعة التي كان يقف عليها، سارعت فيرا نحونا مسلحة وهي تحاول أن تحمينا وتبحث يمنة ويسرة وهي تصرخ في جود بأن يمتطي أحد الطيور ويبحث عن الفاعل.

كانت الضجة والحركة والتدافع ما يجعلني أقلق، ازدادت مخاوفي من أن يأتي أحدهم بوسط هذا الزحام ويقوم بطعن آرثر، صرخت عليهم:

أين اللعين إلمار أو أي أحد، فليكن قريبًا!

أمسكت بذراع روي وأنا أتوسل إليه بأن نقوم بحلقة نحمي آرثر بها، فلا أحد مقصود من هذا الهجوم غيره، بالفعل أمسك بيدي وكان آرثر بمنتصفنا وغير راضٍ عن الوضع وعن حقيقة أننا نحاول حمايته بينما لا يقوم بأي شيء. عادت إيديث تخبرني بأنها فشلت في تعقب الفاعل، جاء عقبها مباشرة إلمار يمتطي طائره وهو يقول:

لقد رأيت أحدهم منذ البداية، ولكنه كان ملثمًا، حاولت اللحاق به لكن لم استطع، آسف على هذا.

بئس الأمر، لقد توقعت هذا مسبقًا لذا أخبرت إيديث بأن تبقى متأهبة وتقوم بحماية آرثر بالحفل، فأنا أعتقد بأنه سيكون مستهدفًا خاصة بعد إعلاني عن أنه سيكون الملك القادم!

الآن أكاد أؤكد أن الخائن هو أحد الوزراء!

انزعجت للغاية وأمرت الجميع بالعودة إلى الأعلى، وعليهم مقابلتي بقاعة الاجتماعات مباشرة!

***

كان الأمر يعنيني وبشدة، دخلت وأنا ألعن بصوت عالٍ بينما الجميع ينحنون أمامي بالقاعة الكبرى.. صرخت فيهم ليقفوا! ضربت الطاولة عدة مرات بقبضتي وأنا أصيح:

فليعلم من قام بهذا الفعل أني سأجعله عبرة، ولن يتسنى له وقت حتى لبعض أصابع الندم، لذا من قام بهذا فليعترف، فذلك أهون من اكتشافي أنا له!

لم يجب أحد، والجميع رؤوسهم مطأطأة، ضربت الطاولة مرة أخرى بقوة وأنا أصرخ وقد شعرت بأوتاري تشد:

لآخر مرة، من الفاعل؟!

تكلّمت بياتريس، وهذه المرة تخلت عن لكنتها المتعجرفة معي لأنها تبدو خائفة مني فعلًا:

لمَ.. تعتقدين.. أن الجاني هو أحد الوزراء؟

نظرت إليها بحدة لأجيبها:

أنا لا أعتقد.. بل متأكدة أنَّ الجاني هو أحد الموجودين هنا!

بقيت أتفحصهم بنظري الواحد تلو الآخر وبهدوء؛ لأرى أيهم يحمل على ملامحه توترًا أو أي علامة تجعلني أشك به! نظرت لبياتريس، سرعان ما أشحت بنظري عنها لأنها مستبعدة تمامًا، روي! بقي ينظر لي ولم يشح بنظره عني أبدًا، ونظراته تحمل نوعًا من التعاطف لذا استبعدته، جود..

بقي ينظر ببرود وثقة، أستطيع تمييز الجاني الذي يتظاهر بالثقة والبرود الجاش أمامي، لذا فهو مستبعد ويثق بأن لا يد له في الموضوع.

تاليًا أحد الوزراء، نظر ثم زفر بقلة صبر.. استبعدته، بجانبه إيديث! نظرت لثواني قليلة لأبعد نظري عنها هي الأخرى؛ فأنا لا أشك فيها منذ البداية، بجانبها شقيقها إلمار.

عندما كادت أن تلتقي عينانا تكلمت إيديث قائلة:

هل لي أن أكلمك بموضوع؟ الآن!

لم يكن الوقت مناسبًا، حتى أن إلمار كان منزعجًا وأخبرها بأنه يجب عليها تأجيل ما ستقوله، لكن مع ذلك كنوع من الامتنان لها لإنقاذها لآرثر سابقًا خرجت معها من القاعة لأسمع ما تريد التحدث حياله.

أخبرتني بأن نؤجل رحلتنا لليلة وأمهلها بعض الوقت، وستعرف بنفسها من الجاني ولن ترحمه أبدًا.. كان من الصعب عليَّ أن أقوم بتقديم موعد الرحلة للأمام، فأنا قد عزمت على التحرك اليوم ليلًا!

اعتذرت منها لعدم مقدرتي على تلبية طلبها لتقول:

لا تعتقدي بأن الجاني سيعترف، فهم جميعًا يعرفون ضريبة الخيانة!

نظرت أرضًا لأقول بعجز:

ما الذي يجدر بي فعله إذًا؟

- أنا لن أترك هذا الأمر يمر مرور الكرام، قومي بتولية هذا لي، وأعدك بأني سأجده، ولا أريد لإلمار أن يعرف لأنه سيحاول البحث عنه بنفسه، أنا أريد فعل هذا شخصيًا بدون أي مساعدة من أحد.

- ومتى ستأتين لي بالجاني؟

فكرت قليلًا وبدا الإحراج عليها لتقول بضيق:

بما أنك لا تنوين تأجيل الرحلة فأنا لا أستطيع فعل شيء بهذا الوقت القصير، وأنتِ تعرفين مدى إصراري على مرافقتكم.. لذا بمجرد أن نعود فأنا سأبدأ مباشرة بعملي!

شعرت بجسدي يعتصر من الحال الذي نحن به، لم أرضَ عن هذا مطلقًا، جميعنا لا حيلة لنا.. نظرت نحوها وقد كانت تشعر بنفس الأسى لتقول وعيناها مغرورقتان بالدمع:

لقد فشلت مرة أخرى.. الذي أراد قتل آرثر اليوم هو نفسه الذي قتل الملك فيكتور!

إنها محقة، هناك من ينوي علينا، ويجدر بي معرفته بأسرع وقت ممكن.. أمسكت بكتفها وأعلمتها بأن تصرف الجميع بالقاعة، وموعدنا سيكون الليلة، ولتخبر رفاقنا، أما عن العامة فلترسل مرسولًا لهم يعتذر لهم عما حدث اليوم، فلم نستطع الاحتفال معهم كما كان يجب.

شعرت بالضياع الشديد، وبدأت أجر أذيال الخيبة خلفي لأخرج إلى الحديقة، فأنا أحس بأني بحاجة للحديث مع بيرل أكثر من غيرها.

لم أمشِ كثيرًا حتى استقبلتني وهي تمد كفها كما تعودت أن تفعل، ولم تتكلم وكأنها تعلم بأني في حاجة ماسة للحظات صمت قبل أن أبوح بما في داخلي.

إنها تعلم بالتأكيد بما حصل بالأسفل، نظرت إلي بحزن وكانت نظرتها كفيلة بإعطاء إذن لدموعي بالانهمار.. آخر مرة بكيت فيها بهذه الطريقة كانت عندما طردت من وظيفتي لأول مرة، سرعان ما تعايشت مع الوضع! لقد بكيت بشدة وأنا أمسح دموعي التي لا أريد إظهارها لأحد.. هذه المرة شعوري بالعجز هو ما يبكيني، على الرغم من معرفتي لما سيحدث اليوم وأخذي لإحتياطاتي إلا أني فشلت في كشف الجاني.. صحيح أن آرثر بخير وعلى قيد الحياة، ولكني لا أضمن بأن هذا لن يعاد مرة أخرى!

بعد أن بعد هدأت والتقطت أنفاسي نظرت لبيرل وقلت:

سـتنطلق الليلة، أنا شـخص ضـعيف، ما يميزه هو إرادته القوية وحسب.. لا أعرف ما الذي سأفعله.

تحركت أغصان من سبابتها وكأنها تنمو بسرعة لتخرج منها أوراق شديدة الخضرة، قامت بتمريرها على وجهي كنوع من المواساة.. بقينا

على وضعنا، لا أحد يكلم الآخر لفترة، أستطيع أن أشعر بنظراتها تخترقني، وكنت أتمنى بداخلي أنها لا تشفق علي، بدأت بالزحف بي نحو الغابة لتتوغل لوسطها حتى توقفت أمام الكثير من الأشجار المختلفة التي يبدو أنها تلمع ببريق خاص.. أنزلتني أرضًا لتبدأ بالبحث خلف الأشجار وقد بدأت تنبش عن شيء بدا أنها أحسنت إخفاءه جيدًا!

توقفت عن فعلها لأعرف أنها وجدت ما كانت تبحث عنه، ولكني لم أتبين ما هو بسبب أنها تخبئه، تكلمتْ:

ما هي غايتك؟

كانت لي غاية وحيدة ولم أحتج أن أفكر طويلًا:

حماية آرثر واستعادة مجد المملكة!

انفرجت أساريرها وكأنَّ هذا ما أرادت سماعه تمامًا! أخرجت ما كانت تخبئه.. مجلد بني اللون مربوط بخيط بطريقة احترافية، وقد ختم عليه ختم المملكة، مدته لي قائلة:

الملك فيكتور والأمير ويليام كانا مقربين مني للغاية، حتى بعد أن كبرا لم ينشغلا عني، وقد كانا يزورانني كل صباح ليتبادلا الحديث معي قبل أن يذهبا للعمل.

بدأت بفك ربطة المجلد المعقودة جيدًا لتكمل:

مجلد السحر.. فيه كل ما تعلمه الملك ماكسيم من الساحرات في وقت سابق، وقام بتوريثه لفيكتور ليقوم بتخبئته عندي قبل موته بعدة

نظرت إليها بتعجب ونظراتي تسألها: لماذا قام بشيء كهذا؟

عرفت منها أنه كان يتوقع وجود خائن حوله، فالملك ماكسيم لم مات، وابنه يثق تمامًا بأنه قتل بفعل فاعل! لذا خبأ كتاب والده، فهو يعرف بأنه سيكون مستهدفًا، فماكسيم لم يعلم الجميع السحر كما تعلمه هو من الساحرات، لذا خطته اقتضت توريثه لأبنائه وأحفاده.. سحر من الدرجة الأولى!

فتحت المجلد الذي حوى العديد من أهم المعلومات أخيرًا!

كان هناك الكثير من التعاليم والتعاويذ الصعبة التي سيستغرق تعلمها وإتقانها وقتًا طويلًا، فالكلمات صعبة النطق، وحركات الأصابع التي يجب علي القيام بها معقدة للغاية! يبدو بأنه سيظل برفقتي، ولكن لن أستخدمه وأستفيد منه كثيرًا.

تحدثت بيرل مستذكرة:

نعم صحيح! فلتذهبي لغرفة والدك.. أقصد الملك فيكتور، فهناك ستجدين سيفًا فضيًا بمقبض أخضر، خذيه برفقتك.

أومأت لها بالموافقة بالرغم من عدم قدرتي على استخدام السيف بطريقة احترافية كما يفعل الجميع هنا، ولكن سألوح به في الأرجاء.

عادت بي إلى القصر، ضممت المجلد بقوة وأنا أودع بيرل، أرى الحزن بتلك الابتسامة وهي تلوح لي، استدرت وحينها نادت علي! التفت لأراها.. قالت:

اعتني بآرثر.. سأكون بانتظاركما!

ابتسمت وأنا أرفع قبضتي عاليًا لها بحزم ثم دخلت.

أثناء دخولي مرَّ جود وفيرا بجانبي، وكان يبدو أنهما ذاهبان ليتجهزا لأجل الليلة، استقبلتني أدا عند المدخل، وأخبرتها بأن تذهب لغرفة الملك الأسبق وتبحث عن سيف بمقبض أخضر وتجلبه لي.. استغربت ولم أمنحها وقتا لتسألني وأكملت طريقي لغرفتي لأرتاح قليلًا قبل حلول الموعد.

وجدت آرثر بانتظاري أمام باب الغرفة، لم تكن لي رغبة بالحديث، لذا فتحت الباب بدون أن أنظر لوجهه، حينها قال باندفاع يحاول استيقافي:

مهلًا.. أنا آسف!

توقفت قليلًا، سمعته ولم أنظر لوجهه ثم دخلت للغرفة بدون حرف، وأغلقت الباب خلفي.. عرفت أنه تصرف قاسٍ وسيشعره بأنه

اقتربت بياتريس منا ليسألها آرثر بغضب:

من أخبرك؟!

بياتريس:

لا أحد، أنا أعلم بمفردي!

بقي يصر حتى عرفنا أنها كانت تختبئ خلف نفس الشجرة التي كان خلفها روي سابقًا، ولكن الأمر أن روي كشف عن نفسه كي لا يفضح أمرهما كليهما، نظرنا بعذل لروي الذي بدأ يحدق بالاتجاه المعاكس ليتفادى نظراتنا القاتلة! حينها أصررت:

فعلًا يجب أن نقطع جميع الأشجار بعد عودتنا..

رفض آرثر اصطحابها معنا ولكنها نهرته صارخة:

هل تعتقد أنك الوحيد من العائلة المالكة؟ لا تنسَ أن والدي...

صمتت حينها وقد بدا الحنق بوجهها، زفرتُ بملل:

هيا عزيزتي بيا، فلا نريد أن تكوني السبب بتأخرنا!

الآن.. لقد أصبحنا تسعة!

قارة زندو!

المدينة بالأسفل هادئة للغاية، ونحن نطير فوقها، لا بد أن اليوم كان متعبًا لهم هم كذلك.. بعد أن ابتعدنا عن مجال المدينة بدأت طيور العنقاء بالاشتعال لإضاءة السماء، تستطيع أن تتحكم بمكان النيران التي ستولدها بجسمها وبهذا لا يحترق من يركبها، فهي لن تشتعل كليًا.. جثوت على ركبتي وأنا أُملّس على نير وأصفع ظهره بقوة وأخبره بأنه سيأتي اليوم الذي سيشع بنوره هو الآخر.

بعد ساعة ونصف، بدأ الجسر الواصل بيننا مع قارة زابورا بالانبثاق أمامنا، شرعت الطيور تنزل بنا للأسفل.

كان الجسر طويلًا على مد البصر، والمكان مظلم ومخيف يزرع الرعب، حان الوقت لنذهب، وقبل ذلك سنقوم بصرف طيورنا.

نظر إلي نير وهو يقرب وجهه لألمسه وأنا أضع رأسي على رأسه، وأخبره بأني سأكون على ما يرام، أثق بأنه ليس راضيًا عن ذهابي بدونه.. وأيضًا هو لا يعرف إن كنت سأعود، وهل سأظل على قيد الحياة أم أني سألاقي حتفي!

بدأت الطيور تبتعد بعد أن ودعت أصحابها، بدأت أدفع نير ليذهب أيضًا.. نظر والكمد يعتريه، ثم قال:

هل أنتظرك؟

- نعم، فلتفعل!

- سأكون بقربك عندما تتعرضين للخطر.

- شكرًا.. فلتؤمن بي.

لوحت له وأنا أودعه حتى اختفى عن بصري، أخذت نفسًا عميقًا وطويلًا ثم نظرت للجسر وأعطيت الأمر للبدء بالتحرك.

كانت إيديث تتقدمنا لأنها تريد أن تكون درعًا لنا، لحق بها إلمار ليساعدها وهو ينبهنا بألا نفقد حذرنا، فكما ذهبنا تسعة، يجب علينا أن نعود تسعة!

طول الجسر ما يقارب عشرين ألف قدم، والأمام البعيد مظلم، لحسن حظنا أن الجسر لا تحركه الرياح وثابت.. أثناء مشينا شعرت يد تمسك بأصبعي الخنصر والبنصر نظرت لأجد آرثر يسحبني للخلف ليتجاوزنا الجميع، يبدو أنه يريد التحدث معي بدون أن يسمعه أحد.. لاحظت أدا تراجعنا ولكن أومأت لها بأن تكمل للأمام.

كان مترددًا وهو يقطب حاجبيه كمن يتنفس بصعوبة.. لم أشأ أن أضغط عليه وأمسكت بيده وأكملنا الطريق بصمت ريثما يتكلم بإرادة منه، بخصوص الوزراء فأنا لم أخبر أحدًا منهم عن مكان ذهابنا؛ فهناك خائن منهم ولا أستبعد أنه يعمل تحت إمرة إيلفين ينقل أخبارنا ومعلوماتنا له! جل ما يعلمونه أننا سنذهب ببعثة قريبة، وأمرت بألا ينزل أي شخص منهم وإلا كانت العواقب وخيمة!

بعد أكثر من نصف ساعة مع آرثر، أخيرًا قرر التحدث:

سأخبرك بشيء ولا أريد منك أن تغضبي لأني أشعر بالندم حقا!

ضحكت:

إن كنت لا تريدني أن أغضب فهذا يعني أنه شيء سيجعلني أغضب فعلًا!

تردد وكأنه سيتراجع عما يقوله، ولكني أخبرته بأني لن أفعل وليخبرني ما الخطب.

شد على يدي قبل أن يقول:

أنا لم أكن أحبك من قبل، وفي حقيقة الأمر، لقد حاولت قتلك بمثل هذا اليوم!

تظاهرت بالصدمة وأنا أشهق لأقول:

تحاول قتلي!

أرخى قبضته عن يدي ولف رأسه للجهة المعاكسة، تمالكت نفسي واعتقدت أن ردة فعلي كان مبالغًا فيها! أضفت:

حسنًا.. بالنظر إليك فأنا كنت سأقتل عفراء أيضًا لو كنت مكانك.

نظر بصدمة وقلة فهم، وألف علامة استفهام على رأسه الأشقر، ابتسمت كمن ينوي إغلاق الحديث، وأمسكت بيده:

أعتذر عما بدر مني سابقًا، من الجيد أنك لم تقتلني، كان ذلك سيحزنني.. ليس موتي! بل أنك القاتل، وأيضًا أنت لم تكن تحبني، ولكنك لم تكن تكرهني وهذا يسعدني.

– أظن أني كنت سأواجه شر أعمالي، وأعرف الآن لأي مدى هو سيئ لذا.. واجهت الموت في اليوم الذي كنت سأنهي حياتك فيه، أنا أعتذر!

– أنا أيضًا أعتذر، فلنكن إخوة ونبذل قصارى جهدنا لأجل بعضنا.

ابتسم بسعادة، ومن ناحية أخرى لم يتوقع أن أقابل الموضوع بهذا القبول والروية، لذا، من شدة السعادة انفجرت الحماسة بداخله ليسحبني ونتجاوز الجميع من أمامنا وهو يريدنا أن نتسابق على الجسر!

أسعدني هذا، فوظيفتي الثالثة كانت معلمة رياضة بأحد المدارس الإعدادية، سرعان ما طُردت في ثالث أسبوع لي بسبب شتمي للمدير الذي كان يقف خلفي! لم أندم على هذا ولم أبكِ، فالقدر كان يخبئ لي عشر وظائف مستقبلية، وكلها طردت منها بأسرع مدة ممكنة.

ركضت بأقصى قوة، وقد دفعنا الجميع لنجري، كان إلمار وإيديث يصرخان علينا لنتوقف، لكن تجاهلنا أصواتهم المرتفعة ونحن نركض ونضحك في الوقت ذاته، وكان أكثر شيء يمكن أن يتعبني هو الركض أثناء ضحكي، إنه ممتع ولكنه مرهق أيضًا.

كنا على نفس الخط متزامنين، لم يسبق أحدنا الآخر، سرعان ما عزمت على التوقف عن الضحك لأزيد من سرعتي وأتجاوزه.. شعرت

بخطوات أخرى غير خطوات آرثر وهي تجري من خلفي، أردت الاستدارة لأرى ولكن ذلك سيبطئني.. واصلت الركض حتى اقترب الشخص الذي كان يركض خلفي، لقد كان روي الذي نظر قليلًا وهو يبتسم ثم تجاوزني! خففت قليلًا من وتيرة ركضي لتتجاوزني بياتريس وهي تنظر بفخر ثم تجاوزني أخي الأصغر لأكون آخر شخص بالخط.. أيضًا إذا كانت تركض! ولكنها كانت متزامنة معي وهي على جانبي الأيمن تضحك وتقول بلهاث:

آخر مرة تسابقتم فيها أنتم الأربعة كانت قبل خمس عشرة سنة تقريبًا قبل أن يموت الملك فيكتور.. لقد كان آرثر صغيرًا جدًا!

قلت وأنا أتنفس بسرعة:

ومن كان يفوز دومًا؟

– بياتريس!

جعلني هذا أشعر بالإثارة وقد ارتفعت حرارة جسدي لأقول بحماس:

كانت تفوز على عفراء السابقة، وليست أنا!

ركضت هذه المرة وأنا أقدم كتفيَّ للأمام ورأسي كذلك ليساعدني على الشعور بالخفة وتزداد سرعتي، لم أكن أنظر لمن يسبقني، وقد كنت هكذا دومًا! لقد كنت أنظر دائمًا إلى خط النهاية متجاهلة أي شخص أمامي كي لا يشعرني بالإحباط.

أذنب بشيء ما، ولكن في حقيقة الأمر أنا من أذنب، ولا جراءة لي لمواجهته.

استلقيت على السرير، وغططت في نوم عميق...

شعرت بيد تهز كتفي برفق، كنت بين اليقظة والحلم بالكاد فتحت عينيَّ من النعاس، كانت أدا وهي ترتدي ثيابًا سوداء بأحزمة كثيرة.. مثل الثياب التي كانت ترتديها إيديث صباحًا تحت فستانها.

بدأت أفرك عينيَّ بتعب وأنا أشعر بأني لم أنل القسط الكافي من الراحة، نظرت للشرفة وقد كان المكان مظلمًا، على الرغم من الأرق الملازم لي، لقد نمت لساعات بدون أن أشعر، ومع ذلك شعرت وكأني نمت لدقائق!

نظرت بجانبي على السرير وكانت هناك ثياب كالتي ترتديها والسيف الذي أمرتها بجلبه كان بيدها، غيرت ملابسي وقد اعترتني السعادة! أخيرًا شيء خفيف يُسَهِّل الحركة.. رفعت شعري للأعلى، وربطت السيف حول خاصرتي، أما عن المجلد، فقد وضعته في أحد جيوب السروال الكثيرة، سألت أدا إن كان الجميع جاهزين لتخبرني بأنهم ينتظرونني في الأسفل، تذكرت الخريطة وأحضرتها لأضعها بحقيبة صغيرة.

خرجت من الغرفة وأنا أتأملها لآخر مرة، كان أحد طيور العنقاء أمام الدرج لينزلنا إلى الأسفل.. الجو هادئ تمامًا كما أريد.

خرجت وكان الجميع بانتظاري رفقة طيورهم التي ستوصلنا عند الجسر، فلا يمكنها أن ترتحل معنا، فقد خشيت من احتكاكها مع أحد المخلوقات، خاصة بعد أن سمعت أن المحاربين الضخام قد حاولوا الهجوم على طيور العنقاء لمرات عدة.

نظرت للجميع وكلهم يرتدون نفس الملابس، آرثر بجانب روي، إيديث والمار.. جود وفيرا ثم.. أنا وأدا.

بدأنا بالتقدم نحو الطيور، فجأة شعرنا بخشخشة خلف الأشجار، توقفنا! تكلمت إيديث ويدها على مقبض سيفها متأهبة:

من هناك؟!

قلت بتململ وقد تعودت على هذا:

لا تسألوا من هناك، هذه المرة اقطعوا الشجرة ومن خلفها!

خرجت من خلف الشجرة بسرعة بياتريس وهي تحمل سيفًا على خاصرتها وترتدي كملابسنا، نظر الجميع إليها بإستغراب لأوجه كلامي لهم بسخرية:

يبدو أن لهذه العائلة طبع التنصت من خلف الأشجار! بمجرد عودتنا قوموا بقطعها جميعها.

تجاوزت أول شخص.. آرثر! ثم جريت بمحاذاة روي لأنتقم من ابتسامته السابقة وأتجاوزه هو الآخر، لتبقى بياتريس، إنها خيل وليست بشرًا! تعدو بسرعة وسيقانها الطويلة هي ما يساعدها.

أشحت بنظري عنها لأنظر لما أمامها وأتخيل أن خيطًا أحمر هو خط النهاية، في النهاية..

لقد فشلت!

هذه السرعة التي تتميز بها ليست طبيعية مطلقًا! لا تتعب ولا تتوقف وكأنها قادرة على الاستمرار هكذا حتى طلوع الفجر، بعد أن توقف ثلاثتنا وكلٌّ منا ينحني على ركبته يحاول التقاط القدر الكافي من الهواء بتعب.. جاءت بيا بنرجسية بادية وهي تقف أمامي لأرفع رأسي بإرهاق، نظرت بعجرفة ثم قالت:

لا زلت على حالي، ولن تسبقيني أبدًا!

– هنيئًا لك عزيزتي بيا.

أشرت لأدا بالاقتراب حتى امتثلت أمامي:

فلتحمليني على ظهرك، لقد تعبت!

ذهبت تتجاهلني وكأني لا أكلمها! وقفت إيديث أمامنا وهي توبخنا على فعلنا، وألا نقوم بهذا مرة أخرى فلا نعرف ما قد نواجه، خاصة وأننا لسنا بأرضنا، بل بأرض من قد نصفهم بالعدو، ونعتبر بخطر في كل لحظة

تمر، وحتى لو لم نرَ التهديد فعلينا أن نشعر به ونبقى متيقظين.. بدأت بالمشي أمامنا هي والمار، وخلفنا جود وفيرا، بتلك الأثناء اقترب روي ليهمس بأذني:

إن لم تحملك أدا سأحملك بدلًا عنها!

ارتسمت على وجهي شبهُ الملامح التي تعتلي وجه جدتي عندما أرسل لها قبلة طائرة لأجيبه:

لا، شكرًا.. أغرب!

لم نتوقف عن المشي أو نرتح مطلقًا، قطعنا المسافة إلا ربعها حتى بدأت أشعة الشمس بالبزوغ من الجوانب.. صاحت إيديث من الأمام:

لقد بدأ معبر الشجرة بالانجلاء أمامنا.. لم يتبقَّ الكثير.

بينما نحن نمشي استدرت خلفي.. جود يمشي خلفي وبرفقته فيرا، لم أعرف لأي درجة يثق بهما إلمار لإحضارهما برفقتنا! بإمكاني تفهم حقيقة أن جود هو من يدرب العائلة المالكة، ولكن ذلك لا يشفع له للإفلات من شكي.

أما فيرا، فأنا لا أشعر بأني أثق بها تمامًا، حتى لو كانت رفيقة الملك فيكتور برحلاته، ولها خبرة بالطرق والتضاريس. في حقيقة الأمر، كان يجدر بي ألا أثق بأحد سوى أدا وآرثر! لكن البقية هنا كإيديث وشقيقها الكبير وروي وبيا يظهرون جدارتهم بثقتي، لا سيما أن إيديث تظهر لي دومًا اهتمامها، وأرى كم هي متعطشة لحمايتنا، إلمار كذلك! يد الملك السابق اليمنى.. منذ أن بدأنا بالمشي على هذا الجسر وهو يستدير بين الفنية والأخرى ليطمئن علينا، لا يظهر هذا القلق علينا لكنه مهتم لأمرنا سرًّا، جود وفيرا! رفقتهما معنا لا تعني بأني سأقلل من حصانتي وأرخي دفاعي ناحيتهما، لا سيما المدعوة فيرا، فشكلها لا يعجبني وتبدو قادرة على طرحنا جميعنا أرضًا!

بعد كدٍّ وصلنا أخيرًا، معبر الشجرة!

كان معبرًا طويلًا، على جانبيه أشجار طويلة، كما كان مرسومًا بالخريطة، جذوعها متشابكة وأوراقها منحنية لتلتقي بمنتصف المعبر بالأعلى، لتمنع الشمس من اقتحام المكان، لذا، المكان ليس مظلمًا تمامًا، ولكن يقال عنه شبه مظلم، طلبت أن نشعل نارًا لنستطيع الرؤية من حولنا بطريقة أوضح وأفضل، لكن إلمار رفض بحجة أننا في أرض ليست أرضنا، وقد يعتبر هذا نوعًا من الاقتحام!

لقد أزعجني قوله أرض ليست أرضنا لأخاطبه بغضب:

إلمار! هذه الأرض أرضنا نحن.. على الجميع أن يحترم ويأخذ بعين الاعتبار أن هذه أرض الملكة إيفروناس التي قامت بتوريثها لسلالتها! إنها أرضنا.

هزَّ رأسه بطاعة لنكمل السير، بدأت بياتريس تمتم بينها وبين نفسها لكن بصوت مسموع ولهجة غير مفهومة، حينها.. ارتفع دخان صغير بأغصان الأشجار، يليه طرطرقة خفيفة لتظهر مشاعل خشبية معلقة بالأشجار بدا الطريق أمامنا أكثر وضوحا من قبل، هذا هو السحر إذًا، تستطيع إلقاء تعويذة لكل شيء تفكر به! لم يتكلم أحد وأكملنا سيرنا لفترة طويلة بدون أن نقابل أي شيء مثير للريبة.

بدأت أتفقد حقيبتي لأتأكد من أني وضعت بها شيئًا مهمًا وارتحت لأنه موجود، خشخشة في الأرجاء! شيء ما يركض بسرعة فائقة على

الأرض.. إنه يجري بسرعة لدرجة أنه يكسر الأغصان المرمية على الأرض الواحد تلو الآخر.

سحبت إيديث وأدا سيفهما بينما البقية يضعون أياديهم على قبضة سيوفهم وحسب، وضعت قبضتي أيضًا على سيفي بانتظار استلال.

شعرت بالخطوات خلفي لأستل سيفي على عجلة وأنا ألوح في الهواء بسرعة بطريقة دفاعية قمت بها حينها بشق كائن غريب ليسقط أرضًا ويختفي على شكل دخان أسود.. لقد كان وشيكًا! هذه مجرد ضربة حظ.

اقتربت أدا وإيديث لتقول:

هذه التشوباكابرا!

نظرت إليها ببلاهة وأنا أسأل:

ما هذا الشيء أيضًا؟

اقتربت أدا وهي تضع يدها وترجعني خلفها:

إنها كائنات متفرقة بالقارات الخمس، وأيضًا هجومية وليست عاقلة.

بدأت الأصوات الغريبة من حولنا تتزايد، تشبه صرخة متقطعة مبحوحة، ورجحت أنها تعود للتشوباشوبا هذه، لذا بقيت على استعداد، سرعان ما خرج العديد منها وكانت تفوق الثلاثين!

شعرت بالرعب وأنا أتوسط المجموعة لأختبئ بينهم وأنا أوجه الأمر:

شعبيَ العزيز.. احموني من التشوباشوبا!

تقدمت إيديث لأحدهم والذي كان منقضًا ليهجم علينا وهي تقول:

إنها تشوباكابرا وليست تشوباشوبا!

- أيا يكن، احموني.

بدؤوا جميعا بتقطيع المخلوقات التي تقفز سريعًا وهي تحاول الاقتناص منا، لاحظت أمرًا ما!

على الرغم من قول أدا قبل قليل أن هذه الكائنات ليست عاقلة، إلا أن معظمها كان يتجه نحو آرثر وكأنه هدفها! حتى إيديث لاحظت هذا!

خرجت من المنتصف وظهري بظهر آرثر لأرفع سيفي بغضب وأبدأ بتقطيعها وأنا لا أرى سوى دخانها الأسود، شكلت فريقًا جيدًا معه ولم يكن بذلك الضعف الذي يبدو عليه، حتى أدا فاجأتني بمهاراتها القتالية، وكأنها ليست تلك المساعدة المسكينة التي تجوب القصر معي بدون

هدف سوى الاستمتاع بوقتنا! تلوح بسيفها باحترافية شديدة بدون أن يمسها شوباشوبا واحد!

بيا أيضا موهوبة، تعود للخلف لتندفع بقوة ورشاقة، روي يغطي ظهرها وينقلب للخلف واقفًا على ساق بتوازن أما عن إلمار وإيديث فلم أتمكن من رؤيتهما لبعدهما ولتركيزي الكامل على آرثر، فيرا بقربي وتقوم بحماية كلينا.. جود لا يملك سيفًا بل منجلًا ضخمًا يقطع به وهو في أوج متعته.

لم يتوقفوا عن الظهور، ولم نتوقف عن تقطيعهم لقطع صغيرة حتى انتهوا!

بعد أن أنهينا بدأت أدرك مدى صعوبة مهمتنا، إن كانت كائنات سخيفة كهذه تتعبني، فكيف سيكون مصيري مع المخلوقات الأحد عشر؟

ناولتني إيديث بعض المياه لأسألها:

أسنواجه الكثير من التشوباشوبا برحلتنا؟

– تقصدين التشوباكابرا، نعم وقد نواجه ما هو أسوأ منها!

تمنيت ألا يظهر مصاصو الدماء ولا نضطر لقتالهم، لم يكن الوقت بصفنا، لذا التأخر كثيرًا والتوقف أمر لا طائل منه لنكمل سيرنا للأمام.

اقتربت مني أدا وبدأت تثني علي وأنها لم تتوقع بأني أجيد استخدام السيف، أثنيت عليها بدوري.. أنا لا أجيد استخدام السيف لكني أجيد استخدام العصا! لقد كسرت واحدة على ظهر زيون بمحل الملابس الذي كنت أعمل فيه سابقًا بسبب ضربه لابنه.. أردته أن يتذوق كيف يكون الألم، ولكن طردت من وظيفتي بسببه! أظن أنها وظيفتي السادسة إن لم تخني الذاكرة.

كلما توغلنا للداخل ندرك بأننا اقتربنا من مقابلة أولى المخلوقات، الأشجار هنا منحوتة على شكل أوجه مرعبة وكأنها تراقبنا.. ملامحها منحوتة باحترافية شديدة لدرجة تجعلني أظن أن العيون حقيقية! الغاية من هذه الحركة هي إرباك أي متطفل لكي لا يشعر بالراحة، ويظن بأنه مراقب ثم يعود أدراجه من حيث أتى.

بدأ كل منا بالمشي والالتفات خلفه بإستمرار، فالممر يوهمك بأنك مراقب إما من الأشجار أو من الأعلى! نعم هناك من يراقبنا من أعلى هذه الأشجار، ونشعر بحركاته الخفيفة وإن لم نره، قام إلمار بتحذيرنا وإخبارنا بأن هذه المرة مختلفة عن السابقة، ومن يترصدنا هم مصاصو الدماء فعلًا، ولن يكشفوا عن أنفسهم بسرعة.

بدأ الرعب يدب بقلبي.. فعلًا كان من السهل التخطيط سابقًا والقول بأني سأضمهم لحكمنا وسأعيدهم لمكانتهم! التفكير بأمر ما والتخطيط لفعله مختلف تمامًا عن اللحظة التي ستقوم فيها بتطبيقه.

بدأت أشعر بالقشعريرة، أستشعر الخطر من خلال ظهري، فهو يبدأ بالارتعاش حينما يكون أحد ما يراقبني من الخلف أو قبل أن يضربني أحد عليه! يعني أن خلفي.. أمسكت بمقبض السيف باستعداد ليراني إلمار وينبهني:

لن يؤذوك، لذا لا تستخدمي العنف حتى لا نموت جميعًا!

ثم رمقني بنظرة أنه يعلم بأنهم يراقبوننا، هذه المرة.. الأصوات الخافتة اختفت ليحل محلها صوت تهديد واضح قادم من أعلى الشجرة:

ما الذي جاء بالعائلة المالكة هنا؟

رفعنا رؤوسنا ليتزامن مع انطفاء جميع الشُّعل التي كانت معلقة على الأشجار بفضل تعويذة بياتريس! أصبح المكان شبه مظلم، لا نرى سوى بمحيط أربعة أمتار من حولنا، أما الباقي فظلام دامس.

رفعنا رؤوسنا إلى الأعلى لمصدر الصوت.. ما كنا نراه في تلك العتمة هو عيون حمراء تشبه أعين القطط، وهي تخترقنا بنظراتها.. هذه العيون تحيط بنا من كل مكان وتحاصرنا، ولن يكون من الحكمة الميل للعجرفة أو العنف!

كان الجميع يتوقع مني أن أجيب على السؤال الذي طرح ولكن أول ما قمت به هو طرح استفساري المهم بهمس على أدا، والتي اعتادت عليه عند لحظات خوفي:

أدا.. هل بللت نفسي؟

همست:

ليس بعد!

لا أعرف إن كان هو صاحب الصوت أم لا، لكن نزل من الشجرة بسرعة البرق ما يشبه الإنسان مرتديًا ما يبدو كسترة جلدية سوداء بصدر مكشوف وشعر طويل وعيون حمراء كياقوت أحمر.

بدأ بالتقدم ناحيتي بينما اعترضه الجميع بالوقوف بيني وبينه بدون أن يسحب أحد منهم سلاحه، أثناء ذلك كانت لدي خطة جهزتها قبل مجيئي.. تجاوزتهم بكل ثقة وأنا أنظر لعينيه بتحدٍ، الآن حانت اللحظة التي أقوم بها بحيلة رأيتها في التلفاز عندما كنت أشاهد أفلام مصاصي الدماء!

شكلت بإصبعَيّ علامة الصليب وأنا أوجهها لوجه الواقف أمامي، بقيت أترقب ولم أنل أية نتيجة والجميع ينظر إلي بإستغراب!

رفعت رأسي لمن يقف أمامي وكان ينظر إلي بإستفهام وكأنه ينظر إلى أبله ما، أدركت مدى غبائي لأغطي وجهي بكف يديَّ من الإحراج.. قمت بحركة غبية للغاية حتى أني خالفت عقيدتي الدينية! لم أستسلم بعد وبدأت أبحث في حقيبتي عن الشيء الذي جلبته معي والذي سيضمن فوزي ضدهم!

فصوص ثوم على شكل قلادة! رفعتها للأعلى وكأنها كنز، نظرت لوجهه مرة أخرى بثقة وتحدٍّ ورميتها نحوه لأجعلها تلتف حول عنقه

كقلادة.. فعلت ذلك لينظر إلى عنقه باستغراب شديد، لقلادة الثوم التي تلتف حول رقبته الطويلة.

لم يحدث شيء، والجميع على حاله صامت وينظر إلي نظرات تؤكد أنهم تبرؤوا مني، فليقل أحدكم شيئًا بدلًا من التحديق فيَّ وثغوركم مفتوحة!

ما يحصل الآن درس لي لكي لا أجرب كل ما أشاهد في التلفاز، تذكرت حينها شيئًا! لمَ لمْ أقم به من البداية؟ هذه المرة أكدت فوزي عليه تمامًا، تقدمت نحوه وكان بطول مترين وتوجب علي رفع رأسي لأنظر إلى وجهه.. نزع قلادة الثوم ورماها وبقي ينتظر ما التالي؟ حينها ابتسمت نصف ابتسامة وقلت بثقة عالية:

باسم الله.. اختفي أيتها الروح الشريرة!

لم يحدث شيء!

الجميع ينظر لي وكأنهم لا يعرفونني!

سألتني بياتريس بقلق لم أعتده منها:

هل أنتِ ممسوسة أم مصابة بأمر ما؟

نكست برأسي أرضًا وأنا أهزه بالنفي، تكلم مجددًا بصوته الناعم الذي يميل للخشونة:

ما الذي يفعله نسل الملكة إيفروناس هنا؟

الآن لم يعد هناك وقت للحيل، وآن الآن كي نتكلم بعقلانية وتصرف بحكمة، أجبته بهدوء:

جئنا للتحدث والتفاوض.

- لكننا رفضنا التحدث من قبل مع الملك فيكتور بعد انفصالنا عن الملك ماكسيم، وسيحدث الأمر ذاته الآن!

- لا! لن يحصل الأمر مجددًا، هل لي أن أعرف اسمك؟

- اسمي إيثيل.

- تشرفت بمعرفتك يا إيثيل، أنا عفراء لوِي دايا ابنة الملك فيكتور.. هل أرجح أنك زعيم مصاصي الدماء؟

رفع برأسه للأعلى لأفعل بدوري، لا تزال تلك الأعين الحمراء تراقبنا.. نظر لي وأجاب:

أنا نائب القائد وقد مدَّ لي العديد من الصلاحيات.

لم أرد أن أتواقح أو أشعره بالإهانة، وحاولت إخراج الكلام باحترام:

إن سمحت لي بمقابلة القائد فسأمتن لك كثيرًا، فهناك بعض الأمور التي أريد أن أسألها له شخصيًا.

بمجرد قولي هذا بدأت الهمهمات ترتفع من المختبئين بالأشجار، يبدو بأنهم سيحاولون الوسوسة له بالرفض لذا أردت أن أستبق الخطوة:

اعتبره طلبًا من أشخاص جمعتكم بهم يومًا علاقة وطيدة!

رمقني بدون ملامح محددة، ثم نظر لمن يقفون خلفي وكأنه يفكر بكلامي، وجهه يصِفُه بأنه شخص عقلاني لا يحمل شرًا، فأنا أستطيع لا أعرف من يحمل نوايا خبيثة من وجهه.

قفز قفزة طويلة للأعلى ليختفي عن نظري، بقينا بانتظاره ولم يعد واختفت جميع الأعين التي كانت تراقبنا من بين الأشجار.

اقترب آرثر ليطمئن علي، ولم يفوت فرصة السخرية مني ومن الحركات التافهة التي قمت بها، بعد ساعة من الانتظار لم يظهر، حتى الأصوات السابقة لم نعد نسمعها.. جلست أتكئ بظهري على أحد الأشجار، ليجلس الجميع أيضًا، نزعت السيف عن خاصرتي وأنا أضعه لصدري بيد والأخرى أرخيها على ركبتي لأغمض عينيَّ بتعب.. سألني إلمار عن السيف وقد تعرف عليه لأخبره بدون أن أفتح عينيَّ بأن ما يخص والدي يخصني أيضًا!

مر نصف يوم من الانتظار ولم نجد أية إجابة، لقد عرفت ما الذي ينوون عليه، لذا كل ما يجب علينا فعله هو التحلي بالصبر.

إنهم يريدون منا الانتظار حتى نمل ونذهب من هنا برغبة منا، وأنا طبعا لن أحقق لهم غايتهم..

تلك الأشعة القليلة من النيران الموقدة التي أشعلتها بياتريس هي ما تضيء القليل أمامنا.. اختفى نور الشمس الباهت، يبدو أنها غربت،

وهذا يعني أننا بقينا بالانتظار لأكثر من سبع ساعات، لم يكن الضيق بمثل وجه أي منهم، جميعهم يتحلون بالصبر! ألقت بياتريس تعويذتها مرة أخرى لتشعل لنا نارًا نكسر بها الظلام بعد أن خمدت النار الأولى، اجتمعوا جميعًا حولها وهم يتسامرون.. لم أعرف عمَّ يتحدثون، ولم أنضم إليهم، واكتفيت بالجلوس تحت تلك الشجرة أراقبهم وحسب! أدا شخص طيب للغاية، أراها كصديق مقرب، لا تمل مني وتكلمني دومًا وتستجيب لي.. لم يكن لي أصدقاء من قبل، حتى جيراني كانوا يغلقون أبوابهم بسرعة كي لا نتواجه ونلقي التحية على بعضنا البعض.

آرثر كان الشخص المكروه بالنسبة لي، لكن بالنظر للقصة من ناحيته لا أجد نفسي سوى متعاطفة معه، الشرير لا يعرف أنه شرير، فبنظره أنه بطل والجميع أشرار، لذا كما كنت أراه شريرًا فقد كان يراني هكذا أيضًا!

كل شخص سيء لا يحتاج لأن نغيره، كل ما يحتاجه منا هو التكلم وأن يحظى بحديث قصير.. نحن بحاجة للتحدث، وحينها سيكون كل شيء بخير.

لم أعد أرى آرثر كشخص، بل أصبحت أراه حقًّا كأخي الأصغر الحقيقي، أخي الذي أنا ملزمة بحمايته وعدم السماح لأي مكروه باللحاق به، فلا أتخيل ما الذي قد يحصل لو تعرض لأي أذى، فهو حقًّا شخص أشعر معه برابطة أخوية شديدة، ربما لأني أرى نفسي فيه، وأحيانًا أرى الطفل بداخله، وأنا على الرغم من كرهي الشديد للأطفال إلا أني لا أحب أذيتهم وأمقت من يؤذيهم!

بياتريس أو عزيزتي بيا! أظن أنها هي الأخرى بحاجة للحديث، ولضمان هذا عليها أن تضع أسلوبها المتعجرف جانبًا حتى أستطيع التحاور معها وأفهم ما بها، أخشى أن تكون حاقدة علي بسبب موت والدها، فحديثها الذي لم تكمله البارحة يؤكد لي أنها لم تنسه، وبالرغم من كل ذلك لا أشعر بأي شيء سلبي صادر منها.. تبدو شخصًا طيبًا هي الأخرى.

روي الذي لا أعرف الكثير عنه لأني لم أسأل بسبب تتابع الأحداث، يبدو مهتما بالجميع وأحيانًا ساذجًا! على الرغم من مظهره المهيب الذي يعطي انطباعا أنه متعجرف كقريبته بيا، إلا أنه ليس كذلك.

إيديث.. أعتقد بأني أثق بها أكثر من إلمار بسبب قربها مني، إنها شخص لطيف ويحاول حمل حماية الجميع على عاتقه، وأنا أحب الأشخاص الذين يجتهدون بأعمالهم وأحترمهم أكثر من أي شخص آخر.

إلمار.. قلت بأني أستطيع أن أميز من يحمل النوايا الخبيثة بالنظر لوجهه فقط، هذه سمة ورثتها من جدتي.. إلمار يحمل نوايا ما، وأظن أنها كراهية شديدة للمخلوقات التي انفصلت عن الحكم، فهو لا يحب أن يرى مجد المملكة مهزوزًا، لذا يحمل الكثير من الغضب والحقد والغل، ولكن لا أعرف هل يكنها للمخلوقات الأحد عشر أم يكنها لإيلفين!

يقول هذا بابتسامة وسخرية، ولكني أعرف أي نوع من الابتسامات هذا، إنه يحاول أن يخفي حزنه خلفها! لم أرد أن أُشعره بأي شيء، وحاولت أن أتماشى معه بسخرية أدس الحقيقة بها:

حسنا آرثر.. الكثير من الأشخاص يعتقدون بأنهم لا يصلحون لعدة أشياء، فقط لأن هناك ما يعيبهم... مثلك مثلًا.

ضربت له مثلًا به، وكان بطريقة تهكمية كي لا أجرحه ثم أردفت:

لكن ما لا يعرفه الكثيرون أن ما يميزنا عن غيرنا هي عيوبنا! الكثير رائعون من عدة نواحٍ وسيئون من نواحٍ أخرى.. يرون هذا السوء بهم، ولكن غيرهم يرى عيوبهم على أنها شيء مميز لا يمتلكها غيره! مثلًا، قد ترى أنت أن طولك مبالغ فيه وتتمنى لو أنك أقصر، لكني قد أحسدك عليه! قد أحسدك على ما تراه عيبًا فيك.. هل وصلتك الفكرة؟

وضعت باطن يدي على خده:

وأختك ستحبك بجميع عيوبك.. أيها الأشقر البشع!

ابتسم برضا، ابتسامته التي تجعله يبدو كالطفل الصغير أمامي.. في حياتي كان أهم شخص عندي هو جدتي وحسب، لم تكن لدي دائرة واسعة أدخل بها الجميع أو قد يتفضل بها أي أحد، كنت شخصًا محدودًا للغاية.. لم أتوقع يومًا أن أهتم لأشخاص آخرين خلاف جدتي! ولكن

الآن اكتسبت أصدقاء وأخًا! أخًا أصغر مني يعطي لحياتي عديمة القيمة أهمية وهدفًا يدفعني للأمام.

***

تأخر الوقت وبقيت شعلة صغيرة من النار تضيء المكان والجميع نيام باستثنائي أنا وإيديث، منذ أن جلست تحت الشجرة لم أتحرك سوى لمرة واحدة لأعود وأتكئ على جذعها.

اقتربت إيديث مني بعد أن استأذنت للجلوس بجانبي لأفسح لها المكان وأخبرها بأنها ليست بحاجة للطلب مرة أخرى، بقينا نراقب النائمين بصمت حتى بدأت تلك الشعلة الصغيرة تخفتُ شيئًا فشيئًا.

كان وجودها بالقرب مريحًا للغاية، أعتبره أحد مصادر الأمان من بعد أدا وآرثر، وأتمنى ألا تصاب بمكروه هي الأخرى، فحينها قد يسوء حالنا جميعًا خاصة وأنها شخص قوي وقادر على حمايتنا.

أردت أن أحظى معها بحوار بدلًا من الصمت الذي نحن فيه:

إيديث.. أنا ما يدفعني للأمام هو استعادة مجد المملكة، وإن كنت سأكون واضحة، فأحد أهدافي هو حماية آرثر! ماذا عنك أنتِ؟ ما هو هدفك؟

بقيت صامتة للحظة، ليس وكأنها تفكر بل تتذكر شيئًا ما:

كنا نعيش بإحدى القرى بالأسفل، أنا وإلمار.. حينها كنت في السادسة من عمري وإلمار يكبرني بعشرين عامًا، لم تكن قريتنا عامرة

بالكثير من السكان، فقد كنا مجرد قرويين يعيشون بسلام، ولا يعرفون القتال وما يقربه! لقد تربيت على يدي أخي الكبير بعد موت أمنا، فوالدي مات بعد ولادتي بأشهر ولم أره، أذكر ذلك اليوم جيدًا...

في أحد أيام القرية المعتادة، يزرعون ويحصدون ثمارهم، مرَّ في ذلك الصباح قطيع من الأحصنة يمتطيه العديد من الرجال الملثمين المسلحين بأقواس مشتعلة ورماح طويلة قاموا بغرزها بكل من مروا بجنبه بدون رحمة، لا يفرقون بين كبير ولا صغير، بدأ الصف الخلفي منهم بإطلاق السهام المشتعلة على بيوتهم المبنية من القش والخشب لتحترق ويخرج من فيها محاولين اللوذ من النار التي أحرقت بعضًا منهم وهم أحياء.. الصرخات متعالية بكل مكان، نحيب أطفال ونساء يطلبن النجدة حتى تصبح أصواتهم خافتة وتنقطع تمامًا مع أنفاسهم!

كان إلمار برفقة أحد الرجال في الأرض الخلفية التي يزرعون فيها القمح، جاؤوا يركضون إثر الصراخ الذي وصلهم من تلك المسافة البعيدة.. كانت إيديث الصغيرة تحاول أن تلوذ بجلدتها من الموت، وفي نفس الوقت تبحث عن شقيقها الأكبر بين الجثث المترامية، لمحها أحد الملثمين ليضرب جنب حصانه الذي ركض نحوها ورفسها لترمى بعيدًا.. نزل عن حصانه وهو يحمل ذلك الرمح الطويل وبكل خطوة يخطوها مقتربًا من إيديث ترتعد فرائصها خوفًا.

رفع ذلك الرمح عاليًا ليخترق به جسدها الصغير الذي ضمته بيديها الصغيرتين وهي تغطي عينيها حتى شعرت بالدماء تتطاير!

رفعت رأسها ببطء، كانت دماء إلمار الذي اخترق الرمح كتفه الأيمن لتتطاير دماؤه على ملابسها.. غرز الرمح بقوة أكبر لتتطاير مرة أخرى على وجهها المندهش الذي لم يرمش حتى من ذهوله مما يرى!

كان إلمار جاثيًا ليقف ويقوم بلكم الملثم بما تبقى له من قوة، سرعان ما سقط أرضًا على أخته ليقوم بتغطيتها بظهره من أي هجوم قد تتعرض له، بدؤوا يتوافدون عليه كالجراد بعد رؤيتهم لصاحبهم الملقى أرضًا بسبب قوة اللكمة التي أفقدته وعيه، على الرغم من أنه يغطيها بظهره إلا أنها تستطيع رؤيتهم وهم يقتربون ليقتصوا منهما.. لم ترمش ثم...

اخترقت العديد من السهام صدورهم، ولم ترَ سوى ظهره العريض وظله يغطي وجهها من الشمس، وصدى سيوف تصطدم بعضها ببعض.. استدار الواقف أمامها لها مبتسمًا ثم جثا على ركبته وبجانبه رجل، قام بحمل إلمار على ظهره وهو يركض لإسعافه بينما قام هو بحمل إيديث ومشى بها وسط ذلك الصراع بدون أن يمسه رمح ولا سيف ولا حتى سهم طائر!

بقيت إيديث متشبثة به برعب، وتأبى إفلاته حتى انتهى القتال بموت أغلب الملثمين وربط بعضهم واحتجازهم، أما إلمار فبقي على قيد الحياة بسبب جسمه الشديد، استطاع المقاومة وتم إسعافه في الوقت المناسب، طلب رؤية اخته الصغيرة التي انهارت بالبكاء بمجرد رؤيتها له وهو مضمد، أما عن أهل القرية فنجا بعضهم بفضل التدخل الذي حصل وقاموا بشكر الرجل الذي أنقذهم في الوقت المناسب!

أثناء رحيله شعر بشيء يتشبث بقدمه، أخفض ببصره ليجدها الطفلة التي أنقذها وهي تقول له:

لا تذهب! فلتبقَ هنا.

نزل ليكون بمستوى طولها وهو يكلمها بهدوء:

آسف، لا يمكنني البقاء لمدة أطول.

بدأت دموعها تنهمر لتقول فجأة:

خذني معك.. أبي!

حينها تدخل أحد الرجال صارخًا بها:

هل تعلمين مع من تتكلمين؟

سرعان ما رفع الملك فيكتور يده وهو يمنعه من الحديث وخطو خطوة أخرى، كان إلمار يراقب إيديث وهي تكلم الملك ولم يتدخل.. ابتسم الملك فيكتور وقد لمح شقيقها الأكبر يقف عند الباب مراقبًا ثم قال:

هل تريدان المجيء معي حقًّا؟

هزَّت إيديث رأسها بقوة بينما إلمار بقي صامتًا لبرهة. سرعان ما تقدم نحو الملك وانحنى له:

نحن تحت أمرك جلالتك!

أول ما قام به إلمار هو تعليم إيديث كيفية مخاطبة الملك وألا تناديه بأي مرة أخرى، ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا وهذان الأخوان تحت إمرة الملك، وترقيا بالمناصب حتى أصبحا من أكثر الأشخاص الذين يثق بهم، ويقومان بتسيير أمور المملكة بصلاحيات من الملك...

كانت هذه هي قصة إيديث التي أخبرتني بها.

قالت وهي تضحك:

حينها اعتقدت أن الملك هو والدي، وبعد أن كبرت لا أنكر أني أشعر ببعض الإحراج عندما أتذكر بأني خاطبته بأبي!

نظرت لوجهها:

هكذا إذا!

- في حقيقة الأمر لقد احترمت الملك جدًّا وكان بطلًا بنظري بعد أن أنقذني وإلمار من الموت، لذا كرست نفسي لخدمته، ولكن لا وصمة عار تلاحقني كفشلي من إنقاذه في اليوم الذي اغتيل فيه!

كانت ملامح الغضب تغزو وجهها كمن تذكر شيئًا يحاول دفنه ولكنه يبوء بالفشل بكل مرة، لم أجد ما أقوله لها بموقف كهذا سوى أن أمسكت بيدها وأنا أشدها لتهدأ، حينها نطقَت بحزم:

كما كرست نفسي للملك سأكرس نفسي لأبنائه ومملكته وكل ما يخصه!

- إيديث.. برأيك من الذي قتل والدي؟

عضت على إصبعها بغضب:

بالطبع شخص قريب، ويعرف الملك وتحركاته جيدًا فلا أعتقد أن أي شخص قادر على الإطاحة بشخص قوي مثله!

- إلا لو كان أقوى منه؟

- مستحيل! إلا لو كان خائنًا ودرس كل الطرق الممكنة لقتله!

- غالبًا هو نفسه من حاول اغتيال آرثر بالأمس.

- نعم، هذا أمر لا شك فيه.

شعرت ببعض الإحراج وأنا أطرح سؤالي عليها:

حسنًا.. إيديث.. أردت أن... كم عمرك؟

أجابت ببساطة وكأن الأمر لم يكن بحاجة لكل هذا العناء والإحراج:

أربعة وأربعون سنة.

- أووه.. أنتِ كبيرة حقًا! لا يبدو الأمر كذلك!

ضحكت من تعبيري وهي تتفقد سيفها، بما أنها تصغر إلمار بعشرين سنة فإذًا فهو في الأربعة والستين من عمره!

ذكرتني قائلة:

هذا بفضل عصارات اللو التي تجعلنا نبدو أصغر من مظهرنا.

رفعت رأسي متذكرة، كلمتها عن إلمار، وجهه يوحي بأنه غاضب من شيء ما ويكن حقدًا دفينًا لأمر لا نعلمه!

- أحقا يبدو ذلك؟ صحيح أننا دائمًا ما نتجول معًا، لكن أنا لا أعرف إلمار، كما يبدو إنه يخفي الكثير من الأسرار ويحرص على حفظ أمن المملكة، وكأنه يريد أن يكون الحامي الوحيد وينسب الفضل له!

لاحظت ذلك من اندهاشها عندما تكلم عن إيلفين أول مرة، أخبرتها بأن تنام وألا ترهق نفسها ولكنها أبت النوم، لذا بقينا نتحدث لمدة طويلة طوال الليل.

في نهاية المطاف وقبل طلوع الفجر بقليل، شعرت برأسها ينحني على كتفي لأجد أنها نامت، أو هذا ما اعتقدته قبل أن تقول بأنها واعية فقط تغمض عينيها كنوع من الاسترخاء بينما عقلها يعمل.

شخير إلمار كأنه قنبلة نووية، شخير جود يشبه طائرة حربية.. بيا تنام بوضعية الجثة، لا تتقلب أثناء نومها، أما وضعية نوم آرثر فلم أرَ أغرب منها، يد يتوسدها والأخرى على وجه بياتريس ورجله اليسرى على بطن روي! رفعت رأسي للأعلى ولم يكن هناك أحد، كنت أقلق من ظهور كائنات التشوباكابرا، ولكن بما أن الجميع نائم بدون أن يلقوا بالًا فهذا يعني أنها لن تظهر.

في تلك الأثناء بدأت بالتفكير بشيء لم أتعمق بالتفكير حياله من مجيئي! أنا هنا منذ تسعة أيامٍ تقريبًا.. ماذا عن نفسي الحقيقية؟ هل مت؟ هل الجدة بخير؟ وهل اكتشفت أني مت وجثتي بالغرفة أم أني تعفنت لثلاثة أيام بها.. أو ربما لم أمت!

ذلك الوهج من تلك الليلة.. هل سأظل لما تبقى من حياتي هنا أم أني سأعود بوقت ما؟ ما أخافه هو أن ينتهي وقتي وأنا بمنتصف مهمتي.

بهذا المكان.. أنا لي هدف! أصبح لعيشي معنى بعيدًا عن البحث عن وظيفة وطردي منها ثم البحث عن واحدة أخرى لأطرد أيضًا، الجميع يحترمني هنا وأشعر بالرضى التام عن نفسي لأني أخيرًا سأقدم على شيء مهم وذي قيمة.

آخر ورقتين بقيا في شجرة عائلتنا هما أنا وجدتي، الآن أصبحت لي عائلة! لا أعرف والدي ولا والدتي، فمنذ طفولتي وأنا أقابل الجدة، وكلما سألتها عنهما تقوم بتغيير محور الحديث، أعرف تمامًا أنهما لم يفقدا حياتهما، فأنا بسن يسمح لي بتلقي خبر صاعق كهذا، لكن.. هما تخليا عني لتربيني الجدة.

لا أعرف كيف تبدو العائلة، وكيف هما الأم والأب والأخ والأخت.. لكني بدأت أفقه شيئًا فشيئًا عن العائلة بوجودي هنا وهؤلاء حولي.

كان أول المستيقظين هي فيرا.. نظرت إلي لأبعد بصري عنها كي لا تكلمني، ثم استيقظ من بعدها آرثر، رفع رأسه محاولًا التعرف على المكان، سرعان ما تذكر أين هو.. نهض واقترب مني وهو يربت على رأسي ويسألني إن كنت قضيت الليل بطوله وأنا على نفس وضعي.. ذهب ليتوارى خلف الأشجار، وعلى الأرجح ليقضي حاجته، في تلك الأثناء رفعت إيديث رأسها عن كتفي وهي تقول:

إنهم بالقرب من هنا!

نهضت وهي تستل سيفها، واختفت من خلف الأشجار كنت أنوي اللحاق بها، ولكنها أشارت إلي بالجلوس.

عندما عادت فيرا، لاحظت أنها في أكثر حالاتها تأهبًا ويقظة وهي تنظر يمنة ويسرة وكأنها ترى شيئًا ما بعقر الظلام، سرعان ما أخذت سيفها هي الأخرى واختفت بين الأشجار، هذه المرة نهضت وأردت اللحاق بالاثنين ولكن صوت جود نصف النائم منعني:

فلتبقي، سيحلان الأمر ويعودان!

عاد آرثر وجلس بجانبي، وبعد جلوسه بثوانٍ، بدأ صوت صرخات التشوباكابرا يعلو لمسامعنا من مسافة بعيدة، عرفت أن المار قد استيقظ منذ فترة، ولكنه لم يرتعد للصوت أو يقلق حتى! جل ما فعله أن جلس مربعًا قدميه وهو يغمض عينيه وكأنه يثق بأن أخته وفيرا سيحلان الأمر ويعودان بسرعة.

أدركت حينها أن هؤلاء الكبار في مستوى مختلف عنا تمامًا فهم يستشعرون الخطر، من الجيد أنهم برفقتنا!

عاد الاثنان وهما يضحكان، وكل واحدة تلطم الأخرى على ذراعها، اقتربت أدا مني بدون أن أشعر وهي تنظر لهما أيضا، شعرت بأن تحديقي بفيرا ليس عاديا لأخبرها بما أحس به تجاهها وعن عدم ثقتي الكاملة بها.

تذكرت بعدها كتاب السحر الذي أهدته إلي بيرل! تكلمت:

أدا، هل عفراء كانت تجيد السحر؟

– نعم بالطبع، ولكن ليس من الدرجة الأولى، بالكاد تلقي ببعض التعاويذ البسيطة.

عرفت معلومة جديدة، وهي أنها لا تجيد السحر تمامًا بسبب انشغالها الدائم وحملها لمسؤولية مملكة كاملة على عاتقها بسن صغيرة، لذا لم تتفرغ كثيرًا سوى للتدريب الجسدي والسيافة، أخرجت المجلد الصغير من جيبي وأريته لأدا وأخبرتها عنه، وكنت حريصة على ألا يراه أحد، فبما أن الملك فيكتور لم يخبئه عند أحد سوى بيرل فهذا يعني بأنه لا يريد حتى لإلمار وأخته وفيرا وجود أن يعرفوا بأمره، ولكني أخبرت أدا عنه لثقتي الشديدة بها!

نظرت بنهم للكتاب بعد أن عرفت أنه يحتوي على السحر من الدرجة الأولى الذي كان يُعلَّم فقط للملوك والأمراء، كانت نظرة مخيفة نوعًا ما لأقول بقلق وأنا أعيد المجلد لجيبي:

أدا، هل أنتِ بخير؟

رجَّت برأسها كمن يطرد العديد من الأفكار وهي تبتسم وتقول إنها بخير، هذه المرة قررت أني لن أخرج المجلد من جيبي إلا لأقرأه كلما كنت وحدي.

بعد استيقاظ الجميع باشروا بإعداد الفطور، وبدأت بمساعدتهم هذه المرة بعد أن شمرت عن ذراعيَّ وبدأت أطلب مكونات طبختي.. كان إلمار هو من يوفر لنا المكونات باستخدام التعاويذ التي تمكنه من جلب وتكوين ما يريد.

أمرت الجميع بالانصراف وعدم مراقبتي أثناء عملي، وليذهبوا ويقوموا بإشعال نار عظيمة، وأبقيت فقط إلمار بقربي ليوفر لي احتياجاتي، شمر عن ذراعيه هو الآخر وبدا كمساعد طاهٍ وأنا الطاهي طبعًا!

أول شيء طلبته هو صحن طويل وعريض، وأن يضع عليه صحونًا صغيرة ليكون عليها احتياجاتي، بدأ الدخان يرتفع من الأرض حتى تلاشى لتظهر صينية كبيرة وعليها الكثير من الأطباق، سمعت آرثر ينادي من الخلف بينما يشعل النيران:

أريد مثل تلك الكعكة التي صنعتها لي من قبل!

الاستيلاء

بدأت أحاول التذكر! أي كعكة هذه؟ سرعان ما تذكرت أنه يقصد الكريب الفرنسي.

وعدته بأنه سيتذوق ما هو أفضل منه، امتن كثيرًا لخبراتي ومعرفتي السابقة.. أحيانًا أفكر باختراع مكيف أو سيارة، وسأنسب براءة الاختراع لي.

بدأت بالطلب من إلمار.. طحين وسكر وبيض والكثير من الحليب والزبدة ومسحوق الخبز والملح والفانيليا السائلة، وكلها لا أريدها بكميات قليلة.

لم يناقش وبدأ بالتمتمة لينفتح ما يشبه ثقبًا هوائيًا يطفو، حينها أدخل يده وبدأ يسحب كل ما طلبته منه، من دهشتي وقفت خلف الثقب، ولكن يده لم تكن تخرج من الاتجاه المعاكس! كان مذهلًا!

فكرت، ثم طلبت بعض السجق والطماطم وأنواعًا من الفواكه والخضراوات، ثم تذكرت أهم شيء، الشكولاتة والقهوة.

نظرت لوجه إلمار الذي كان نادرًا ما يبتسم:

إلمار، هل تحب اللحم؟

- آه.. نعم أحبه.

- حسنًا سأطبخه لأجلك!

ابتسم ابتسامة جانبية وهو يسحب ما طلبته منه من الثقب، ويضعه فوق الصحون، طلب آخر شيء.. شرائح الخبز والقرفة.

حينها باشرت بالعمل الجدي، وأمسكت بالسكين وبدأت بالتقطيع، إلما إلمار لقد أعطيته ليخلط لي بكل قوته المكونات التي وضعتها بإناء واحد، كنت أسترق النظرات على جود وفيرا وإيديث الذين يضحكون على إلمار، لقد جعلته خادمة مساعدة وضربت بعرض الحائط تلك الهيبة والحضور القوي الذي يمتلكه.. كثرة الوظائف مفيدة، فالمطعم الذي عملت فيه كان يقدم الفطور الفرنسي، لذا يتوافد الكثير إليه، وقد حفظت كل الوصفات، كنت أتمنى أحيانًا لو أني قمت بتهديدهم بنشرها، وحينها قد أحصل على تعويض، لكني لست من هذا النوع من الناس.

***

بعد جهد.. ووقت.

تقدمت مع إلمار نحو النار الموقدة، ووضعنا عليها القدود والقلايات وبدأت أشرح له كيف يقوم بطبخ كل عنصر ومتى يرفعها عن النار، كان مطيعًا كالحيوان الأليف بدون معارضة.

ساعتان من التعب والاحتراق والإرهاق، أنهيته أخيرًا وبدأت بتقديم الأطباق التي انتشرت رائحتها في الغابة.. لا أعرف كم من مخلوق تشوباكابرا جاء إثرها وقام جود بتقطيعهم، لكن من الجيد أني أنهيت.

قدَّمت أطباقي وكنت أثق بأنها ستبهر الجميع، ولم أفصح باسم أي طبق منها سوى أن ابتسمت بغطرسة لكل شخص يسألني عن اسم الأكلة وكيف طبختها وأجيب:

هذا سر المهنة، سيغضب مديري السابق لو أفشيت به!

لم يكونوا يأخذون كلامي على محمل الجد، واكتفوا بالتهام الإفطار كالحيوانات بينما أنظر إليهم كأني الراعي الذي يرعى قطيعه.

شعرت بعدة حركات فوق رأسي، وقد شعر بها الجميع أيضًا ليعدلوا من جلوسهم ويمسكوا سيوفهم، سرعان ما وضعوها أرضًا عندما بدأت الأعين الحمراء تظهر لنا من الأعلى لنعرف أنهم عادوا، أخبرهم إلمار بهدوء بأن يكملوا إفطارهم بدون أن يهتموا.

نفذوا كلامه لينزل من الشجرة إيثيل الذي قابلته بالأمس وهو يقف أمامي، ولاحظت هذه المرة أن أنياب أسنانه قد برزت أثناء حديثه معي على خلاف المرة السابقة، سأل:

هذه الرائحة غريبة.. ما هذا؟

أجبت:

في اليوم الذي تتعلمون فيه احترام ضيوفكم سأخبركم حتى بسر الرائحة.

- يريد القائد يورك مقابلتكم.

كانت إشارة جيدة، وقد سُرَّ الجميع بكلامه، ولكن كانت كرامتي تفوق كل شيء لأخبره وأنا أعطيه ظهري بتجاهل:

من يريد مقابلتي يأتي بنفسه لعندي!

اختنق جود وروي من الأكل، بينما خرجت القهوة من أنف ياتريس، وسقطت اللقمة التي كانت بيد إيديث على الأرض، وسمعت صرخات مصاصي الدماء من الأعلى المليئة بالدهشة بسبب ما قلته لتوي؛ لأدرك أن الزعيم يورك خطير لدرجة أن لا أحد سيتجرأ لقول كلام كهذا له، ولكن بتلك اللحظة شعرت بفخر! هذه قمة العظمة التي أتكلم عنها!

تدارك إيثيل الوضع ليقهقه بعدها مطولًا، لم ألتف له.. سألني إن كان هذا آخر كلام عندي لأخبره أنه كذلك، شعرت به يقفز أعلى الشجرة ليختفي، حينها انهال علي الجميع صارخين ومؤنبين، بينما إلمار جالس وهو ينهب الأكل، ويشجعهم على فعلهم لكي يتسنى له أخذ أكبر كمية ممكنة، حديث كل واحد منهم جعلني لا أركز لمن أستمع تحديدًا، ثم صرخت بهم جميعًا ليخرسوا!

طلبت منهم أن يهدئوا من روعهم، فأنا أعرف ما الذي أقدم عليه، وذلك بفضل وظيفتي الرابعة! كنت مساعدة لطبيبة نفسية وعلمتني الكثير من حيل علم النفس التي أستطيع ممارستها على أي شخص أريد، مع الأسف لم أكمل الشهر حتى فصلت، ولا أنوي أن أذكر السبب!

أعلم بأن يورك سيأتي بنفسه بعد أن تصله رسالتي؛ لأنه سيشعر بالمهانة، ولن يتجرأ على إرسال أحد لإحضاري قسرًا لأني من العائلة المالكة، وهذا الاحترام الذي يكنه لنسلنا سيشفع لي، ولكن بما أنه في الطريق فعلي تجهيز ما علي قوله لإقناعه!

عودوا إلى إفطاركم. قلت.

كان إلمار قد التهم نصف المأدبة، وبالكاد يرسم ابتسامة بصعوبة بسبب فمه الممتلئ، صوت عند أذني، لم أشعر به يقف خلفي حتى! قال بحنجرة ملائكية:

أظن أنها رائحة لحم، وهي زكية جدًّا.

استدرت بسرعة، وتراجعت خطوتين للخلف، نظرت إليه، كان شعره طويلًا، وأعينه حمراء، وأنيابه بارزة للغاية، يرتدي مثل سترة إيثيل، ولكنها فخمة ببعض الريش حول رقبته، ظهر حتى أنه أصغر من إيثيل! قلت:

يورك؟

لم يجب، وبدأ يحرك أنفه كمن يترصـــد رائحة ما، حينها ركزت وتجاهلته هو الآخر:

هذا لحم إلمار.. لا حصة لك منه! وأيضًا لم تبدو شابًا وأنا أعرف أنكم قد تعيشون لمئات السنين؟

نظر للموجودين الذين قد تأهبوا فعلًا بعدما لم يشعروا بوجوده، وبدأ يسأل عن المدعو إلمار الذي لم يكلف نفسه ليرفع رأسه وأكمل أكله بهدوء. يورك:

فلنتقاسم الحصة من اللحم!

لم يجبه وهزَّ رأسه رافضًا، نظرت ليورك وأنا أقول:

إن كنت تريد اللحم...

قاطعني بحماس:

أحبه نصف ناضج!

زفرت وأكملت:

إن كنت تريد اللحم فعلينا أولًا أن نتكلم في العديد من المواضيع!

مدَّ يده لي موافقا لأصافحه بتفاهم، بصراحة! لقد فاجأني جدًّا! لقد توقعت حربًا طاحنة، أننا سنموت في أول لقاء لنا مع أول المخلوقات الأحد عشر، وسيشربون من دمنا، وتُفقد جثثنا في قارة زندو.

تحرك يورك وكان يتوقع منا أن نتبعه، ولكن نظرت لوجه فيرا بريبة ثم أخبرته بأنه لا داعي لذهابنا جميعنا معًا، كنت أود لو أني آخذهم كلهم باستثناء جود وفيرا، ولكن سأكشف عن أوراقي مبكرًا، وقد يأخذ أحدهما احتياطه ويعرف أني أشك به كخائن، تبادرت بذهني فكرة أن

أحدهم خائن بعد مهاجمة التشوباكابرا لآرثر لا غيره، حاولت أن أتدارك الوضع كي لا أشعر أحدًا بالاستياء وقلت:

الجميع، فلتبقوا هنا! سأذهب برفقته أنا وآرثر ثم نعود.

وافقوا بالرغم من الاستياء الذي أراه أمامي، لكن إيديث وإلمار كانا رافضين تمامًا.. خاصة إلمار!

نظرت لهما بجدية توحي أن الكلام الذي قلته قبل قليل هو أمر وليس طلبًا!

تراجعت إيديث وهي تمسك بيد إلمار لتسحبه للخلف بخيبة، لم يشح بنظره عنا حتى اختفينا خلف الأشجار.. لم نتوقف عن المشي، ثم فجأة! أمسك بي وآرثر من خصرينا وقفز بنا للأعلى لنستقر على جذع شجرة متين يحمل وزننا نحن الثلاثة، أخي متأهب ويشعر بالقلق، ولكني لا أريد أن أحدثه أمام يورك، لذا حاولت أن أوحي له بفعل مني أن يرتاح لذا فككت سيفي عن خصري ووضعته بالقرب مني وأنا أجلس.. نظر مليًا، سرعان ما قام بنفس الفعل.

كان يورك طويلًا جدًا، جلس على جذع مسحوب ككرسي وسيقانه الطويلة مفروشة أمامنا، وهو يشبك يديه محدقًا بنا.

أغمضت عينيَّ ثم أخذت نفسًا طويلًا وزفرته بتركيز لأوجه حديثي له:

الملكة إيفروناس والمؤسسة لمملكة أورورا كانت تملك سلطة وقوة رهيبة، استطاعت من خلالها حكم جميع المخلوقات الموجودة في عالم إيرفوردن ويلت قبل أن يقوم الملك ماكسيم بحلّكم وجعلكم تحكمون أنفسكم!

إمال رأسه ووضع يده على فمه ثم رفع رأسه لي لكي أكمل:

سمعت أيضًا أنكم من الأوائل الذين انفصلوا عن الملك،

هذا صحيح، أليس كذلك؟

هز رأسه مجددًا.. شددت على قبضة يدي بحنق وأنا أصرخ به:

ومن تعتقدون أنفسكم بحق الجحيم؟!

لم يغضب ولم تختلف ملامحه عما كانت عليه منذ أن جلس، وكل ما نام به أن رفع قدمًا على قدم مجيبًا بعدها:

نحن أشخاص لا يرضون بالضعيف ولا بالضعف بشكل عام، الشخص الذي لا يستطيع إسناد نفسه فلن تسنده أنت!

فهمت كلامه، ولكن لم أفهم المغزى أو الغاية بعين التحديد، لذا طلبت منه التحدث بكل شيء يعرفه...

في عالم إيرفوردن ويلت.. حيث الأرض عبارة عن كتلة واحدة كبيرة تضم العديد من المخلوقات على سطحها، لا أحد يحكم، ولا يعرفون معنى الحكم والنظام والقوانين، وجل ما تبرمجت عليه عقولهم هو أن

الأقوى يتزعمنا فقط لنسير على كلامه لنعود إليه أخيرًا ليقرر أنفعل أم لا نفعل بدون أي دستور.. الأمر أشبه بنظام ديكتاتوري.

في تلك الحقبة، كانت هناك امرأة سابقة لا مثيل لها وتدعى إيفروناس لُوِي دايا!

كانت تؤمن تمامًا بالعدالة والقانون والتوازن، لم يكن يتزعم البشر حينها امرأة، لكن بذكاء منها استطاعت كسب العامة لصفها، وذلك بتطبيق القانون والعدالة التي ابتكرتهما ليكونا خير سلاح لها، ومرجعًا رئيسًا للجميع.

حينها.. حوى عالم إيرفوردن ويلت على أربعة عشر مخلوقًا أسطوريًا وكانوا عبارة عن الأحد عشر مخلوقًا المعروفين بالإضافة إلى مخلوقات السفينيكس والسيربيروس وأعظم وأقوى مخلوق.. العنقاء! كانت جميع المخلوقات متفرعة في الأرض ولا تقرب البشر ولكن حصل أن كان البشر حينها على مقربة من أرض العنقاء التي عرفت بعدوانيتها الشديدة نحو الجميع بدون استثناء، وكانت تقتص من البشر في كل فرصة تلمحهم بها، أو تقوم بالإشتعال لتحلق فوق أراضيهم وتحرقها لتمسي رمادًا منثورًا، ولا يوجد كائن قادر على مواجهة العنقاء بدون اللجوء لاستخدام الحيلة للإطاحة بهم، لكن.. كان هناك شخص واحد استطاع ترويضه بدون عناء، وكان هذا الشخص هو إيفروناس طبعًا!

كان من الأفضل لو أنك طرتِ رفقة سربك!

بدأت إيفروناس تحاول أن تزيح تلك الشباك الثقيلة باستماتة بينما تراقبها الطائرة بدهشة، خاصة وأنها اعتادت على أذية البشر، لكن هذه البشرية تحاول إنقاذها! طلبت منها أن تحاول إشعال جسدها لفترة قصيرة، فهناك بعض الخيوط التي تصِل بين سلسلة وأخرى، ولكنها فوجئت بأن هذه العنقاء الضخمة، والتي من المفترض أنها هي قائدة قطيعها لا تستطيع أن تشعل النار بجسمها!

مع ذلك لم تيأس من محاولة إنقاذها، في حقيقة الأمر إيفروناس كانت امرأة نابغة، وقد أسعدها أن هؤلاء الضخام قد اصطادوا العنقاء، ولم تنقذها حبًّا بها أو شفقة عليها، ولكن كانت تعرف بأنها ستكسب أقوى مخلوق بعالم إيرفوردن ويلت بصفها، وقد يقربها هذا لمبتغاها.

ادعت خوفها وقلقها عليها أمامها، بينما تتراقص أساريرها بداخلها، بعد فترة طويلة من محاولة فك العُقد والسلاسل، لم يتبقَّ إلا القليل! بدأت الأرض تهتز بسبب وقع أقدام اقتراب أحد الضخام.. وجد أن هناك بشرية تحاول أن تفك الكمين المنصوب، لكن بدلًا من الهرب واصلت المحاولة والمخاطرة بحياتها لأجل فكه، فلم تكن ستمسح لفرصة ذهبية كهذه بالإفلات من يدها، وقبل اقترابه بعدة خطوات فصلت آخر سلسلة تربط الأخرى لتتحرك العنقاء بحرية، وقد عضت على كتف إيفروناس برفق وطارت بها عاليًا قبل أن تصيبها مطرقة الضخم.

حركت رأسها للأعلى وهي ترمي بها من فمها لتستقر على ظهر العنقاء، لتتكلم قائلة:

لم فعلتِ ذلك؟

إيفروناس باستهزاء:

عفوًا.

- شكرًا لك! لن أنسى هذا ما حييت، أنا أولغا.

حينها تعرف الاثنان على بعضهما، وقدمتها أولغا للقطيع قبل أن ناخذهم للضخام منتقمة منهم، ليحرقوا جلهم وهم أحياء وتكون تلك عبرة لمن حاول الاقتراب من العنقاء!

توددت إيفرو لأولغا، وقد أصبحت صاحبة لها، وأظهرت لها الأخرى الوفاء كنوع من الامتنان لإنقاذها، وحينها توقفت طيور العنقاء عن مواجهة البشر نهائيًّا، وكانت تلك خطوة نحو ألف خطوة بالنسبة لإيفروناس، تفاجأ البشر من مقدرتها على ترويض أقوى وأخطر مخلوق لتكون بنظرهم كالمعجزة التي لم يسبق لها مثيل، خاصة وقد اعترفوا بذكائها وبصيرتها لتمهد لهم حينها وتضعهم في مواجهة الأمر الواقع برغبتها بأن تصبح الزعيمة عليهم.

لم يكن أحد ليرفض ذلك، لذا قامت بإطاحة الزعيم السابق لتتزعم عالم البشر، وبعد أن حققت أول خطوة لها وقد كسبت بصفها ورقة

رابحة، وهي سرب بل جيش من العنقاء، بدأت باحتلال الأرض رفقة طيور العنقاء، وقامت بالسفر بعالم إيرفوردن ويلت بأكمله لتقابل المخلوقات الثلاثة عشر الأخرى لكي تقنعهم وتتفاوض معهم ليكونوا جميعًا تحت حكمها، بالطبع من يفكر في الرفض فسيتراجع عن ذلك تلقائيًا بمجرد رؤيتها برفقة من هم أقوى منهم، وليسوا واحدًا أو اثنين! بل سرب كامل في خدمتها وحمايتها.

لم تكن متخوفة من أمر بقدر قلقها من الساحرات، واللاتي يعتبرن من أقوى المخلوقات من بعد العنقاء، ولكن أثناء مقابلتها لهن حصل ما لم تتوقعه! لم يؤثر السحر بطيور العنقاء أبدًا، مهما حاولت وواصلت إلقاء التعاويذ المتتالية فالعنقاء لا تستجيب للتعويذة، وكأنها تملك حصانة ضدها، وحينها نجحت في ضم جميع المخلوقات الأربعة عشر تحت جناحها.

قامت بدعوة خاصة للأقزام لزيارة أرض البشر وتشييد قصر لا يمكن لعقل تخيل شساعته واتساعه، وذلك بعد أن أمرت الساحرات أن يجعلن لها أرضًا خاصة بها تطفو على نهر عظيم تجري مياهه باستمرار، لتنزل على شعبها كرحمة منها، بعد أن ناقشتها الساحرات عن النهر وعن مصدر مياهه قالت:

كما ينزل ماء نهري على شعبي من السماء، أريد أن ينزل مائي من السماء أيضًا!

نفذت الساحرات طلبها، وبعد فترة قصيرة شيّد أكبر بناء قد شيده أقزام بومّا! بنت عالمًا خياليًا! وبذلك اليوم قامت بتسمية مملكتها بمملكة أورورا، وأطلقت عامًا جديدًا أسمته عام الإيفرو بمناسبة تأسيس المملكة، بعد ذلك سافرت تجول الأرض رفقة الأقزام والعنقاء، ويمتصف أرض إيرفوردن بقيت الملكة شاردة.. نظرت حولها بعمق ثم أمرت الأقزام ببناء جدار عظيم لا يمكن لأحد تجاوزه بدون طيور العنقاء، ولم يعرف أحد سبب قيامها بذلك لحد الساعة، بعد زواجها قامت بجعل أبنائها يحملون اسمها الثاني "لوي دايا" ليكونوا نسلها الذي يحمل اسم المؤسسة لا غير، ويحكموا من بعدها.

بعد موتها انتقل الحكم لأبنائها الذين أظهروا جدارتهم بالحكم، وقد عاصرهم والد يورك ليولد يورك ويكون نصيبه أن يعيش بفترة والد الملك ماكسيم والملك ماكسيم الذي قام بطلب مخلوقات السفينيكس والسيربيروس ليكونوا حرسًا خلف قصره خاصة، أما بقية المخلوقات ستحكم نفسها بنفسها بأراضٍ مختلفة، ولكنها بالقرارات المصيرية التي تخصها ستلجأ لحكمة الملك في نهاية المطاف، وسترسل تقارير مفصلة عن أوضاعهم في نهاية كل شهر كي لا تغفل عينه عنهم، وكانت تلك الفترة أحد أفضل الفترات في الحكم وأكثرها استقرارًا، سرعان ما عكر صفوها وجود خائن بصفوف الملك!

الوزير الأول إيلفين!

لم يعرف أحد سبب خيانته للملك، وكل ما هو واضح للأذهان هو أنه كان يطمع بالحكم، ولكنه بقي بظل الملك حتى يكسب وده وتعاطفه، ثم يتعلم السحر من الدرجة الأولى على يد أعتى الساحرات ليستغله فيما يضر المملكة، ويذكر أنه استخدم تعويذة محرمة والآخر يعتقد أنها تعويذة من ابتكاره، قام بها بتقسيم عالم إيرفوردن ويلت إلى قارات، وقام بتهديد الملك علانية وجعله يوقع عقدًا مشروطًا كي لا يقوم بما هو أسوأ، وألا يتوارث الحكم بين الإخوة، بل يكون من أب لابن، وكان الغرض من هذا هو محاولة اعتلائه للحكم بطرق ماكرة، فلقد كان للملك ماكسيم ابنان، الأكبر فيكتور والأصغر هو ويليام! مات ماكسيم، وكانت هذه أول مرة يموت بها ملك في سن لم يتجاوز 150 عامًا كما كان الملوك الذين من قبله، والذين يقال بأنهم عاشوا حتى 170 سنة، لذا رجح أنه تم اغتياله بطريقة ماكرة ليظهر بأنه مات ميتة طبيعية، حينها يورث الحكم لابنه فيكتور الذي حاولوا مرارًا وتكرارًا اغتياله قبل أن ينجب أي أبناء ليرثوه، حينها سيتسنى لهم اغتيال شقيقه الأصغر، ويبقى كرسي العرش شاغرًا ليعتليه أخيرًا إيلفين بعد أن يفرض نفسه.. لكن أحد الأسباب التي كانت تمنعه من القتال المباشر هو طيور العنقاء الوفية التي لن تسمح لغير نسل لوي دايا باعتلاء العرش، وأيضًا لعجزه أمامها، فمهما حاول إلقاء تعويذة مميتة عليها فهي لا تتأثر مطلقًا.

أما المخلوقات الثلاثة عشر الأخرى فلم تكن راضية عن الوضع، وعن ضعف الملك ماكسيم وعدم مواجهته وإيقافه لإيلفين، وذلك

بسبب خوفه على المملكة من الضياع، فالساحرات اللاتي علمن إيلفين السحر أعربن عن عجزهن في مقاتلته، فقد تفوق التلميذ على المعلم.

لذا لم يعجب الوضع الكائنات الأسطورية، وبدأت بالانسحاب الواحد تلو الآخر، ولعجزها هي الأخرى، فضلت البقاء بوضع محايد بدون أن يحكمها أحد.

وأما من أبى التخلي عن الملك هم العنقاء والسفينيكس والسيربيروس، وأما عن احتمالية مواجهة العنقاء لإيلفين بسبب عدم تأثرها بالسحر، فقد كانت الساحرات يحبطن الملك بحقيقة أن إيلفين أصبح يكوّن تعويذاته الخاصة بنفسه الآن، لذا من غير العقلاني مواجهته، فقد يكون بقوة تفوق قوة العنقاء!

وكان هذا في النهاية مجرد افتراض منهن، والوزراء يرون أنه من غير العقلاني التجربة، فنسبة الهزيمة مرتفعة.

هنا انتهى ما كانت تطمح إليه الملكة إيفروناس، ولم يتبقَّ من المملكة سوى اسمها!

***

بعد أن أنهى يورك حديثه بقينا أنا وآرثر نتبادل النظرات بصمت لأسأله:

هل كنت تعرف أن طيور العنقاء لا تتأثر بالسحر؟

هزّ رأسه نافيًا لعجزه عن الحديث.. أمسكت برأسي بحيرة وأنا أشد بقوة على فروته بدون أن أتحرك من وضعيتي، تحدثت ليورك:

الملك فيكتور.. أقصد والدي، لقد كان على علم بأن طيور العنقاء لا تتأثر بكم، إذن لمَ لم يعد جمع شملكم؟

يورك:

الإنسان الأصيل لا يتسلط على من هم أضعف منه بحضرة من هو أقوى منه!

وقفت من مكاني حاملة سيفي بعد أن أخرجته من غمده واضعة إياه على رقبة يورك، لأقول وأنا ألهث بغضب:

بعد الآن لن يكون هناك من هو أقوى من نسل إيفروناس أبدًا! لا إيلفين ولا مئة شخص مثله، لقد عادت إيفروناس وستعيد معها كل شيء لنصابه.

أبعدت السيف عن رقبته، لم يتحرك قيد أنملة أو يفزع أساسًا، لذا جثوت على ركبتي أمامه وأنا أنكس برأسي أرضًا ليقف بقلق من فعلي!

- لكن إيفروناس لم تكن لتفعل الكثير بدون المساعدة من الآخرين، لذا أطلب منك أنا عفراء أن تنضم لصفي وتكون تحت حكمي!

بدا الارتباك الشديد عليه وهو يطلب مني أن أقف ولا أركع لأحد، كان هذا لأجل أن أريكه حقًا ولجعله بموقف صعب، فالأغلب يهلع عند رؤيته لمن هو أقوى منه يجثو له، لهذا أقول دومًا إن العنف ليس الحل المناسب دائمًا، فكل ما نحن بحاجة إليه هو التحدث بهدوء.

بقي آرثر يراقب بصمت، فهو يعلم مسبقًا أني لا أريده أن يتدخل بأفعالي في موقف كهذا، ولكن له حرية التصرف فيما يخصه، لذا تقدم نحو يورك وفاجأني بأن جثا على ركبته مثلي وهو يقول له:

أنا آرثر.. الحاكم القادم لمملكة أوروورا، أريدك أن تمدني بقوتك، ومن ناحية أخرى تكرس نفسك لي وتكون تحت إمرتي!

يورك بصدمة:

الحاكم المستقبلي؟ لكن العقد المشروط يش...

- نحن لا نعترف بأي عقد! آن الأوان لتعود المملكة لسابق مجدها، وأعد بأنه لن يظل هناك من يهددها، وأعني بذلك إيلفين!

استرقت نظرة لآرثر بسعادة وأنا أحدث نفسي بداخلي، سعيدة بأنه يتصرف كشخص ناضج وواعٍ، أحسنت، فلتكمل على هذا المنوال.. أيها الملك!

كان الإحباط لا يزال مسيطرًا على يورك، ويبدو أنه على شفا حفرة من السقوط بحفرة الاقتناع لينهي آرثر الحديث بحزم:

إن انضممت لنا فلن ننسى أنك ملت لصفنا بالرغم من ضعفنا، سيكون هذا ولاء منك.

ابتسم يورك بحنق وهو يضرب جبهته بكف يده قائلًا:

سحقًا لكم.. أين هو لحمي؟

التقت أعيننا أنا وأخي بفرح بسرعة، وقد وقفنا يعانق أحدنا الآخر، بدون شعور فككت عناقه وتقدمت للآخر وأنا أمد يدي له مصافحة:

نصف ناضجة، أليس كذلك؟

صافحني وهو يضحك موافقًا..

***

أصبحت هذه الغابة المظلمة منيرة بفضل النار الموقدة بكل مكان، يورك يتحدث مع آرثر.. أنا أقوم بتقطيع اللحم بمساعدة إيثيل الذي أقوم بتوبيخه بكل مرة تسقط بها عقدة شعره ليتناثر على وجهه الذي أخاف أن تنسل شعيرات منه على الأكل، إلمار يدخل يده بذلك الثقب في كل مرة يطلب منه أحد مصاصي الدماء مكونًا من مكونات الطبخ، الجميع هنا يعمل، فقد أصر علينا يورك بأن نبقى لهذه الليلة لأجل وليمة كبيرة احتفالًا بالتحالف وعودة العلاقات.. لاحظت أن أعينهم جميعًا

هؤلاء ويبدون بسن العشرين، طويلو القامة وسريعو الحركة، سألت أدا إن كانوا يتغذون دومًا على الدماء، لتخبرني بأنهم لا يداومون عليه ويكتفون بدماء بعض الكائنات الضعيفة من وقت لآخر.

بعد أن جهزنا الوليمة، وقف يورك في المنتصف لينبته الجميع إليه:

لا تكونوا ناكرين للمعروف، فأراهن أن لا أحد من نسل إيفروناس قد طبخ لكم من قبل!

بدؤوا بالهتاف جميعًا وأصواتهم المخيفة تتردد أصداؤها في الغابة، بداخلي كان جزء سعيد جدًا فلم أتوقع أن يكون الأمر بهذه السهولة، وقد وضعت احتمالًا برفقة احتمالات نجاحنا، وهو أن نموت على يد مصاصي الدماء بهذه القارة، لكن أقول إن الحظ هذه المرة كان حليفنا، وأتمنى أن يظل كذلك دومًا.

أثناء مراقبتي للجميع وهم يتلذذون بالأكل، لمحت يورك وهو يقترب مني وملامح وجهه جدية للغاية هذه المرة، استقر بجانب كتفي الأيمن وبقي يشاركني مشاهدة الجميع، ونظره مصوب نحو مجموعتي التي أتيت معها، تنحنح ليقول:

سموك، أتمنى ألا تستائي مما سأقول.

- بإمكانك مخاطبتي بدون رسميات، ما الأمر؟

صمت قليلًا كمن هو متردد في الحديث، سرعان ما حسم موقفه:

أعتقد أن بينكم خائنًا! إنه حدس لا يخطئ، ولك حرية القرار.

رفعت رأسي لوجهه، ولم يكن ينظر لأحد محدد، نظراته تتوزع على الجميع من رفاقي، أخرجت زفيرًا طويلًا من أنفي وأجبت:

نعم، أنا أعرف هذا، ولكن لست متأكدة من هويته تمامًا! عدوي يرتحل معي وأنا لا أجزم من هو من بينهم.

- ولا أنا أعرف، ولكن حدسي أخبرني أنه واحد منهم، كوني حذرة مستقبلًا.

همهمت بالموافقة، وبقيت أراقب الأجواء التي بدأت تنطفئ شيئًا فشيئًا ليناموا جميعًا على الأرض بطريقة فوضوية، لم أشعر برغبة في النوم لذا ذهبت أسفل الشجرة التي اعتدت الجلوس عليها وأنا أمرر بصري بين رفاقي بشك، لم أرد أن أوضع بموقف كهذا، فعدوي برفقتي ويعرف بكل تحركاتي، وأظن أن الذي أراد قتل آرثر بينهم.

بقيت إيديث مستيقظة، ورأيتها تقترب مني لتجلس بجانبي، عرفت منها سابقًا أنها تعاني من الأرق، لذا لا تنام، وإن نامت ستنام لساعة على الأكثر.

جلست وقد ابتسمت لي، ولكني لم أبادلها واستمررت بمراقبة الجميع، سابقًا لم أحدثهم بما أخبرني يورك، فقط نزلنا وبشرتهم بأنه بصفنا بدون تقديم تفاصيل إضافية.

كانت إيديث شخصًا موثوقًا بالنسبة لي، وأستطيع إخبارها بما يتبادر لذهني دومًا كونها مستمع جيد ويقدم حلولًا فعالة ويعتمد عليها، لاحظت تغيرًا فيَّ لتسألني ما الخطب.

- إيديث، هل كنتِ تعلمين أن طيور العنقاء لا تتأثر بالتعاويذ السحرية؟

استغربت عند سماعها لهذا، وعرفت حينها بأن هذه المعلومة تلقى لمسامعها لأول مرة.

- هل تذكرين الخائن الذي قتل والدي وحاول قتل أخي كذلك؟ أعتقد أنه بيننا الآن!

إيديث:

أخبريني عن اسمه ولن ترمشي حتى تجدي رأسه ملقىً أمامك.

- حتى لو كان إلمار؟

حينها صمتت وتصنمت للحظات كمن سمع ما لم يتوقعه، سرعان ما وضعت يدها على مقبض سيفها:

- حتى لو كان هو.. نعم!

أخبرتها بأن تهدأ، فالخائن ليس إلمار طبعًا، ولكن كان هذا لأجل اختبار ولائها وحسب.. أنا لا أعرف هويته تمامًا لذا بمجرد أن أعرفه سأقتص منه بنفسي.

- أولًا من أين لي أن أعرف؟ وثانيًا لست أنت من يقرر المهم من عدمه، كل ما عليك فعله هو إخباري بما تعرف مهما كان سخيفًا، وأنا من يقرر أهميته!

شعرت بأني تماديت بأسلوب حديثي معه ليعتذر ويعدني بأن سيخبرني مستقبلًا بكل ما يعلمه، أكملنا المشي، كان معبر الشجرة يشبه الجسر المعلق، ولكنه يتكئ على ركائز مثبتة بالأرض، وهي عبارة عن أغصان شديدة الطول والعرض، وبالأسفل جبال تغطيها طحالب وأوراق نباتات يبدو أنها انبثقت من بين ثنايا الصخور، أما عن الجبال فتندفع من شقوقها مياه منسدلة بكميات قليلة، ولكنها تصب في النهر، وأتوقع أنه لم يكن هكذا إلا بعد أن تجمعت كميات الماء القليلة مع مر الزمن حتى أنشأت نهرًا مياؤه شديدة الصفاء.

كذلك بالأسفل جسور مهدمة، أميز بالنظر إليها أنها متداعية، لحسن الحظ أن هذه المنطقة جبلية كذلك، لتتوارى الشمس الحارقة خلف قمم تلك الجبال ريثما نصل إلى منطقة مظللة، اقتربت أدامني وقد مضى وقت بالنسبة لي لم أكلمها فيه، وشعرت بالاشتياق لها، نظرت إلي نظرات متقطعة كمن يشك بأحد، سرعان ما أمسكت بخصرها وأنا أنغزه من انزعاجي من هذه الرمقات، قالت:

هذه أنتِ إذًا، أثناء حديثك مع إلمار بتلك الطريقة بدوتِ فعلًا كأنك عفراء السابقة!

قلت باستهزاء:

لم ظننتِ ذلك؟

- نظل تصرخ بالأرجاء وتوبخ الجميع، لذا لم تختلفي عنها.

ضحكت على طريقة حديثها، سرعان ما تداركت أني تواقحت نوعًا ما مع إلمار، لا يجدر بي مخاطبته أمام الجميع بهذه اللكنة، لذا قررت بأني سأعتذر له عندما تحين الفرصة المناسبة.

مشينا لساعة ونصف على معبر الشجرة لنصل إلى أرض جرداء غير مستوية تثير الرجفة، كلما تذكرنا أن قاطنيها أحد المخلوقات العدائية، تمنيت لو أن نير وقطيعه من العنقاء برفقتنا الآن، فأنا لم يكن لي علم بأنهم قادرون على مجابهة المخلوقات الأحد عشر، وقد استخففت بهم نوعًا ما خاصة بعد أن علمت أنهم لا يتأثرون بالتعاويذ.. ليتني جلبتهم معنا.

بدأنا بالتقدم والحر ينهكنا وكأننا دخلنا بقارة جديدة، تموجات الحر التي تجعلني أبدأ بالتوهم بأمور لا وجود لها، الحر قاتل هنا، وأؤكد بشكل قطعي أن درجة الحرارة هنا تجاوزت الخمسين، حتى فيرا أشدنا بنية يبدو عليها التعب والإرهاق.. بدأ إلمار وآرثر وروي وجود بنزع سُتَرهم ليلفوا على قمصانهم التحتية القصيرة وأجسادهم تتعرق بلا توقف، قام ما تبقى منا بالمثل، بياتريس تقوم بإنشاء مياه باردة وتصبها على وجهها وتمررها لنا لنصب ونخفف من وطأة الحر.. تذكرت أن الوزراء يجيدون

السحر من الدرجة الأولى، لذا طلبت من إيديث أن تجعل الجو مظلمًا، قالت بأنه بعد موت الملك ماكسيم لم يعد الوزراء يتعلمون السحر من الدرجة الأولى، فالساحرات ابتعدن عنه، وكذلك لم يُعلِّم أحد من الوزراء السابقين السحر بتمامه لمن بعدهم، لذا فهي لا تستطيع، وحتى لو كان بمقدورها تغيير الجو، فهي لن تفعل لأن ذلك سيكشف وجود دخلاء.

تأففت بتعب وأنا أترنح لأدا وأطلب منها أن تحملني لتدفعني بعيدًا عنها، فلا أحد يتحمل أن يكلمه أحد بهذا الحر، فقط لو أننا كنا على علم بهذا لدخلنا هذه الأرض ليلًا! بسبب قدرة تحمل طيور العنقاء للحر الأشد من هذا فالتقارير التي كانت تأتي من بعثاتهم لم تكن تحمل معلومة عن درجة الحرارة، وكانت توصف بأنها معتدلة وحسب.

في كل مرة أحس بها بالتعب والإغماء.. أتماسك عند رؤيتي لهؤلاء وهم يكملون للأمام.. هم كذلك مرهقون ومتعبون ويحتاجون إلى الراحة، ولكن إرادتهم هي من تدفعهم للأمام متناسين الحر والعطش، آرثر الذي يصغرني بخمس سنوات يتقدم للأمام بحزم، وأرى كيف أنه يتمايل ولكنه لا يظهر ضعفه أمام أحد ليوحي أنه فعلًا يستحق أن يكون الملك المستقبلي!

تذكرت حينها حواره مع يورك، تقدمت نحوه وأنا أضع يدي على فمه.. ابتسم لي بتعب يوحي بأنه لا يقدر بل لا يريد خوض حديث الآن، ولكنني عاندت وقلت:

أتعلم؟ أشعر بالسعادة نحوك لما فعلت سابقًا.

هزَّ حاجبيه بعدم فهم لأشرح:

أحب رؤيتك وأنت واثق من نفسك.. أتذكر حوارك مع يورك، أريد أن أراك تحدث الجميع بذاك القدر من الثقة.

هزَّ رأسه لي:

كنت أعرف بأن ذلك سيسعدك.

- بالطبع سيكون كذلك، فبفضلك نجحنا بضم يورك وأتباعه لنا، لأنك كنت واثقًا من نفسك! في اليوم الذي تثق به بنفسك سيثق بك الجميع، وعندما تحب نفسك سيحبك الجميع، وإن أحببت شكلك حتى لو كان بشعًا فسيرى الجميع بأنك أجمل مخلوق في العالم؛ لأنك ترى نفسك جميلًا.. أنت من تحدد قيمة نفسك آرثر، أحسنت، فلتواصل على هذا!

قلت هذا وأنا أنظر لوجهه وأنظر لابتسامته التي قاطعها سيف إيديث وهو يمر بيني وبينه لنسقط على تلك الأرض الحارة على يدينا؛ لنسحبهما بسرعة بسبب الحرارة، رفعت رأسي لأجد إيديث تقف أمامنا

كحاجز لي ولآرثر من أحد ما ملثم الوجه، ويقف العديد من أمثاله خلفه!

ما هذا بحق السماء؟!

بدأت أعيد المشهد في رأسي ببطء ليظهر لي بأن ذلك الملثم كاد يغرز سيفه بوجه آرثر، ولكن كانت سرعة حركة إيديث هي ما أنقذنا.

بدأ الجميع يمسك بسلاحه بوضعية انتظار الإشارة من إيديث أو شقيقها الذي كان واقفًا بجانبها بجسده المفتول والمليء بالوشوم التي لم أفهم رموزها على كتفه الأيسر.

تكلم أحد الملثمين:

هدفنا آرثر فحسب.. إما أن تقدموه لنا طواعية وإما ستذهبون في مهب الرياح معه.

أمسكت سيفي وأنا أتقدم وأوجه حديثي بسخرية له:

إن وجدت حمارًا ذا قرنين فسأسلمك آرثر.

في حقيقة الأمر، لا أعامل السيف على أنه أداة حادة قاطعة، ولكن أنظر إليه على أنه عصا سأكسر بها عظام من أمامي، لم تسمح لي فيرا بالتقدم وتقدمت بدلًا عني هي وجود وإيديث، وبدؤوا بالاشتباك بمعركة مع هؤلاء الملثمين الذين بدا لي أنهم بشرا ولكن إيلفين يعيش بقارة كاونتر بمفرده، ولا أظن أن هؤلاء من شعبي، فلا أحد يخرج من المملكة أبدًا ولا يعبر حدودها.

بقي الثلاثة يتقاتلون وقد كانوا يتميزون بسرعة حركة وتزامن غريبين، لا أحد منهم يعرقل حركة الآخر، وكأنهم يحفظون تحركات بعضهم البعض ليتماشوا بتناسق.. منجل جود الضخم يضع رأسه أرضًا لتأتي إيديث راكضة وهي تقف عليه ليرفعها عاليًا ويسبب بفضل ذلك اندفاعًا قويًا لإيديث لتطعن بسيفها صفًا كاملًا، فعلًا.. هؤلاء الكبار بمستوى مختلف عن الجميع!

المار يشاهد شابكًا ذراعيه لصدره بدون تدخل، وكأنما يثق ثقة عمياء بهؤلاء الثلاثة، ويعرف بأن وجودهم لا يستدعي تدخله، لم يسمح لنا بالانضمام إليهم بحجة أننا سنعرقل حركتهم بوجودنا بينهم، لذا بقينا نشاهدهم بصمت إلى أن انتهوا، مات أغلبهم ولكن إيديث أبقت على واحد منهم لتنزع عنه ذلك القناع.. بالفعل! إنه بشري ولكن آذانه طويلة كآذان الجنيات!

سألته بحدة:

من أرسلك؟

أبى الإجابة لتركله بركبتها على أنفه ليصرخ بألم وهو يحاول إيقاف النزيف، أضافت بغضب جعلها تبدو مرعبة:

في العادة لا أكرر كلامي مرتين ولكني سأفعل هذه المرة.. من أرسلك؟

لم تسألني عن طبيعة الحديث الذي دار بيني وبين يورك فوق الشجرة سابقًا لملاحظتها لحرصي على التكتم على الأمر، وقد احترمتْ هذا فأنا لا أريد أن أخبرها هي وشقيقها أنني جثوت وآرثر له، فهذا سيغضبهما للغاية، خاصة هي، ولكن عرفت أن الجميع لم يتوقع أننا سننجح بإقناعه، إلمار كان خائفًا علينا طوال مدة غيابنا يجول المكان ذهابًا وإيابًا بانتظارنا، لاحقًا صعقوا عند رؤيتنا نحن الثلاثة قادمين، وكل أمارات الاستبشار بالخير على وجوهنا، والآن لم يظل سوى عشرة مخلوقات!

طلبت منها أن تتكتم على حقيقة وجود خائن بيننا، خاصة عن إلمار الذي لا أستبعد بأنه سيعلقهم على أشجار ويقوم بتعنيفهم الواحد تلو الآخر ليعترفوا بالقوة! وافقت على مساعدتي على اكتشافه، فقط نحن الاثنتان سرًّا.

***

في النهار التالي، قام يورك بتوديعنا وأمر أحد أتباعه بإيصالنا حتى الحدود التي بينهم وبين المحاربين الضخام.. لقد حذرنا منهم لمرات عديدة، وأنه يجب علينا التفكير جيدًا قبل اتخاذ أي خطوة نحوهم، شكرناه وأكملنا مسيرتنا لنصل عند معبر الشجرة ويعود الفريق الذي أمرهم بمرافقتنا لديارهم بعد أن ودعناهم هم الآخرين.

أثناء سيري، لم أكف عن التفكير بفرضيتي الخاطئة، وهي أن أحد الوزراء بالمملكة هو من ينقل أخبارنا ويشتغل تحت إمرة إيلفين، إذًا هذا يعني أنهم موثوقون وظلمتهم بشكي، والخائن برفقتي الآن.

لم أستطع التحمل لأقف وأنا أنادي إلمار لينظر لي:

هل كنت تعرف أن طيور العنقاء لا تتأثر بالتعاويذ السحرية؟

حكَّ ذقنه بإصبعه وهو يقول:

نعم، أنا على علم بهذا.

حينها لم أتمالك أعصابي لأصرخ به:

ولم لا تخبرني بشيء مهم كهذا إذًا!

ساد الجو صمت مهيب ليجيب بعدها بلحظات:

اعتقدت أنك تعلمين هذا، وظننت أيضًا أنه ليس بالأمر المهم.

قالتها وهي تضع سيفها على رقبته، كان شخصًا ضعيفًا بالفعل إذ بدا بالنحيب والبكاء، وكان على استعداد للاعتراف:

إيلفين!

هذا ما قاله وهو يلهث بصعوبة.. توقعت إيديث الإجابة ولكنها سألت ما لم يخطر ببالي بسبب الحر والموقف بأكمله:

من الذي أخبر إيلفين بموقعنا؟

بدأ يتنحب وهو يخبرنا بأنه لا يعرف، ولكن بعد أن شدَّدت على نصلها ليبدأ باختراق رقبته شيئًا فشيئًا بدأ بالتوسل إليها لتتركه وسيعترف، التفّت خلفه وهي تشد شعره رافعةً رأسه لينظر لأوجهنا جيدًا وهي تقول:

انظر إلى الجميع جيدًا وأشر بإصبعك إلى الخائن!

نظر لجود الذي كان ينظف منجله بدون اهتمام، سرعان ما أشاح بعينيه عنه، التقى بصره بفيرا وبقيا يتبادلان النظرات، سرعان ما أبعد عينيه عنها، إلمار الذي لم يغير من وضعية وقوفه.. نظر إليه وهو يبتلع ريقه ثم أبعد عينيه عنه، نظر إلي مطولًا ثم رفع إصبعه نحوي!

لم أخف.. لم أتوتر، لمعرفتي السابقة بأن إيديث بصفي وهي تعلم بأني أشك بوجود خائن، لذا من المستحيل أن أكون أنا، وهذا الأحمق لم يجد استغلال الموقف عندما أشار إلي بإصبعه، فغالبًا هو يعتقد بأنه سيزرع الشك والفتنة بيننا ما لم يعجب إيديث لتحمل سيفها وكان من الواضح

أنها لن تتركه حتى يعترف بهوية الخائن الحقيقية، ولكن إلمار اقترب وفصل رأسه عن جسده لتنفجر من رقبته نافورة من الدماء!

غضبت أخته عليه كثيرًا وكانت على وشك أن تتشاد معه، ولكنه قال بهدوء:

هل تعتقدين أن إيلفين رجل أحمق ليرسل أحدًا يعرف بهوية الخائن؟

نعم! إنه محق، إيلفين سيرسل من يقتص منا وحسب، ولن يخاطر بإرسال شخص يعرف هوية الخائن؛ لأنه سيضع بالحسبان بكل تأكيد فرضية بأنه سيقع بين أيدينا ويعترف بهوية الخائن!

نظرت ليميني حيث تقف فيرا وقد ضقت ذرعًا ونفد صبري وأنا أسألها بطريقة مستفزة:

ها فيرا! أخبريني، من الخائن برأيك؟

نظر الجميع نحوها وقد شعرت بأني أحاول استفزازها لترد علي بالمثل:

اعتقد بأنه أنا.

شعرت بها تحاول أن تحرجني بردها، ولكني قلت بهدوء:

حسنا، ربما! من يعلم؟

أعرب إلمار عن انزعاجه وقد سحبني على انفراد وهو يؤكد أن فيرا لا تقوم بشيء كهذا! استدار موجهًا حديثه لنا جميعًا كمن يخطب بنا:

إن كنتم ستشكون ببعضكم البعض فلتعودوا أدراجكم إذًا، ومن أجل بفرضية أن هناك خائنًا بيننا؟ هذا ما يريده إيلفين! أن يشك بعضنا ببعض، وحينها لن نحرز أي تقدم!

بياتريس:

إذًا، إن لم يكن هناك خائن بيننا، فكيف يعرف إيلفين مواقعنا؟!

– نحن نجهل مدى قوة هذا الرجل، ليس بالضرورة أن يكون هناك خائن بيننا.. أريدكم أن تثقوا ببعضكم وتكملوا إلى الأمام، وإلا فلن يكون هناك معنى لما نقوم به.

رأيتها! شبح ابتسامة على شفتي فيرا وهي ترمقني! بقيت أحدق بها كمن يعلم نواياها، أمرنا إلمار بالتقدم بدلًا من الوقوف تحت هذا الحر القاتل.. لم يكن هناك من سيسمعني ويصدقني سوى أدا وإيديث، ولكن، بما أني لم أخبر أدا عن شكوكي، ولا أعتقد بأني سأخبرها، لا أحد سيصدقني ويقف بصفي حاليًا سوى إيديث!

اقتربت منها وأنا أمسك معصمها برفق:

هل تصدقين كلام شقيقك؟

بدت الحيرة عليها كأنها تريد تصديقي مجاملة وحسب، ومن ناحية أخرى تعتقد بأنه معي حق.. أدارت وجهها للناحية المعاكسة كي تبتعد عني، شعرت حينها بالخيبة!

الشخص الذي اعتقدت بأنه الوحيد الذي سيصدقني لم يعد يصدقني!

تركت يدها وتراجعت إلى الخلف وكأن عبئًا ثقيلًا فوق كتفي، عبء الخيبة الذي يجعلك تشعر بالضعف عندما يكون من شخص غير متوقع، بوجودها كنت أشعر بأني أملك جيشًا خلف ظهري ليحميني، ولكن الآن، نصف جيشي قد أبيد.

غيرنا من اتجاه سيرنا تحت أوامر فيرا التي قالت بأنه سيكون من الجيد التحرك على نفس الوتيرة للأمام، ولكن بالميل للشرق كي تخف حرارة الشمس المنبعثة علينا ولو قليلًا.

بسبب تفكيري لم أعد أشعر لا بالشمس ولا بما حولي، ولم يعكر صفو شرودي سوى نداء أدا على بياتريس التي سقطت أرضًا مغشيًا عليها، اقتربت نحوها وجسدها يتصبب عرقًا ووجهها شديد الحمرة.. حملها روي وهو يطمئننا بأنها ستكون بخير بعد قليل.

نغزتني أدا باستمرار وعلى وجهها ابتسامة خبيثة، لم يكن الوقت مناسبًا لها وهي تسأل بطريقة مقيتة تزعجني: هل تشعرين بالغيرة؟

لم أفهم، فما زال عقلي بالأحداث السابقة:

أية غيرة؟

لم تجب وحركت حاجبيها بإستمرار وهي تنظر لروي الذي يحمل بياتريس.

زفرت وأنا أنقر جبينها بقوة:

لم أعتقد بأنك سطحية التفكير.. لا شأن لي بهما.

بعد السير لفترة بدا الإجهاد على روي، وخاصة أنه يحمل بياتريس، لذا كانت فرصة لكي نرتاح جميعًا فإقترحت أن ننصب خيمة صغيرة ريثما تغرب الشمس.

أنشأ إلمار خيمة كبيرة بإحدى تعاويذه، ولكني طلبت منه خيمة صغيرة خاصة بي، فأنا بحاجة لبعض الخصوصية، وفعلًا قام بإنشائها لي.. دخلت وأنا أسدل بابها القماشي، حتى بوجود خيمة لم يخف الحر كثيرًا، سحبت كتاب التعاويذ الذي كان بحوزتي.. آخر مرة قمت بالتقليب فيه سريعًا بدون التدقيق أو قراءته، وهذه المرة أريد أن آخذ نظرة فاحصة عليه.

كان المجلد يحتوي على أربعة فصول، فصل بعنوان "تعاويذ هجومية"، والآخر "تعاويذ دفاعية"، والفصل الثالث "تعاويذ جوية"، وآخر فصل "تعاويذ إنشائية" لفت انتباهي "تعاويذ جوية"، وهي ما

ترتبط عادة بالجو! للتو عرفت أن الكبار لم يتعلموا من السحر ذي الدرجة الأولى، لذا لا يعرفون كيفية التحكم بالطقس تمامًا.

لم أقراه بإهتمام، فقط حاولت أن أتصفحه بسرعة، ببداية كل فصل يكون من السهل قراءته وتقليد حركات اليد المرسومة به، وكلما تقدمت بالصفحات يزداد الأمر صعوبة ويزداد عسر فك شفرات الحروف المتداخلة ببعض، انتقلت لفصل الإنشاء، كانت أولى الصفحات تحمل رسومًا توضيحية وسهلة، وأول ما تتعلم إنشاءه هو نيران مشتعلة، وثاني شيء هو مياه، يجب أن تجيد نطق تعويذتها وتحريك أصابعك، لأن المياه ستظل تطفو بالهواء وستصب أرضًا بمجرد تحريك يدك أو أصابعك بحركة خاطئة.. بسطت المجلد أرضًا أمامي وجلست على ركبتي ومرفقاي على الأرض لأستطيع قراءة المكتوب، وبدأت أحرك أصابعي هواءً بحركات بسيطة وسهلة ولكني كنت أخطئ كثيرًا بنطق التعويذة لأعيد البدء من جديد، استمررت بالمحاولة مرارًا وتكرارًا حتى بدأت أراها!

بسطت يدي جوًّا وكل إصبع من يدي اليسرى واليمنى يلمس شبهه، الخنصر مع الخنصر، البنصر مع البنصر، وهكذا حتى يتوقف عند السبابة، وكل هذا وأنا أبسط يدي، بقيت أراقب القطرات وهي تتجمع من العدم لتتلاصق ببعضها البعض مشكلة لي كرة مائية تتضخم شيئًا فشيئًا، ولم تتوقف عن التضخم إلا عندما فرقت أصابعي عن بعضها البعض.

لم أفهم، فما زال عقلي بالأحداث السابقة:

أية غيرة؟

لم تجب وحركت حاجبيها بإستمرار وهي تنظر لروي الذي يحمل بياتريس.

زفرت وأنا أنقر جبينها بقوة:

لم أعتقد بأنك سطحية التفكير.. لا شأن لي بها.

بعد السير لفترة بدا الإجهاد على روي، وخاصة أنه يحمل بياتريس، لذا كانت فرصة لكي نرتاح جميعًا فإقترحت أن ننصب خيمة صغيرة ريثما تغرب الشمس.

أنشأ إلمار خيمة كبيرة بإحدى تعاويذه، ولكني طلبت منه خيمة صغيرة خاصة بي، فأنا بحاجة لبعض الخصوصية، وفعلًا قام بإنشائها لي.. دخلت وأنا أسدل بابها القماشي، حتى بوجود خيمة لم يخف الحر كثيرًا، سحبت كتاب التعاويذ الذي كان بحوزتي.. آخر مرة قمت بالتقليب فيه سريعًا بدون التدقيق أو قراءته، وهذه المرة أريد أن آخذ نظرة فاحصة عليه.

كان المجلد يحتوي على أربعة فصول، فصل بعنوان "تعاويذ هجومية"، والآخر "تعاويذ دفاعية"، والفصل الثالث "تعاويذ جوية"، وآخر فصل "تعاويذ إنشائية" لفت انتباهي "تعاويذ جوية"، وهي ما

[illegible] عادة بالجو! للتو عرفت أن الكبار لم يتعلموا من السحر ذي الخطوة الأولى، لذا لا يعرفون كيفية التحكم بالطقس تمامًا.

لم أقرأ بإهتمام، فقط حاولت أن أتصفحه بسرعة، ببداية كل فصل يكون من السهل قراءته وتقليد حركات اليد المرسومة به، وكلما تقدمت بالصفحات يزداد الأمر صعوبة ويزداد عسر فك شفرات الحروف المتداخلة ببعض، انتقلت لفصل الإنشاء، كانت أولى الصفحات تحمل رسومًا توضيحية وسهلة، وأول ما تتعلم إنشاءه هو نيران مشتعلة، وثاني شيء هو مياه، يجب أن تجيد نطق تعويذتها وتحريك أصابعك، لأن المياه ستظل تطفو بالهواء وستصب أرضًا بمجرد تحريك يدك أو أصابعك بحركة خاطئة.. بسطت المجلد أرضًا أمامي وجلست على ركبتي ومرفقاي على الأرض لأستطيع قراءة المكتوب، وبدأت أحرك أصابعي مرارًا بحركات بسيطة وسهلة ولكني كنت أخطئ كثيرًا بنطق التعويذة لأعيد البدء من جديد، استمررت بالمحاولة مرارًا وتكرارًا حتى بدأت أراها!

بسطت يدي جوًّا وكل إصبع من يدي اليسرى واليمنى يلمس شبيهه، الخنصر مع الخنصر، البنصر مع البنصر، وهكذا حتى يتوقف عند السبابة، وكل هذا وأنا أبسط يدي، بقيت أراقب القطرات وهي تتجمع من العدم لتتلاصق ببعضها البعض مشكلة لي كرة مائية تتضخم شيئًا فشيئًا، ولم تتوقف عن التضخم إلا عندما فرقت أصابعي عن بعضها البعض.

فهمت حينها طبيعة عمل التعويذة، حاولت حفظ كلمات التعويذة وحركات اليد والأصابع، وكانت سهلة الحفظ واكتفيت بما تعلمت لليوم.. عدت لأطلع على أول فصل.. فصل التعاويذ الهجومية، لم أقرأ ما هو مكتوب وبقيت أقلب الصفحات فقط لمشاهدة الرسوم التوضيحية، ولفت انتباهي شيء ما بمسمى "هجوم إنشائي" انقوم بنطق المكتوب بطريقة صحيحة، وتشبك أصابعك ببعض ثم تحركها بطريقة صعبة ملامسًا راحة يديك وأصابعك ببعضهما البعض وأنتَ توجهها للهدف، وبذلك تنشئ سهامًا مشتعلة من العدم لتوجَّه مباشرة إلى مبتغاك.. ليس هذا ما أثار انتباهي! بل رسمة السهام هي ما جعلني أشرد برعب.

هذه السهام المشتعلة تشبه التي استهدفت آرثر أثناء احتفالنا بعام الإيفرو الجديد!

إذن، لقد قام أحد بتطبيق هذه التعويذة أثناء استهدافه له!

تكلم صوت من خارج الخيمة، لقد كانت إيديث وهي تستأذن للدخول علي.. خبأت المجلد بسرعة وسمحت لها بالولوج.

دخلت لتجدني أجلس مربعة قدميَّ، ويداي بحجري كمن كان يفكر.. جلست قبالتي بمسافة قريبة وهي تسحب يديَّ الاثنتين وتمسكهما بحنان يذكرني بوالدتي التي لا أعرفها ولم أقابلها حتى، لتقول:

أنا لا أصدق كلام المار.. أنا أصدقك ولا زلت أشك بوجود خائن بيننا! لم أستطع أن أجيبك سابقًا، فلقد كان جود بمسافة قريبة، وقد سمعك تسألني.

نظرت بإعجاب:

هكذا إذًا!

ابتسمت مردفة:

ألم نقل بأننا سنعرف الخائن معًا بدون تدخل أحد آخر؟

هززت رأسي بنعم، لتؤكد لي بأن هذا ما سنفعله! لكنها طلبت مني ألا أبين شكوكي علانية لأحد كما فعلت سابقًا مع فيرا لأسألها مباشرة:

هل تثقين بها؟

- لا أثق بها، ولا أشك فيها أيضًا، لكن قولي أني لا أثق بها لا يعني بأنها شخص سيء، أثق بها لدرجة معينة وحسب.

وضعت يدها على خدي:

أنا معك.. لا تقلقي من هذه الناحية!

الشخص الوحيد الذي كان يعاملني بهذا الأسلوب ويسمعني حديثًا كهذا هو جدتي فقط، وإيديث هذه تنبعث منها عاطفة أمومية تجعلني أريد أن أبكي! بالفعل لم أتحكم بدمعة هاربة من محجري لتلحظها

وتمسحها وهي تسأل بقلق ما خطبي؟ لم أجد حجة أهرب بها سوى أن قلت بسخافة:

اشتقت لوالدتي.

- أوه.. الملكة إليانور، أعتذر إن كنت فتحت جراحك.

في الحقيقة كانت إيديث تضمد جراحي بدون أن تعي ذلك! طلبت منها أن تعانقني وقد فاجأها ذلك، ولكنها سرعان ما ابتسمت وهي تضمني وتربت على ظهري بلطف، في تلك اللحظة قلت:

إن أصابني مكروه فلتعتني بآرثر!

قالت بنوع من اللوم والعتاب:

لن يمسك مكروه، وستعتنين بشقيقك بنفسك، هل تغيرتِ؟ أرى أنه لديك جانب عاطفي لم يظهر من قبل!

لقد لاحظت تغيري إذًا! بعد أن ارتاح الجميع واستعادت بياتريس وعيها وبدأت الشمس بالغروب.. أعطيت أمرًا بالاستمرار في التقدم، فلو تسللنا للمحاربين الضخام ليلًا ستكون فرصتنا أعلى في التملص منهم وعدم ملاحظتهم لنا حتى نقابل القائد،كان لحسن حظنا أن ديارهم بدأت بالتجلي أمامنا قبل غروب الشمس تمامًا، المكان عبارة عن فوضى عارمة، كانت الأشجار تغطينا لتتمكن من رؤية مساكنهم، هذا إن صح تسميتها مساكن أصلًا!

الكثير من الصخور الضخمة فوق بعضها لتشكل كهفًا تخشى حتى من النوم فيه خوفًا من انهياره بأي لحظة، وبعضهم قد حفر الأرض بعمق وقام ببنائها لنكون بيتا له، المكان فوضوي لدرجة أن وصفه سيرهقني، ولا أستطيع أن أميز ما أرى بدون أن يتسبب لي ذلك بسكتة دماغية ويتوقف فصي الجداري عن الإدراك!

همس جود وهو ينظر لهؤلاء الضخام:

هل ننتظر حتى يناموا؟

آرثر بنفس مستوى الهمس ساخرًا:

سينام قائدهم كذلك، وحينها أنت من سيوقظه، أليس كذلك؟

- أشجارهم لينة للغاية، ما سبب ذلك؟

المار:

كيف لأشجارهم أن تكون لينة، هل تريد أن أصدم رأسك بإحداها لتدرك قساوتها؟

- لكن شجرتي جذوعها لينة كالجلد.

لكني لست شجرة!

ارتعدنا جميعًا وتراجعنا للخلف وبالكاد نحافظ على رباطة جأشنا، بإستثناء جود بليد العقل الذي لم أرَ أغبى منه في حياتي وهو يسأل المار:

ما خطب صوتك العالي؟ ألا تغير طبقة صوتك اللعينة؟!

لم يجب أحد، كل ما نفعله هو الوقوف متصنمين ونحن نبتلع ريقنا، رفع جود رأسه للأعلى ليجد أنه كان خلف رجل أحد الضخام منذ البداية، وهذا يفسر سبب شعوره بأن جذع الشجرة الذي يختبئ خلفها لين نوعًا مّا.. لأنه يلمس ساقًا!

لم نستطع الهرب، فذلك أغبى ما سنقوم به، سيلحقنا جيش من الضخام ويدوس علينا، لذا سلمنا أنفسنا مستسلمين راضخين للواقع، ونلعن بين الفنية والأخرى جودًا وبلادة ذهنه.

جردنا من أسلحتنا، ولحسن الحظ أن كتاب التعاويذ بجيب سروالي الذي صادف أن يكون عند ركبتي، لذا لم ينتبه له هذا الضخم.. أمسك بنا وكأننا حزم من القش وراح يرجنا أمام جماعته وهو يصرخ ليتنبهوا إلى معشر البشر المتسللين.

بمجرد رؤيتي لأسلحتهم ومطارقهم الضخمة التي لو سقطت إحداها على رأسي لفتّته إلى أشلاء كاد يغمى علي! أدا على يساري، قلت بهمس وأنا أحاول ألا أنزل دمعة:

أدا.. هل بللت نفسي؟

أدا بخوف:

أعتقد أنني أنا من بلل نفسه!

ارتفعت صيحاتهم بالموافقة، وذهبوا بصفوف نحو بيت مبني بالصخور الكبيرة، وقد كان بارزًا للغاية ويدل مظهره الخارجي على أنه بيت القائد!

لحسن حظنا أنهم أغبياء للغاية، ولسوء حظنا أنهم خطيرون أكثر! بدا واحد منهم بحجم يبدو أصغر من البقية بالصراخ للدخول على زعيمهم لنسمع صوته الذي يسبب الرجفة شئنا أم أبينا.. كيف سأتحدث معه وأنا أرتجف؟ ما الذي سيقوله عني حينها؟ كيف تريدون أن ننضم إلى حكمكم وأنتم ترتجفون منا؟ هذا ما سيقوله!

دخلنا عليهم وبفضل صوتهم المرتفع لم يستطع أحد منهم أن ينتبه لي وأنا أخبر آرثر بأن يستعيد رباطة جأشه ويتصرف بثقة وشجاعة أمامه، وعليه أن يترك أغلب الحديث لي!

عندما قابلنا قائدهم.. شعرت بأني اكتفيت وأريد العودة لجدتي!

طوله يفوق عشرة أمتار، ضخم، بعل، مترهل الجسد، أخضر اللون، بطنه متدلية أمامه، وكنت أتخيل منظرها من الداخل بعد أن يأكلنا، نظر إلينا مطولًا، وحينها تمالكت أعصابي لأنظر إليه بحدة.. حينها ابتسم لي كأنه يعرفني وهزَّ رأسه كما نفعل عندما نشعر بخيبة من شخص، ولكن لم يكن يشعر بخيبة، بل كان كمن تذكر شيئًا ما!

طلب من الضخم الذي يمسكنا أن يضعنا أرضًا وصرف البقية ليخرجوا، بعد أن وضعني أرضًا لم أستطع أن أقف على قدميَّ بسبب

الخوف، ولكن تظاهرت بأن السبب هو أنه كان يشد عليَّ بقوة لدرجة أن الدماء لم تصل لقدميَّ بعد.

لم أنهض ونربعت أمامه بثقة والبقية يقفون خلفي، جلس آرثر بجانبي بنفس الوضعية وبقي يرمق الضخم الذي جلس على كرسي منحوت، وبقي صامتًا لبرهة.

استمر هذا الصمت لخمس دقائق ليكسره الضخم وقد نفد صبره من الانتظار:

ما الذي جاء بنسل إيفروناس إلينا؟

لقد عرفنا إذًا، سألته كيف تعرف علينا.

- هذا واضح، تشبهينها للغاية، وكأنها هي من تجلس أمامي بعد كل تلك السنين!

بياتريس ببلاهة:

مهلًا.. كم عمرك؟

ضحك ضحكة شعرنا فيها بأن الصخور بهذا البيت ستنهار فوق رؤوسنا، وضع يده تحت ذقنه متذكرًا:

في المرة الأولى التي قابلتها فيها كنت في الثلاثينات.. حينها قامت بتحرير أحد طيور العنقاء التي نصبنا لها فخًا مثاليًا، ولكنها هربت برفقته قبل أن أنال منها!

يطرح نفسه.. إن لم يكن الملك فيكتور يعرف أن طيور العنقاء لا تتأثر بالتعاويذ، فكيف عرف إلمار بهذا؟

لحد الساعة، الأمور تسير كما نحب، ولكن أظن بأنها ستكون أصعب بكل مرة نتقدم بها للأمام!

تكلمت مع سوفجان عن إيلفين بعد أن سألني عن العقد المشروط الذي ينص على شرط ألا يحكم سوى البكر بالعائلة الحاكمة، وقد يكون هذا خطرًا لو أن آرثر حكم بدلًا مني، سرعان ما طمأنته بأن إيلفين لن يستطيع أن يفعل شيئًا! سألته عن أمر ما ولم يكن غبيًا أحمق كما يبدو! فقد طرح لي افتراضًا قويًا مقنعًا.

- برأيك، كيف تمكن إيلفين من تقسيم القارة وتفوقت تعاويذه على الساحرات اللاتي علمنه؟

سوفجان:

لا أعرف تمامًا، ولكن أغلب الظن أنه مزج بعض التعاويذ ببعضها، وهذا يحتاج جهدًا كبيرًا.

أخبرني أن هذا يظل مجرد افتراض وحسب، مع أني لم أسمع من قبل أنه يمكن مزج التعاويذ ببعضها، وإلا لكان الجميع قد فعل ذلك.. لذا أظن أنه هناك تعاويذ معينة قام إيلفين بدراستها جيدًا واكتشف أنها تصلح لأن تمزج ببعض ليتنج سحرًا محرمًا!

نظرت لأخي وقد تعرفنا عليه، واصل حديثه:

حسنًا.. كان ذلك منذ زمن بعيد نوعًا ما، ما الذي جاء بكم؟

لم أشأ أن أطيل، وأخبرته بأننا ننوي إرجاع المملكة لسابق عهدها وإعادة المخلوقات تحت حكمنا! نظر باستغراب، سرعان ما أطلق ضحكة تهكمية أخرى، هذا هو المتوقع من شخص أحمق مثله، سأل إن كان هناك شيء آخر غير هذا لتنفي وجود شيء آخر.. كان سؤالًا بصيغة "هل ستقولون شيئًا آخر قبل أن ألتهمكم وأقضي عليكم" هكذا هو الأمر، ولكن ثبات آرثر فاجأني، فعند نهوض هذا الضخم وتقدمه نحونا لم يتحرك، وبقي على نفس وضعيته بملامح جدية، أكاد أجزم أنها جعلت القلق يتغلغل لقلب الزعيم، آرثر:

المحاربون الضخام هم ثالث أقوى مخلوق من بعد العنقاء والساحرات، ولكن مهما حاولوا فهم لن ينتصروا بمعركة حياة أو موت عليها!

الزعيم بخليط من القلق والتوتر:

ما الذي ترمي إليه يا هذا!؟

– ما أرمي إليه هو أنك لن تستطيع إيذاءنا بأي شكل من الأشكال!

وجه الزعيم نظره إلي وكأنه يريد مني التدخل لأني أبدو شخصًا عقلانيًا أكثر من آرثر بنظره، سرعان ما صعقته بدوري:

إن لم نظهر لطيورنا التي تنتظرنا خلال نصف ساعة، فستقوم بإشعال المكان، وأظن أنك شهدت إحدى المجازر السابقة يا...

أجاب:

سوفجان!

أكملت:

نعم يا سوفجان.. سأبهرك بمعلومة جديدة، وهي أن الطيور تدربت خلال هذه السنين ولم تعد تشعل جسدها وحسب.. بل بإمكانها إنشاء كرات نارية ورميها بأي مكان تريده!

لم يجب، وبدأ ينظر لجسده حيث توجد تلك الترهلات لأدرك بعد النظر إليها جيدًا أنها آثار حروق قديمة! لا أنكر حقيقة أني شعرت ببعض الشفقة عليه، فملامحه بدأت توحي بأنه يشعر بالخوف بسبب ذكرى قديمة لن يتجاوزها أبدًا! نهضت واقتربت منه وأنا أنظر إليه بملامح أقل جدية توحي برغبة في الحديث وحسب:

لكننا لا نريد العنف! أنا لا أنوي فعل شيء ضدكم حتى لو كان موقفكم رافضًا.. أنا فقط أريد الحديث، من فضلك!

خدعة نفسية.. حينما تريد غاية من أحد ما فكل ما عليك هو التظاهر بالضعف ومعاملته بأنه المفتاح ولا أحد غيره سيقدم لك ما تشاء، خاصة لو كنت شخصًا يفوقه قوة.

شكرًا لك.. وظيفتي الرابعة!

بدأ أحدهم يكلم فيرا ويشرح لها الطريق لتضيف خبرته على خبرتها.. بعد أن فهمت الطريق تحركنا ونحن نلوح لمعشر الضخام المخيفين حتى اختفينا وسط الظلام.

استعدنا أسلحتنا منهم سابقًا، الطريق طويل.. واجهنا العديد من كائنات التشوباكابرا التي لا ينفك معظمها من استهداف آرثر، وكان هذا أمرًا قد لاحظه الجميع، أيضًا مهاراتي بالتلويح بالسيف بدأت بالتحسن.. لا أريد أن أستخدمه على بشري أبدًا، ستكون حادثة أليمة بالنسبة لي وقتها، على الرغم من أني وجهته على أحدهم سابقًا، ولكن لا أظن أني كنت بوعيي! أنا لا أكون كذلك عندما يتعلق الأمر بسلامة آرثر.

أتمنى من أعماق قلبي ألا أوجهه على بشري أبدًا!

بعد قطع عدة أميال.. بدأت الأرض القاحلة تميل للخضرة قليلًا ليكون هذا دلالة على أننا قد وصلنا الحدود الفاصلة بين المحاربين الضخام والملائكة المجنحة، أخبرتنا فيرا بأنه سيكون من الأنسب التوقف وأخذ قسط من الراحة والإكمال فجرًا، فعلى كل حال لم تتبقَّ مسافة طويلة، ولو أكملنا فسنصل، وحينها سنكون كالمقتحمين ليلًا!

نصبوا خيامًا على شكل دائري، وشبوا نارًا بالمنتصف لنجلس حولها، جود يتحدث مع إلمار، والبقية صامتون يحدقون بالنيران المتراقصة التي انعكست بحدقات أعينهم.

لمحت فيرا وهي تمسك بعصا خشبية صغيرة تعبث بها نحو الخشب المشتعل، نظرت إليها مليًا وأنا أتذكر حديث إيديث لي بألا أظهر بكوكي علانية للجميع، لذا بقيت أفكر كيف أطرح السؤال عليها بطريقة غير مباشرة، سرعان ما تنحنحت وقلت:

كان يحيط بي دومًا العديد من الأشخاص.. ولكن الآن يحيط بي بعض منهم وأنا أمتن لهذا، وكنوع من كسر حاجز الصمت أريد أن أعرف هدف كلٍّ منكم من مرافقتي.

في حقيقة الأمر أريد أن أعرف هدف فيرا وجود فقط، لأن معلوماتي عنها محدودة، ولأبعد أي شكوك عن فيرا كي لا تشعر بأني أقصدها من السؤال.. وجهت نظري نحو أدا التي نظرت إلي ببلاهة وهي تشير لنفسها وكأنها لم تتوقع أني سأخصها بالسؤال أيضًا!

حدقت بالجميع ليلتقي ناظرانا ببعض وهي تغمز لي كي أعفيها من السؤال، ولكني أخذته على محمل شخصي من ناحية العناد.

لم تطل أدا بإجابتها سوى أن قالت:

لأني لا أستطيع تركك بمفردك!

قلت بخبث:

لكن الجميع حولي ولست بمفردي.

قالت بلكنة تهديدية لم يفهمها سواي:

ولكن الجميع لا يعرف ما أعرفه أنا عنك!

الخبيثة! جعلتني بموقف محرج لأقول بتهرب:

نعم... نعم صحيح.

تاليًا حدقت بروي ولم أتكلم، وسمحت لنظراتي بسؤاله ما هدفه من مرافقتنا؟

روي بإرتباك كمن ليس معجبًا بالوضع:

نفس سبب أدا.. لا يمكنني تركك بمفردك، ولا تطرحي سؤالًا آخر أو تدققي بالجواب.

تنحنح آرثر ليلفت انتباهي، بدأ يغمز وهو يراقص حاجبيه لي يخبث لأمسك بأقرب حجرة وأستهدفه بها، سرعان ما اتخذ من جسد إلمار درعًا له.. رمقته بنظرات الأمهات التي فحواها "ستفاهم لاحقًا"

- ماذا عنك إلمار.. ما هو هدفك؟

تكلم بدون أن يرفع رأسه:

حسنا.. لي أهداف شخصية سأكشف عنها بالوقت المناسب، وأيضًا يتوجب أن تكوني أنتِ وآرثر تحت مراقبتي طوال الوقت.

ولإقناع شخص ما بالقيام بخطوة خطيرة برفقتك.. أخبره بأن هناك مجموعة غيره ستكون معك، فسيطمئن عندما يعرف بأنه لن يقع في ورطة بمفرده وأن هناك من يشاركه، فالأغلب يحب أن يكون هناك رفقة تقع معه في المشاكل، فذلك يخفف عليهم.. لذا أخبرته بأن مصاصي الدماء قد وافقوا على التحالف معنا، وغالبًا البقية أيضًا ستوافق!

سأل بقلق:

ماذا عن إيلفين؟

ابتسمت مجيبة:

هل تعتقد بأن إيفروناس التي قابلتها قبل سنوات كانت لترضخ لإيلفين؟

فكر جيدًا قبل أن يقول أنها لن ترضخ لأي قوة! حينها وضعت يدي على قلبي بقوة:

إذن أنا هي إيفروناس! وهذا الذي بجانبي هو الملك القادم، وستطيعه وتعيره قوتك، وسيضمن لك أنك لن تندم أبدًا!

طلبت منه أن يحملني على يده ويرفعني لأقابله وجهًا

لوجه، كانت يده خشنة كالإسمنت.. نظرت إليه وأنا أقلد ضحكته السابقة لأقول:

أنتم تحبون الفوضى.. إذن لنقم بإثارتها!

وواصلت الضحك مما جعل الجميع يعتقد فعلًا أني ممسوسة كما وصفتني بياتريس! لم أتوقف عن الضحك وأنا أشجعه بنظراتي للضحك أيضًا.. أعتقد أن ملامحي كانت سخيفة، وهي ما جعله يضحك بغباء

ثم صرخ وهو يصرخ:

لتثر الفوضى!

- نعم لنعث في الأرض فسادًا ونصل لإيلفين!

بسبب ضحكاته العالية التي وصلت للخارج سمعنا صوت أتباعه وهم يضحكون لضحكه، وحينها قالت بياتريس معلقة:

فعلًا، الجميع مجانين وأغبياء حقًّا!

خرج بي وهو يحمل آرثر ليضعه على يده برفقتي لنواجه أتباعه الذين توقفوا عن الضحك بعد أن رأوه يحملنا، صرخ بهم:

لتثر الفوضى!

واصلوا صراخهم وحقًّا إنهم حمقى كما وصفتهم بياتريس!

هنا بدأت أفكر.. الملك ماكسيم لم يقم بمنعهم عن الانفصال عنه بسبب شعوره بالخزي وضعفه أمام إيلفين، أما الملك فيكتور فلم يقم بما نفعله الآن لأنه لم يكن يعرف بأن طيور العنقاء لا تتأثر بالتعاويذ، وإلا لكان سيذهب بسرب منهم مهددًا كل المخلوقات! لكن السؤال الذي

إيديث لآرثر:

قد يكون هذا رأيك وأحترمه، ولكن أحيانًا نريد من يحتفظ بها معنا كي يزيح عنا عبئها.

نظر إليها مطولًا ثم رفع رأسه مفكرًا بكلامها بجدية، أردت بحق معرفة ما الذي جاء جود بسببه، فالفضول سينهش داخلي ما لم أعرف.

- إيديث محقة! لمَ لا تشاركنا بعبء سرك؟

ضحك علي ليقول:

هل تحاولين خداعي؟

هززت رأسي نفيًا بلا، ولكني أخبرته بأني سأجعله يعترف عاجلًا أم آجلًا، نظرت لفيرا بحنق منتظرة منها التحدث، تعلم تمامًا أني لا أطيقها، أو قد لا أثق بها إن صح التعبير!

فيرا:

أنا هنا لأجل إيلفين!

صمتنا جميعًا وبقينا نراقبها بصدمة، أول من لفتت رأسي نحوه هي إيديث، وقد حاولت أن تهدئني بإمساكها ليدي بدون أن يلحظ أحد، سرعان ما غيرت فيرا تعابير وجهها الجادة وهي تضحك.. لم يتجاوب أحد معها ولا زلنا ننظر إليها وكأنها شخص لا نعرفه.

قالت وهي تربت على الهواء:

ليس الأمر كما تعتقدون، ولكن حقيقة إن صح التعبير أنا هنا لأجل الانتقام من إيلفين!

لا أستطيع تصديق كلمة تخرج من فمها! كيف تتقمصين من شخص لا تعرفينه ولا تكنين له ضغينة دفينة أو واضحة على الأقل!

زفرت فيرا وعدلت من جلستها وقد قطبت جبينها بغضب لتقول:

قبل 122 عامًا مضت، قابلت إيلفين...

شهق بعضنا مقاطعين قصة فيرا، بدأت دقات قلبي تتسارع من التوتر وكان خطرًا محدقًا قريبًا منا على وشك أن يفتك بنا، لتكمل هي قصتها غير عابئة بنا...

قبل 122 سنة.. أثناء حكم الملك ماكسيم، كانت فيرا حينها بعمر السادسة وعشرين سنة وبالطبع لم أخفِ اندهاشي لأتذكر أن متوسط العمر هنا هو 150 عامًا! لم تكن فيرا من الوزراء، بل ظلت على وظيفتها هذه برغبة منها.. رحالة ملمة بتضاريس عالم إيرفوردن ويلت ترافق الملك برحلاته الاستطلاعية التي يقوم بها دوريًا لتفقد المخلوقات المتفرقة بالأرض.

كان يأذن لها الملك أحيانًا بالذهاب وحدها، فقد كانت هواية خاصة بالنسبة لها، تقوم بحفظ الجو والطرق عامة.

أثناء حديثها.. وصفت إيلفين باللقيط الذي لا يثمر الخير فيه!

لقد كان أحد الحثالة من عامة الشعب الذين وجهت إليهم جرائم لا تعد ولا تحصى، والتي لم يكن ليقرر حكمها وعقوبتها سوى العائلة الحاكمة، ما لفت انتباه الملك هو طريقة تنفيذ إيلفين لجرائمه! فقد كانت متقنة متسلسلة ببعضها البعض، وتظهر أن مخططها شخص محنك شديد الذكاء.

أراد ماكسيم أن يستفيد منه، ولكن بالطبع بعد أن يطبق فيه حكمًا مرضيًا.

قام بسجنه بحبس انفرادي، وطبق عليه تعذيبًا قاسيًا لمدة سنة تقريبًا، وبعد خروجه ونيله عقابه امتثل أمام الملك جاثيًا له ليسأله ماكسيم:

هل تعتقد أني ظلمتك؟

لم يجب، ولكن هز رأسه نافيًا بوقار وإجلال للملك.

– هل تريد التكفير عن ذنوبك؟

إيلفين:

أيا كانت الطريقة التي سينتهجها جلالته نحوي فأنا راض بها.

هنا اقترح الملك لإيلفين أن يتغير لشخص آخر ويصبح صالحًا، وحينها سيضعه تحت حكمه ورعايته، وافق إيلفين فورًا، وقد أصبح أحد مساعدي الملك، وكان دومًا ما يبهره بتخطيطاته التكتيكية ورؤيته

الأمور من دائرة أوسع وتقديم خطط بديلة في حال فشل الخطط الرئيسه على الرغم من ثقته التامة من نجاح خططه، وأنه ليس بحاجة لأي خطط بديلة!

مع الوقت استطاع نيل استحسان الملك، وترقى بالمناصب بسرعة هائلة حتى أصبح يد الملك اليمنى التي يعود إليها قبل اتخاذ أي قرار يخصه دومًا.

كان إيلفين على احتكاك بجميع الموجودين بالبلاط الملكي من وزراء وخدم وحرس، ومن بينهم كانت فيرا، كانا يتناقشان دومًا أمام خريطة عالم إيرفوردن ويلت، ويستمع إليها بكل اهتمام وهي تشرح له عن طبيعة المناخ بكل أرض، وحاول أن يكون ملمًا بالتضاريس مثلها، لذا كانت تحب مجالسته لإشتراكهما بالاهتمامات ذاتها.

لاحقًا أصدر الملك أمر تعليم الساحرات السحر للوزراء وهذه قصة نعلمها.. لكن ما لا نعرفه هو أن فيرا رفضت تعلم السحر بسبب انشغالها الدائم بالترحال.

أثناء أحد رحلاته شعرت بهزة قوية تحت قدميها فقدت إثرها توازنها لترى الأرض وهي تتشقق تحت قدميها، استمرت الهزة لوقت طويل يقاس بالدقائق، وسرعان ما توقفت.. أثناء عودتها صدمت برؤية الأرض وهي متفرعة ومنفصلة، وبين كل أرض وأرض مسافة بعيدة!

كانت حينها بقارة زابورا لتمر عائدة في طريقها على قارة زندو.

عند عودتها اكتشفت الأمر الذي فعله إيلفين، وهناك فهمت لماذا كان يسألها عن الأراضي ويقاسمها نفس الاهتمام بالتضاريس! كان ذلك ليقوم بتقسيم الأرض كما يشاء.

بدأت المخلوقات الأسطورية تنسحب من حكم الملك الواحد تلو الآخر، وبعدها بفترة قليلة توفي الملك على فراشه بسن يناهز الخمسة والسبعين عامًا، وكان أول ملك يموت قبل أن يتجاوز المئة سنة، ليرثه من بعدُ ابنه فيكتور والذي كان عمره حينها سبع سنوات وحسب!

بفضل وجود والدته فقد كان الأمر أيسر بالنسبة له، فقد كانت الملكة تسير شؤون المملكة رفقة وزرائها لمدة تسع سنوات لتموت هي الأخرى تحت صدمة الجميع بسبب عدم تجاوزها لمئة عام حتى!

حينها أصبح حتميًا أن يمسك فيكتور بزمام الأمور وهو بعمر السادسة عشر، كان لديه عقل حاد ودماغ فطن مقارنة بأقرانه، وقد استطاع إكمال مسيرة الملوك من قبله وورث عن أبيه كتابًا يحتوي على تعاويذ سحرية من الدرجة الأولى، كان قد دونها قبل أن تنفصل عنه الساحرات.. قام فيكتور بتعيين فيرا واحدة من وزرائه بسبب أنها مخضرمة عايشت عصر الملك الأسبق، لكنها كانت مصرة على موقفها الرافض، فهي ليست ملمة بالأمر فعملها مختلف تمامًا عن أن تكون شخصًا جديرًا بكرسي الوزارة، وكذلك لا تملك الكثير من المعلومات المفيدة التي ستساعدها، لكن لم يعبأ الملك وقام بتنصيبها وزيرة من وزرائه، ربما لرؤية مستقبلية يجهلها غيره.

والآن فيرا هناك للاقتصاص من إيلفين لحقد دفين تكنه له.

أنهت فيرا حديثها عن هدفها الذي جلبها معنا.. لا أحد منا تكلم، بهدوء تام، كل ما نسمعه صوت احتراق الحطب وحسب.

نظرت ناحيتي بنظرات تحمل معنى "هل ارتحتِ الآن؟"

لا! لم أرتح بعد.. فقصة ماضيك لن تشفع لك، وهذا لا يعني أنه يمنع كونك خائنة! وبأقرب فرصة سأكشف حقيقتك!

سألتها بياتريس بهدوء:

إذًا يا فيرا.. هذا يعني أن عمرك 148 سنة؟

فيرا وهي ترخي جسدها للخلف واضعة ثقلها على كتفيها باسطة يديها للأرض:

نعم.. متوسط عمر البشر بإيرفوردن ويلت هو 150 ويزيد حتى 170 سنة، لكني لا أعرف متى سأذهب، لذا سأستغلكم للوصول لهدفي.

نهضت وأنا أقول أني تعبت وسآخذ قسطًا من الراحة، ولكن قبل ذلك قمت بنكز يد إيديث مرتين دلالة على أن تجد حجة ما وتتبعني لخيمتي.

سبقتها.. دخلت ونزعت سترتي لأرميها على الفراش وأجلس بمنتصف الخيمة بإنتظارها، بعد لحظات دخلت وجلست أمامي.. لم

أرفع رأسي لها، كنت أشعر بوجودها على الرغم من شرودي الذي لا أريد لأحد أن يقاطعه.

أخيرًا رفعت رأسي وسألت:

هل تصدقين فيرا؟ هل كنتِ تعرفين عنها كل ما أخبرتنا به لتوها؟

هزَّت رأسها بالنفي.

- لمَ قام والدي بإخفاء كتاب السحر ولم يره لأحد؟

فكرت قليلًا قبل أن تجيب:

لحقيقة معرفته أن بصفوفنا خائن.

- إذًا لم يكن يثق حتى بك، لدرجة أنه لم يطلعك على الكتاب!

فغرت فاها وقد ظهرت على ملامحها الدهشة لتنكس برأسها مفكرة، شعرت بتأنيب ضمير مما قلته ولم أردها أن تعتقد بأني أشك بها، اعتذرت منها فورًا وأني لا أقصد أي شيء آخر سوى الاستفسار عن الأمر وحسب، ضمت شفتيها لأتوقف عن الحديث، سألتني:

هل هناك شيء آخر؟

أجبت بتردد:

لا.. هذا كل شيء!

@ART_OF_BOOK

خرجت من الخيمة بدون أن تضيف حرفًا آخر، ربما كان علي التفكير قبل أن أتكلم!

كان لحسن حظي أن إيديث تعاني من الأرق، وستظل مستيقظة طوال الليل، وستسنح لي الفرصة للاعتذار منها لاحقًا.

حملت قنديلًا كان معلقًا على مدخل الخيمة وقربته، وسحبت المجلد وبدأت أقرأ بعض الصفحات من فصل "تعاويذ إنشائية" بعد تعلم الأساسيات البسيطة يصبح الأمر أصعب شيئًا فشيئًا لأتقدم لمرحلة تمكنني من إنشاء أي شيء أتخيله من أسلحة أو قماش وغيرها من الأشياء.

لاحقًا قد أخصص وقتًا لفصل "تعاويذ هجومية"، ولن أنام قبل أن أتعلم التعويذة التي كان سيُغتال بها آرثر!

***

كانت نجلس جلسة اليوغا التي تبعد التوتر وهي تغمض عينيها، لم أشأ أن أزعجها لذا جلست بهدوء مثلها وأغمضت عينيّ.. لقد شعرت بوجودي لكنها لم تهتم للأمر.

قلت بصوت هادئ:

أعتذر عما بدر مني سابقًا، لا تسيئي فهمي.

زفرت ببطء لتجيب:

لا داعي للاعتذار فأنا لست مستاءة منك، بل من حقيقة أني لم أصل إلى المرحلة التي يثق فيها بي الملك.

- لو وجدتِ كتابه، ما الذي كنتِ ستفعلينه به؟

- سأخبئه عن الجميع ربما!

فتحت عينيها ونظرت إلي:

السيف الذي بحوزتك، إنه للملك.

أومأت لها بنعم، شعرت بها تبتسم.. أردت أن أجلس بجانبها حتى لو لم يكن هناك ما سنقوله، هناك رغبة بداخلي تخبرني بأن أطلعها على المجلد، ولكن بيرل قامت بإعطائه لي على وجه الخصوص، ولا أظن أن فكرة إطلاع أحد عليه صائبة! الوحيد الذي يعلم بأمره هو أدا.

أكثر شيء أمقته هو الجلوس مع من أحب بدون أن أجد مواضيع أتكلم فيها معه! بقيت أحاول استذكار أي شيء قد أتكلم بشأنه معها، ولكن أصبح ذهني بليدًا فجأة! بعد فشلي لم أجد سوى أن أنهض، ولكن قبل ذلك أخبرتها:

إيديث.. أنا أثق بك وأعول عليك جدًّا، ابقي على قيد الحياة.

تسمرت مكانها وهي ترمقني بانبهار شديد قبل أن أعطيها ظهري وأنا أتوجه للخيمة، أنا مثلها أعاني من الأرق أحيانًا، ولكن يكون حظي وافرًا وأحظى بثلاث أو أربع ساعات من النوم مرتين في الأسبوع.

منذ مجيئي إلى هنا تحسن مستوى نومي بشكل ملحوظ، فأصبحت أنام لساعات كافية، ومرات أخرى أظل مستيقظة على حالي هذه لمدة

يومين متتابعين، نمت وكنت آخر من استيقظ، كان الجميع يتجهز لإكمال
[illegible] عندما خرجت من خيمتي ولم يكن سواها بالأرجاء.

جود محاولًا استعطافي:

ألا يوجد فطور اليوم؟

- انظر لعلَّ المار يطبخ لك شيئًا ما.

لم يكد ينطق حتى وجده يحاول سحب سيفه ليشعر بتوتر ويعدل عن طلبه، صرخت بنا فيرا موجهة إيانا للطريق.. لم يتبقَّ الكثير لنصل إلى أرض الملائكة المجنحة.

بدأت الطريق تصبح وعرة لتعترضنا صخور بطَّأت من وتيرة سيرنا، الأحجار سوداء ومدببة، ما يجبرنا على المشي فوقها بحذر كي لا نتأذى لترتسم على مد بصرنا جبل شاهق أبيض لا يمكننا الالتفاف من حوله، فعلى الرغم من أنه جبل واحد إلا أن تشكيلته تظهره على أنه سلسلة جبلية، لكن لحسن الحظ، كنا نميز بمجرد النظر إليه أنه سهل التسلق، اخبرتنا فيرا أن أرض الملائكة المجنحة خلف الجبل وهي تقع بحفرة.

لم أستطع تخيل كيف تبدو هذه الحفرة ما لم أرها، لذا بدأت بالتسلق بحذر والتمسك جيدًا بالشروخ الجبلية، وأثناء ذلك تمنيت لو أن نير موجود، فلم نكن ستتكبد عناء التسلق.. كانت فيرا تسبقنا وخلفها جود وكانا بالمقدمة تأهبًا لأي خطر، لم أفهم ما الخطر الذي سنواجهه غير أن تنزلق رجل أحدنا ويسقط، ولكن هؤلاء الكبار يقصدون أمرًا آخر.

تجاوزنا ربع قمة الجبل ولم تكن الراحة من الخيارات المتاحة، نظرت حولي لأطمئن على البقية، ولكن لاحظت أن بياتريس قد توقفت عن التسلق وهي تحدق بأحد الثقوب بنظرات حادة، ناديتها مرتين، وأثق أن صوتي كان بنطاق سمعها، لكنها لم تجب ولم تشح بعينيها عن ذلك الثقب! هنا توقف جود، ويبدو أنه يعرف لما تنظر ليقول صارخًا من الأعلى:

بياتريس، لا تتحركي وانتظري إشارتي ثم أفلتي يديك.. لا تقلقي فلن تسقطي للأسفل!

حاولت الاقتراب منها لأعرف ما تحدق فيه، ولكن إيديث منعتني من ذلك، نزلت فيرا باحترافية شديدة وجود يتبعها، ولكنه نزل لمسافة أطول ليستقر أسفل بياتريس وقد سحب منجله من حاميته المعلقة بظهره، وبقي بانتظار إشارة فيرا التي هزّت رأسها ليقول لبيا:

الآن بياتريس، أفلتي!

أفلتت الشق الجبلي وأرخت قدميها لتسقط على جود الذي اندفع للأسفل بسبب ثقل بياتريس التي يمسكها وهو يغرز منجله على الجدار الجبلي لعله يخترقه كي لا يسقطا، وفعلًا تمكن من ذلك، صوبت نظري لفيرا التي بمجرد ما افلتت بياتريس يديها تحرك بسرعة شديدة ثعبان هائل بقرنين وعين ثالثة أعلى رأسه.. كان ملونًا كالحرباء، عندما أخرج جسده بأكمله من الثقب اكتشفت أن هذا ليس ثعبانًا وحسب! بل هو

مزيج من الثعبان ومئوية الأرجل، فله العديد من الأقدام التي يتشبث بها بقوة وهو يزحف كبرص مستهدفًا جودًا وبياتريس!

تمكن بطريقة ما من التمسك جيدًا وهو يحمل وزنها الثقيل، وسحب منجله بقوة من الجدار الجبلي ليمرره بقوة ويقطع ذلك الثعبان قبل أن يصل إليه، حينها اختفى على شكل دخان أسود!

وطبعًا لم يكن بمفرده! خرج العديد من الثعابين ذوات القرون أعلى رؤوسهم لتنهمك فيرا بتقطيعها الواحد تلو الآخر، انضمت لها إيديث لتقدم لها المساعدة، ولكن لاحظت أمرًا ما! الثعابين التي يقطعها هذان الاثنان لا تختفي كدخان أسود كما حصل مع جود.. إنها تسقط للأسفل لترتطم ما تبقى من جسدها!

أمرنا إلمار بمواصلة التسلق للأمام بدون الالتفاف خلفنا وأن نضع ثقتنا بهم ريثما ينضمون إلينا، رفضت في بادئ الأمر بسبب عدم رغبتي في ترك إيديث ورائي، ولكن إصراره علينا جعلني أكمل الاستمرار رغمًا عني محاولة تبرير ذلك بأني أثق بها وأنها ستنضم إلينا بعد قليل.

سرَّعنا من وتيرة تسلقنا وقد قطعنا منتصف الجبل بفترة قصيرة لنجد أننا وصلنا لأرض منبسطة منه يجب أن نخطوها لنكمل التسلق، لكن بدلًا من ذلك جلسنا نلهث، نلتقط أنفاسنا بصعوبة ونحن بانتظار الثلاثة الآخرين للانضمام إلينا.

الاستيلاء

أشار روي منبهًا أنه يوجد كهف، اقترح آرثر فكرة الاختباء به في حال تمكنت الأفاعي من اللحاق بنا، ولكن رفض إلمار ذلك رفضًا قاطعًا؛ فنحن لا ندري ما يوجد بداخله!

سمعنا صوت تصفير خفيف يصدر من داخل الكهف، كان الصوت يقترب شيئًا فشيئًا بينما نحن نترقب ما الذي سيخرج من ظلمة الكهف تلك؟

خرج منها العديد من الأرانب وهي تقفز، صغيرة الحجم بشكل ظريف، ولها قرنان تشبه قرون الغزال! عندما خرجت من الكهف كان إلمار موجهًا بصره للأسفل يراقب رفاقه ولم يعرف بأنها خلفه، لذا بمجرد أن استدار ولمحها استل سيفه بسرعة وهو يغطينا من أرنب اقترب بقفزة طويلة وقد اختفت تلك الظرافة التي كنت قد وصفته بها قبل قليل من وجهه عندما فتح فمه بطريقة عمودية والعديد من الأنياب والأسنان التي تملأ فمه فجعلته يبدو كأنه لا يملك لسانًا حتى!

قطع بسيفه ذلك الأرنب الذي كاد يسلخ وجه روي بأنيابه ليصرخ بنا:

فلتنتبهوا! هذا الكائن هو الجاكالوب، احذروا من عضته السامة.

ينقض بعد أن سحب سيفه من بطنه لتنتبه بقية الجاكالوب وتتقدم نحونا دفعة واحدة بأعداد لا تحصى، سحب الجميع نصله ضدهم، وكان الأمر الصعب أنهم بأحجام صغيرة وخفيفة الحركة مما سيصعب عملية تخليم بسبب سرعتهم، عرفت أن الأمر لن يجدي لذا أعدت سيفي لغمده وبدأت بشبك أصابعي ببعضها وأتلو سطرًا من تعويذة لأقوم بتغيير حركة يدي وأتلو سطرًا آخر، ثم وجهت يدي وأنا ألامس كفيَّ ببعض نحو الهدف لتأتي من العدم العديد من الأسهم المشتعلة التي لا حصر لها تخترق جميع الجاكالوب لتسقط أجسادهم على الأرض وجميعهم صرعى!

البارحة عزمت على ألّا أنام حتى أتعلمها ولكن! أنا لم أرسل هذا الكم من الأسهم! إنها أضعاف ما شكلته!

كان لحسن حظي أن لا أحد رآني وأنا أقوم بتلك التعويذة بسبب انشغالهم بالدفاع عن أنفسهم.. استداروا جميعًا فجأة نحوي بصدمة، خاصة إلمار الذي فتح عينيه إلى آخرهما، ولكن لم أفسح لهم مجالا للشك لأنظر أنا أيضًا خلفي وأدعي الدهشة والجهل بمصدر هذه السهام.. قلت بخوف مصطنع:

من أين أتى هذا؟!

تزامن ذلك مع صعود فيرا وإيديث من الأسفل ليليهم أخيرًا جود، اقتربت من آرثر وكأني لا زلت مفزوعة من رؤية السهام وأريد حمايته وأنا

أفكر بداخلي.. هناك من قام بالتعويذة معي، فالأسهم المنبعثة كثيرة، وأنا لم أقم بهذا كله، خاصة وأني تعلمتها لتوي.

كل هذا يؤكد شكوكي أن الخائن برفقتنا! قاطع تفكيري إلمار وهو يقول:

من أين جاء هذا؟ هل رأيتم المصدر؟

قالها وهو يلتفت يمينًا ويسارًا متأهبًا ويقوم بتغطيتنا معطيًا إيانا ظهره، نظر للثلاثة الذين انضموا ليخبرهم بالذي حصل توًّا وأنها نفس الأسهم التي أُطلقت بيوم الاحتفال نحو آرثر، ولكن هذه المرة لم تصب بل اخترقت الجاكالوب التي رأوها جميعها مرمية أرضًا.

لم يجب أحد وبقينا بوضع متوتر وصامت، قالت فيرا وكأن شيئًا لم يكن:

لنكمل التسلق بدلًا من إضاعة الوقت!

وتقدمت وهي تتجاهلنا تحت نظراتنا المستغربة لها، لم نجد ما نقوله سوى أن تبعناها الواحد تلو الآخر، لنكمل التسلق ونحن ممتنين بداخلنا أن الشمس ليست حارقة كما كانت عليه بالأمس.

بعد وقت وجهد.. وصلنا لقمة الجبل.

مشينا بضع خطوات للأمام..

وكان بالأسفل.. منظر وعالم آخر!

الغيوم تحجب عنا الرؤية نسبيًّا ولكننا نستطيع تمييز ما هو أمامنا. بالأسفل.. نهر تركوازي اللون، الرمال بيضاء، تبللها موجات النهر التي ترحف للمابسة وكأنها موجات بحر، النخيل متفرقة بكل مكان تحمل ثمارًا غريبة الشكل، لا أعتقد أني رأيت مثيلًا لها من قبل، جدران متفاوتة الطول تحمل نقوشًا تشبه الكتابة الهيروغليفية، هناك كهوف مرتصة بعضها فوق الآخر، ينهمر منها الماء كنافورة بتصميم هندسي مدروس بدقة، الكهوف مغطاة بنباتات شوكية تبدو كأعواد خيزران لين ملفوف.

للأمام قليلًا هناك قصر! يطير على الهواء!

قمت بفرك عينيَّ جيدًا لأتأكد مما أرى، لعل هذا سراب، أو أن الضباب يحجب عن نظري الكثير، فمن المستحيل أن يطير شيء بهذا الثقل في الهواء!

اقتربت بضعة أقدام ولم يتغير شيء!

سألت الجميع إن كانوا يرون ما أراه أم أنه يخيل لي أن القصر يطفو على الهواء؟ حتى إيفروناس لم تقم بجعل قصرها يطفو على الهواء!

شرحت لنا فيرا أن هذه خدعة بصرية، ركائز القصر الأربعة مبنية على زجاج من نوع خاص، وهي متكئة عليه، وبما أن الزجاج شفاف سيبدو للناظر من بعيد أن القصر يطفو بالهواء.

رؤوسنا، وسيكون المكان ممتلئًا بهم، وما أراه العكس تمامًا، سألت إيديث عن الأمر ولكن تلقيت الجواب من فيرا:

يجب أن نتقدم للأمام لمقابلتهم، فمن النادر أن نقابل أحدهم هنا.

فهمت الوضع، لذا قلت بأننا بحاجة أولًا لتجفيف ملابسنا ومقابلتهم بصورة موقرة ومحترمة، بقينا على تلك اليابسة لما يقارب الثلاث ساعات، تساءلت، ألا يكون هناك أحد يحرس المكان ويقوم بدورات تفقدية؟!

اقتربت أدا مني وجلست لتبدأ برفع الرمال وتمريرها بين أصابعها:

هل من مستجد؟

همهمت بطريقة توحي بـ"لا"

- أرى أنك تستعينين بإيديث في أغلب الأحيان.

قطبت جبيني واعتصرت ابتسامة خبيثة لأجيب:

هاا.. هل تغارين منها؟ همم.. ألجأ إليها بدلًا منك، إنك تغارين، أهذا صحيح؟

أصبح وجهها أحمرًا وبدأت تنفي ذلك بإحراج وهي تحاول النهوض، لتجلس وتحاول النهوض مرة أخرى، وعلى هذا المنوال حتى رمت الرمال بقرب رجلي بغضب مصطنع.. ضحكت عليها حينها، إنها

هذه المرة أصبحت أميل للحديث لإيديث كثيرًا، لكن.. لا أحد يعرف حقيقتي سوى أدا، ولهذا لها مكانة خاصة عندي لا تعرف قدرها.

حان الوقت للنهوض والتحرك، فلا نريد أن يسدل الليل ستاره ونحن جالسون بدون أي هدف، جففت ملابسنا ونحن الآن بمظهر ملائم للوقوف أمام زعيمة الملائكة المجنحة، وهذه المرة سألت عن اسمها من الآن كي لا أقع بموقف محرج، فمن السيئ الاستعانة بشخص وأنت تجهل هويته.

عرفت أن اسمها هو آريا.

آن الأوان الذي نقابل فيه ثالث مخلوق، وأنا أستبشر خيرًا، فأثق نوعًا ما أننا سنضمها بسرعة ونكمل طريقنا بدون توقف.. بما أن الملائكة المجنحة عفوية ولا تشكل خطرًا، فهذا أمر يصب لصالحنا، وسنجني الكثير من الوقت بدلًا من تضييعه.

من ناحية جمال الأرض والمنظر، فهذه الأرض هي ثاني مكان أنبهر به من بعد القصر الملكي، التصميم يثير الدهشة والإعجاب!

بدأنا نتوغل في الغابة.. ليست فوضوية كالغابات التي مررنا بها سابقًا، حيث تعترض طريقنا الجذوع المنفجرة من تحت الأرض أو أغصان متدلية نقوم بتقطيعها لتتمكن من رؤية ما هو قبالنا، الممر نظيف، والزرع على جوانبه.. شعرت بأني في حدث مهم وأنا أمر الآن فوق

لا يمكننا أن نرى الركائز من هذا البعد، لذا قررنا النزول للأسفل، كانت المعلومات المتوفرة لدينا أن الملائكة المجنحة مخلوقات لا تميل للعدوانية بأي شكل من الأشكال.. عفوية ومسالمة، ولكن أسلحتها فتاكة! أعتقد أني سأضرب فيها مثل قوية كالحرب ناعمة كالسلام.

بدأنا بالنزول بروية، ولكن جود كان صاخبًا بطريقة مزعجة، فقد قفز في أحد المجاري المائية التي تصب في النهر وانزلق للأسفل صارخًا وهو في قمة متعته.. جعلني أتذكر أحد الأفعوانيات المائية، لقد بدا الأمر كذلك.

نظروا جميعهم لإلمار وإيديث وكأنهم ينتظرون منهما الإذن للقيام بنفس الأمر، فيرا قفزت مباشرة بدون مقدمات لذا لم يتبقَّ سوانا.

رفضت الأمر قبل أن يتكلم إلمار وأنا أؤكد استحالة الأمر، كل ما علينا هو مواصلة النزول بهدوء، سمعت صوت جود من الأسفل الذي يبدو كذبابة من بُعده وهو يقول:

لا زلت حيًّا، الأمر ممتع، فلتجربوا!

نظرت إلى الجميع وبنبرة آمرة:

لا يعني لا!

حينها.. آخر ما شعرت به هو يد تدفعني من الخلف لأسقط من ذلك الارتفاع! لم أجد وقتًا لأصرخ حتى، فقد ابتلعت قرابة لتر من المياه وقد

انخفض قلبي من العلو الذي أسقط منه لأرتطم بسطح المياه محدثة فرقعة، رفعت رأسي لألتقط أنفاسي التي كتمتها، ولكن لا راحة لي مع هؤلاء! كانوا جميعًا قادمين من الأعلى وعلى وشك السقوط فوق رأسي المسكين، غطست كي أتفادى الاصطدام بهم فلو اصطدموا بي فحينها سيحضر عقلي العزيز أيضًا لأني لا أملك ما هو أثمن منه.

بدأت بالسباحة عاليًا لأجدهم جميعًا يسبحون في النهر بينما إلمار يسبح خارجًا منه، قلت بغضب وأسناني تصطك:

من الجريء الذي دفعني؟!

لمست الخوف بأعينهم جميعًا، فغالبًا أرجح أن شكلي ولكنتي أصبحا بشبهان لحد بعيد عفراء السابقة التي يعرفونها، لم أجد جوابًا، لذا ومن أسفل المياه وبدون أن يلمح أحد حركات أصابعي بدأت بالتمتمة بكلمات لأشكل كرة مائية عظيمة وهم يراقبونها تتضخم فوق رؤوسهم لتسقط بقوة عليهم.

- هذا لتتأدبوا معي في المرة القادمة!

كنت أعرف أن تعويذة كهذه لن تسبب لي أية متاعب، فهي من التعاويذ السهلة وتعتبر من الأساسيات.

خرجنا من النهر وأنا أتوعد الفاعل، قمنا بتجفيف ملابسنا، بالمناسبة لم نلتقِ بأي شخص هنا، تخيلت أنهم سيكونون في الأرجاء ويطيرون فوق

السجادة الحمراء، وسيتم التقاط العديد من الصور لي للمجلات.. ممر راقٍ بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

أوراق الأشجار من فوقنا تظللنا كمظلة تخترقها أشعة الشمس بأشكال مخروطية الشكل ومتباعدة.. أثناء ذلك رأينا ظلًا انعكس على الأرض قادمًا من الأعلى، ولكن كان صاحبه قد اختفى بمجرد رفع رقابنا، ميزنا من الظل أنه واحد منهم.

أكملنا سيرنا واستمرت الظلال تنعكس على الأرض في الأسفل، ولكن لا نتمكن من رؤية الشكل الكامل لأصحابه بسبب أغصان الأشجار وأوراقه المظللة، فيمر علينا بسرعة، وكل ما نراه هو البياض، وغالبًا هذه ملابسهم البيضاء.

لم يستوقفنا أحد منهم حتى ظهر أمامنا نهاية الممر.

استكفينا أشعة الشمس بأيادينا، فعلًا هناك عالم آخر لم نكن لنستطيع رؤيته من فوق قمة الجبل!

القصر الذي رأيناه سابقًا يتوسط المكان، وبالأسفل بنيان رخامية، جدرانها منحوتة على أشكال أجنحة وكتابات لا يمكن قراءتها، مكتوبة بماء من الذهب، مُمرَّر عليه خط بلون أزرق للتظليل، قناديل ملفوفة حول الأشجار ينبع منها ضوء برتقالي كغروب الشمس.. حتى هنا! لديهم جنيات الإيلفو التي رأيتها سابقًا.. إنها تحمل زجاجات مربعة الشكل وتطير بها في الأرجاء، القصر في المنتصف وقد تجلت الرؤية أمامي الآن..

بركاته الأربعة الزجاجية له، أستطيع رؤيتها من هذا القرب، وأخيرًا.. أرى الملائكة المجنحة أيضًا وهي تطير حول القصر أعلاه وأسفله، ملابسهم متشابهة، عبارة عن رداء حريريٍّ أبيض طويلٍ مربوط بخيط ذهبي عند خصورهم، وأجنحة بيضاء، وقد تم استيحاء المنحوتات التي رأيناها منها، وفوق رؤوسهم حلقة تطفو مستديرة ذهبية اللون.. وجوههم بملامح جميلة ومريحة للغاية، ولا أحد منهم عابس، لقد رأونا منذ مدة، ولكن لم يحتكوا بنا، نمر بجانبهم وكأننا لا نفعل!

يحلق من فوقنا نساء ورجال، من الغريب أن شعورهم صفراء جميعًا! أنا لا أحب الشقر.

بدأنا بالتقدم، إنهم مثلنا تقريبًا، لهم أكشاك ويمارسون حياة طبيعية، الفرق أن لهم أجنحة.. الممر رخامي كذلك ومزركش، رائحة الهواء مختلفة.. رائحة صابون ليمون فذة مختلطة برائحة هواء نقي، مع أنه لا رائحة للهواء، لكن المكان يشعرك بأنك ستطفو من الراحة. بعد تجوالنا في الشوارع وأزقتها، وبدون اعتراض أحد لنا، وصلنا أخيرًا إلى القصر، كان هناك سياج، والعديد منهم يحلقون فوقه وأرجح أنهم حرس المكان.. على الرغم من اقترابنا إلا أنهم لم يأتوا ناحيتنا ويسألونا عن مبتغانا، لذا قام إلمار بمحاولة القفز من فوق السياج، سرعان ما تعرض لصعقة كهربائية من إحدى العصيّ التي يحملها الحرس! لقد اكتفى بتوجيهها نحوه وأطلقت بمفردها الصاعقة.. على الرغم من ألمه إلا أنه لم يبح به أمامنا واكتفى بضم يديه لبعضهما البعض وهو يفركهما.

بياتريس محقة.. فعلًا هذه إهانة بحق العائلة الحاكمة!

بدأ يوم جديد وتحركت المخلوقات لتقوم بأعمالها بينما نحن كالشحاتين أسفل قصر الملكة كمن ينتظر بضع قطع فضية لنشتري بها قوت يومنا.

بدأ الشك يتغلغل إلى داخلي، أيعقل أنها على دراية بسبب وجودنا وهي ترفض لقاءنا من الأساس حتى دون تفاوض؟

لو كان الأمر كذلك، فحينها سأضطر للميل لأسلوب لا أريده وهو العنف! قد أتعلم بعض التعاويذ الهجومية و... مهلًا! بدلًا من ذلك، لم لا أتعلم تعاويذ دفاعية؟ ووقتها لن يستطيع هؤلاء إصابتنا بالصواعق التي يطلقونها من عصيِّهم!

سيكون هذا خيارًا بديلًا إن لم تسمح لنا بمقابلتها وجعلتنا في خط الانتظار لفترة طويلة، ولكن سأكون بموقف يجبرني على التواري عن الأنظار أثناء استخدامي للكتاب!

مر نصف يوم ونحن على حالنا، وقد تملكني الملل الشديد، لذا أخبرتهم بأني سأقوم بالتجوال قليلًا في الأرجاء وليبقوا هنا ويطلعوني على أي مستجد عند عودتي، لكن كانت بياتريس رافضة واقترحت أن ننقسم لفريقين.. فريق يبقى هنا ويترقب الأوضاع، والآخر يتجول، ونتبادل الأدوار لاحقًا، وافقت على جزء من كلامها باستثناء أني سألزم البقاء في

مكان واحد، فإن شعرت بأني بحاجة إلى التجوال فسأتحرك بأي وقت أريد.

رفضت وقد أزعجني هذا للغاية، أنا أتساهل معها أكثر من غيرها فقط لكي لا أشعرها بأنها أقل مكانة بسبب الوراثة الملكية، وأرثي لحالها بما تذكرت والدها.

الشخص الوحيد الذي يمشي على الأرض أنا.. الجميع يطير، لمحت أجيد تشبه الشوارع هنا، إنها تشبه شوارع أثينا في اليونان.

لا يعرفون من الألوان سوى الأبيض والذهبي والأزرق، لذا فقد افترضوا الأماكن بهاته الألوان، بقيت أقلب بصري بكل مكان واكتشفت أني لست الشخص الوحيد الذي يسير على الأرض، كان هناك عفاريت!

خضراء اللون، بشعة الوجه، ولكنها غير مؤذية، فقد أفسحت لي الطريق عندما اقتربت منها، أردت أن أتبعها ولكن خوفًا من الضياع تراجعت.

أخذت فكرة أنهم هنا كالبشر تقريبًا، بعد أن جلت المكان تقريبًا وتمكن مني التعب قررت استهلاك ما تبقى من طاقتي للعودة.

لا زالوا على حالهم ولم يطرأ أي تغيير، مع أني توقعت أنهم قد أحيلوا للأعلى عند الملكة، لكن يبدو أنها مصرة بالفعل على ألا تقابلنا!

كان الوضع روتينيًّا للغاية، فقد مضت ستة أيام منذ وجودنا لم يطرأ بها أي جديد.. ينقسمون لفريقين كما قالت بياتريس، يتجولون كي

سأل آرثر:

كيف سندخل ولا أحد منهم يعيرنا بالًا، وهذا السياج أيضًا، كيف سنعبره؟

نظرت لفيرا وقلت:

فيرا.. أنتِ كنتِ رحالة، وعشتِ في عصر الكثير من المخلوقات، أيعقل أن لا أحد منهم تعرف عليك؟

أجابت وأعينها للأعلى نحو القصر:

كنت رحالة، ولكن لا أقيم عندهم، وأيضًا في عهد الملك ماكسيم.. لم أكن من وزرائه لذا لم أحتك بأي منهم.

جود وهو يسحب منجله:

لنقم إذًا بجريمة، وحينها سنمتثل أمام الملكة، وتلك هي فرصتنا للقائها!

إيديث وهي تلكم رأس جود بقبضتها ليضع منجله بحاميته خلف ظهره وهو يمسك برأسه متألمًا متراجعًا عن الفكرة، هذه مشكلة بالفعل! القصر محاط بسياج، ولو حاولنا القفز سنتعرض لصعق كهربائي، وحتى لو قفزنا فلن نستطيع الوصول إلى القصر، فهو عالٍ عن الأرض ويجب أن يحملنا كائن طائر كي نصل إليه! ليت نير وطيور العنقاء معنا الآن.

باتريس للجميع:

ما الذي سنفعله الآن؟ بالطبع آريا لديها علم بأننا هنا، فلا بد أن أحدهم أخبرها بذلك! أليست هذه إهانة بحق عائلتنا؟

إلمار:

معك حق.. على الرغم من أنه يجدر بها أن تحترم وجود العائلة المالكة عندها، ستحاسب على تصرفها هذا.

لم تكن لي أدنى نية بمحاسبتها، وكذلك لا نية لي بالذهاب بدون لقائها، حتى لو اضطرني الأمر للبقاء يومًا بأكمله، توقعت بأننا سنضمها معنا بسرعة ونذهب، ولكن يبدو أننا سننتظر يومًا إضافيًا!

أخبرت الجميع بأننا سنبقى هنا وسننصب خيامنا أسفل قصرها، فلن نجد بنهاية المطاف سوى أن ترسل لنا أحدهم في آخر اليوم.

فعلًا، لم يكن أحد يعبأ بوجودنا! يطيرون فوقنا وكأننا مجرد أطياف لا تظهر، ينظرون بإبتسامة ليكملوا طريقهم بتجاهل، الأمر الذي أزعج الجميع، ولكني كنت ألقنهم الصبر، فمبتغانا ليس سهل المنال.

غربت الشمس ولم نبرح أماكننا، نبدو كالمشردين بخيمنا أسفل القصر.. كنت أعرف أنها سترسل أحدهم قريبًا ولكن! مرَّ الليل.. لم أنم، بزغ ضوء فجر اليوم التالي ولم ترسل أحدًا لنا!

يطردوا الملل، ثم يعودون ليتبادلوا مع الفريق الآخر، أما أنا فكنت كل ليلة أتسلل للرمال البيضاء أمام موجات النهر التركوازي، أفتح المجلد وأتعلم أقصى عدد ممكن من التعاويذ الدفاعية، فهي أكثر ما أنا بحاجة إليه في الوقت الراهن.

في الليلة السادسة، أوقدت نارًا وجلست أمامها وأنا أقرأ تعويذة صعبة التنفيذ، سمعت آثار أقدام تقترب مني لأضع المجلد بجيبي وأنظر لمصدر الصوت بإنتظار معرفة هوية صاحبه، لقد كان جودًا وهو يجر منجله خلفه، لمحني ولوَّح لي بيده لألوح له بدوري، ولم ينتظر أن أدعوه للجلوس، فقد اقترب مني وبدأ يسألني إن كنت رأيت روي، نفيت ذلك وعرفت أنهما كانا يتجولان وسرعان ما افترقا.

جلس بجانبي أمام النار وبصره مقابل للنهر وأمواجه الهادئة، نزع حذاءه ووضع منجله بقربي وبدأ يمشي على خط الأمواج بعد أن ثنى سرواله حتى ركبته، كان هادئًا عما يكون عليه عادة.. ينظر للأعلى ويمشي ببطء، يجر قدميه، وكأنه يريد أن يعيش لحظته ثانية بثانية، وعقله مستقر لا يملك لما يشوشه مكانًا.

منجله كان بقربي، لمسته وحاولت رفعه ولكنه كان ثقيلًا لدرجة لا توصف! استغربت كيف له أن يحمل شيئًا بهذا الثقل ويلوح به بخفة.. تيقنت أنه فعلًا شخص قوي.

بني يروح ذهابًا وإيابًا على خط البحر والأمواج تتلاطم بقدميه، شعرت بأني أريد أن تلامس قدميَّ أيضًا، ولكن بالنظر لوجهه فهو في حالة صفوة تامة، وقد أزعجه لو انضممت إليه.

بعد فترة طويلة نوعًا ما، رجَّ رأسه كأنه يطرد العديد من الأفكار وتقدم نحوي ليجلس، نظرت لمنجله وقلت:

إنه ثقيل، كيف تستطيع تحمل وزنه؟

جلس وهو ينفض الرمال عن ساقه:

لقد تعودت عليه، مع أني لم أشعر بأن ثقله يعيقني أبدًا.

تذكرت قبل ست أيام، لقد لوَّح به بخفة وبيد واحدة نحو ذلك الثعبان ذي القرنين الذي اختفى متبخرًا، وقد تساءلت حينها عن ذلك لأشارك تساؤلي، أجاب:

لا تنسي أن أسلحتنا مشبعة بالتعاويذ السحرية، لذا كلما كانت قبضتنا أقوى أثناء إمساكنا بها ستنتقل الطاقة المخزنة بأجسادنا على شكل تعاويذ، وعندما نقطع أي كائن فحينها سيختفي كالدخان.

جود لا يجيد شرح الأمور ببساطة، ولكن فهمت أنه يجب أن نشد بقوة على أسلحتنا كي تنتقل طاقة جسدنا إليها وتوقظ التعاويذ التي بالسلاح، سابقًا عندما مررت سيفي بكائنات الجاكالوب لم تكن تختفي على شكل دخان، وذلك يعود لعدم وضع كل طاقتي بقبضتي.

كان دومًا متواجدًا بدائرة المشتبه بهم، ولكن وجوده لم يكن يزعجني كوجود فيرا، لذا كانت المشتبه به الأول دومًا بينما هو يليها، ومع ذلك لم أكن أحس بأي خطر منه.

كان يحدق أمامه بصمت، سرعان ما كسرته قائلة:

جود، لا أحد هنا غيرنا، لذا لن يستمع أحد إلينا.. أريد أن أعرف، ما هو هدفك من مرافقتنا؟

كأني لم أقل شيئًا.. بقي يراقب الأمواج أمامه بصمت لأشعر بالإحراج من تجاهله لي وأشاركه التحديق بالأمام.

مرَّت فترة لأسمعه يأخذ نفسًا عميقًا ويقول:

أنا هنا لأجل إليانور!

هذا الاسم ليس غريبًا علي! أهي آريا؟ لا لا، تلك ملكة الملائكة المجنحة.. إذًا من إليانور؟ بقيت أعصر مخي لأتذكر، أخيرًا، إنها الملكة، أي والدتي.

أجبت:

إليانور.. تقصد والدتي؟

هزَّ رأسه بنعم، استغربت نوعًا ما لجوابه ولكن لم أجادل كثيرًا، ومن ناحية أخرى أريد أن أعرف ما الذي يجمعه بالملكة؟ لكني أعلم تمامًا أنه لن يخبرني، لذا سألته بطريقة غير مباشرة:

هل هو هدف نبيل؟

وضع عينه بعيني وحدق لبرهة:

أعتقد ذلك.

وعاد لصمته، هذا الشخص غريب للغاية! إنه صاخب ومثير للضجة ومازح أغلب وقته، ولكنه الآن مختلف عما أعرفه، حسب تحليلي الشخصي له، فهو يحمل سرًا دفينًا.

لم أكلمه وبقينا جالسين، أنتظر أن ينهض لأكمل التدريب على التعاويذ..

سمعنا صوت نداء روي وهو يصرخ لجود ليرد عليه الآخر ثم تتبع مصدر الصوت حتى وجدنا، تقدم نحونا وحينها نهض جود وهو يقول بأنه حان وقت ذهابه.. كان سيتركني بمفردي برفقة روي! أخبرته بأن يأخذه معه لكنه رسم لي ابتسامة رافضة.

شعرت بالصداع عندما جلس روي بمكان جود سابقًا، ولم أكلمه وتابعت مراقبة الأمواج بصمت، لم أجلس معه من قبل لنتحدث بمفردنا، فقد كان الجميع دومًا برفقتنا، الأمر يشعرني بالتوتر.. روي في

السابعة والعشرين، أي أنه أكبر من عفراء بسنتين، وفي نفس الوقت نحن أقران بحياتي الواقعية!

استمر الصمت لفترة طويلة ليسأل سؤالًا سخيفًا محاولًا كسر الصمت:

هل أنتِ بخير؟

همهمت بدون أن أجيب، بدأ يلعب بالرمال ويرسم عليها ثم يمسح ويعيد الرسم بطريقة عشوائية ليسألني بدون أن يرفع رأسه عنها:

هل تكرهينني لسبب ما؟

تمالكت نفسي:

لمَ تعتقد ذلك؟ أنا لم أقل من قبل إني أكرهك.

لم يجب، لذا استرقت نظرة بنصف عين نحوه.. كان كمن يشعر بالإحراج، لكنه يريد أن يقول شيئًا ما، على الرغم من أنه لا يبدو الشخص الذي يشعر بإحراج أو يخاف! مظهره يوحي كأنه الشرير الوسيم بالأفلام، لكنه العكس تمامًا أمامي!

لم أجد ما أفعله، لذا بدأت أمرر يدي على الرمال تنسل بين أصابعي، حسب دراستي للوضع فلا يبدو أنه سينهض، وسيبقى جالسًا هنا، وحينها لن تسنح لي الفرصة للقراءة، لذا زفرت وأنا أنهض ليفعل بدوره:

لقد تأخر الوقت، لنعد.

لم يجب ومشى بمحاذاتي بخطوات بطيئة، كانت المسافة بعيدة نوعًا ما ولكن حفظت الطريق بفضل تواتري على المكان.

كنا نتمشى بذلك الممر الطويل وبداخلي أتمنى لو أن أدا برفقتي أو أي جود من بعيد.. من المستحيل أنه قطع كل هذه المسافة بوقت قصير!

تنحنح أخيرًا وكان على وشك الحديث، ولكني قاطعته بسرعة:

انظر للشجرة!

نظر إليها مطولًا ليسألني ما خطبها؟ أجبت:

لا شيء، انظر وحسب.

بقي يمشي وهو ينظر لما حوله، ثم بعد لحظات أراد أن يستأنف ما أراد قوله ولكني قاطعته مجددًا بسرعة:

انظر للطريق!

وقف وبقي يحدق بي مستغربًا، ويبدو أنه يعلم بأني أقاطعه لأني لا أريد خوض أي حديث، تنفس بغضب يحاول إخفاءه ثم سأل:

عفراء، هل أنتِ بخير؟ ألاحظ بعض التغيرات بك.

صحقًا.. كما توقعت!

هززت رأسي ببلاهة وأنا أنكر وأهز كتفيّ، لم يسبق لي أن تعاملت مع الرجال باستثناء صاحب شقتي التي كنت أتهرب من دفع إيجارها، وكان بعمر جدي تقريبًا.

لذا لا خبرة لي مسبقة! حاولت أن أقف باستقامة ورأسي للأعلى كما كانت تنصحني أدا دومًا، وأن أتصرف كملكة وأتكلم بتكلف ورسمية، هكذا كانت سيدتها، قلت بلكنة لم أعتدها:

ما الخطب روي؟ أنا بخير ولم أتغير!

رسم ابتسامة على نصف وجهه الأيسر.. أقوم بها عندما أكون على ثقة بأمر ما أو في موقف أنظر فيه لشخص أمامي باستصغار.. لا أعرف إذًا لأي سبب هذه الابتسامة على وجهه؟

اقترب خطوتين وسأل:

هل بإمكاني التحقق؟

صدمت، ومع ذلك تظاهرت بأن الأمر غير مهم ورفعت كتفيَّ دلالة على "تفضل"، أمسك بيدي اليسرى بيمينه وبدأ يتمشى بالطريق ممسكًا بها.

لم أقل شيئًا وسايرته بهدوء، وبقينا صامتين طوال الطريق بدون أن ينبس أحدنا ببنت شفة.

لم أكن أفكر حينها بشيء سوى بأن أترك عقلي يرتاح، فأنا أرهقه في أغلب الأحيان بالتفكير والتخطيط وحفظ أصعب التعاويذ، ولكن الآن أمشي بهذا الممر.. برفقة روي وبهدوء.

لم أشعر بالوقت حتى رأيت خيامنا أمامنا، عند اقترابنا سحبت يدي بقوة.. ضحك بخفة على فعلي وقال بخفوت عند أذني:

لقد تغيرتِ بالفعل!

شعرت بحكة في يدي مفادها أن أصفعه.. أنا أقوم أحيانًا بصفع أي شخص ما إذا توترت، ليس كرها وعدائية نحوه ولكنه أسلوب أعبر فيه عن إحراجي أو توتري، وهذا سبب طردي من وظيفتي الرابعة التي لم أرد أن أفصح سابقًا لماذا طردت منها!

نظرت لوجهه بعد قوله لهذا وسيطرت على يدي كي لا تصفعه.. في تلك اللحظة كأن عينيَّ ثقلتا، وأرجح أن حدقتها توسعتا، لكن.. أنا لست الشخص الذي يأخذ غرضًا ليس له!

مدحته كثيرًا بحضرة أدا، وسخرت من أن عفراء لا يعجبها شخص جميل كروي، وبالطبع لا تعرف مصلحتها.. كل هذا تحت مسمى السخرية، روي يخص عفراء الأولى ولا يخصني أنا مع الأسف.

مشيت نحو خيمتي ووجدت أن قنديل خيمة آرثر مشتعل وهذا يعني أنه مستيقظ، اقتربت وناديت عليه لأسمع جوابه.. دخلت لأجده مستلقيًا وينظر للأعلى وقد قاطعت تفكيره، لم ينهض لذا جلست عند طرف فراشه لينهض بسرعة وقد تذكر شيئًا ما!

نطقت باستغراب:

آرثر، ماذا هناك؟ لقد أفزعتني!

كانت ورقة مطوية ملقاة بجانب خصره، أمسكها ووضعها بجيب سترته التي كان قد وضعها فوق وسادته وتوسدها هي الأخرى.. أجاب:

لا شيء.

- ما هذه الورقة التي تخفيها عني؟

أجاب بتوتر وهو يخبرني أنها ليست بالشيء المهم.

ضحكت وأنا أحاول أن أسحب سترته منه وآخذ الورقة عنوة:

لست أنت الذي يقرر أهمية الأمر من عدمه.

دفعني برفق وأمسك سترته وضمها لبطنه وهو يتكور عليها، مما زادني إصرارًا على معرفة المكتوب بها.. توعدته بأني سأغافله يوم ما وستقع تلك الورقة بيدي ليضحك لي بتحدٍ، جلست وقد أنهكني التعب وكرهت الوضع الذي لم يتغير منذ أيام.. ربعت قدميَّ ليضع رأسه متوسدًا فخذي ويبدو أنه سئم الوضع أيضًا.

بدأت أمرر أصابعي على شعره وأربت على رأسه بين حين وآخر، حينها سألني إلى متى سيطول الأمر؟ وهل سنكمل مسيرتنا لو رفضت -آريا- مقابلتنا قطعًا؟

كنت أفكر بجدية في الأمر.. قد يستغل الناس أحيانًا حقيقة أنك شخص طيب وصبور، لذا سيتمادون بأفعالهم ليجعلوك تصل لأوجك، حينها ستصرخ من التراكمات التي بداخلك.. لا أحد سيتفهم تراكماتك أو يهتم لما يقدر ما سيهتم بصراخك، أنت! لمَ تصرخ؟ ما الذي تظن نفسك فاعلًا؟ أنت! لمَ تصرخ.. هل جننت؟

هذا ما سيفكرون به، سيطرحون التساؤل ليجيبوا بأنفسهم بناءً على افتراضات واهية، لمَ لا تسألني لماذا أصرخ وتنتظر الجواب مني؟ عندما أتحمل الأعباء التي على كتفي بصمت حينها.. لماذا لا تسألني، لمَ لا أصرخ؟ أنا لا أصرخ لأن هذا سيجعلني أبدو كالضعيف، حينها لن أكون مصدر إلهام لأحد! سأواصل التحمل لأجلكم حتى لا تفقدوا الأمل، لا أحد يحب الضعيف أبدًا.. يحبون القوي حتى لو كان متسلطًا وشديدًا، ببساطة يحبون من هو أعلى كفاءة وحسب.. يميلون للمازوخية، وهذا يجعلني أرغب بالتقيؤ على أوجههم، يثيرون اشمئزازي بحق.

إن لم أعجبك بحالتي الصبورة، فحينها سأعطيك ما تريده لتتذمر ثم تتقبل ما جعلتني أصل إليه، الهيئة التي أقابلك بها هي التي تختار أنت أن تراني عليها.. إن أردت الطيبة فستحظى بها، وإن أردت الشر فلا أحد يفوقني شرًّا!

عزمت على قراري وأخبرت آرثر أن غدًا هي آخر فرصة للملكة آريا، فقد نفد صبري فعلًا، إن لم تقابلني طواعية فحينها سأضطر

لإستعمال القوة، وأيا كان ما سأقوم به فعليها أن تتحمله، فهذه نتائج قراراتها واختبارها لصبري.

لكن.. لم ننتظر قدوم الصباح حتى!

سمعت صوت العديد من الأجنحة تحلق فوق خيمنا، نهضت وآرثر الذي بدأ يرتدي سترته وسبقته للخارج لأرى ما الخطب، وقد استيقظ الجميع -هذا إن ناموا- لنجد أن عشرة من الملائكة المجنحة فوقنا، سيفي كان بخيمتي لكن إلمار استل سيفه كنوع من التهديد وهو يسألهم بسخرية:

هل رضيت جلالتها آريا عنا أخيرًا؟

تكلم أحدهم بوجه لم تفارقه الابتسامة:

هل تودون لقاءها الآن أم نؤجله للغد؟

تقدمت لأجيب بنفسي:

سنقابلها الآن، فقد أضعنا ست أيام بالفعل بانتظارها!

نزل تسعة منهم على الأرض أمام كل واحد منا، فهمت بأنهم سيحملوننا للأعلى.. سألتهم فيرا عن الخيام وأغراضنا المتواجدة بها، فجميعنا نعرف أن فيرا تملك بعض الكتب الجغرافية التي تخشى عليها أكثر من أي شيء آخر، ليطمئنها مخبرًا إيانا أن واحدًا منهم سيظل هنا ليحرس أغراضنا، وأساسًا لن يقترب منها أحد.. في تلك الأثناء دخلت

جلبن وجلبن حاملة سيفي وربطتها على خصري، وخرجت أخيرًا مستعدة لمقابلة آريا! الجريئة التي جعلتني أنتظر لست ليال كاملة.

أمسكوا بنا من أسفل أذرعنا، وحلقوا بنا من فوق السياج للأعلى لندخل شاسع، وضعنا أرضًا، المكان يلمع لمعانًا! أرى انعكاساتنا على الأرض من شدة نظافة الأرضية الرخامية، الأرضية بلون القمح، فوقنا ثريات من الكريستال تضيء المكان حتى آخر ركن، السقف من زجاج نرى النجوم مبعثرة في السماء من خلاله ثم.. على جوانبه العديد من المرايا التي نرى انعكاساتنا عليها، المكان أغلبه من زجاج براق، لكنه من الخارج يوحي بأنه رخامي بالكامل.

اعتقد بأني سأكون كالملكة إيفروناس، بمجرد عودتنا سأطلب من الأقزام بعد ضمهم إلينا أن يبنوا لي قصرًا يشبهه، وذلك طبعًا بعد أن نقوم بقطع الأشجار عند عودتنا، لأن مسترقي السمع يستترون من خلفها.. لم أنسَ هذا الموضوع بعد!

تقدَّم واحد منهم ليدلنا وكان ما يميزه هو كثرة الأساور الذهبية الملاصقة ببعضها البعض حتى مرفقه.. صعدنا درجًا طويلًا وأكملنا سيرنا بممر حيث ينبعث نور أبيض من نهايته، وأعتقد أنه انعكاس على أرضية رخامية بيضاء هذه المرة.

أكملنا المسير حتى وصلنا لقاعة كبيرة في نهايتها كرسي كبير أبيض مدبب الحواف، وشكله مصمم ليشبه الضباب، تجلس فوقه امرأة بجناحين كبيرين يفوقان أجنحة من قابلنا منذ مجيئنا.

كانت ممتلئة الجسد نوعًا ما، وعلى رأسها نفس الحلقة الطافية الذهبية، لم يكن أحد غيرنا بالقاعة فقط نحن العشرة.

منذ دخلنا وهي تبتسم مغمضة العينين، مما سبب لي حالة هيجان داخلي لكني تماسكت، اقتربت ناحيتها وأنا أقول بإستهزاء:

يا لها من جرأة تكافئين عليها.. ترك عائلة لوي دايا أسفل قصرك لستِّ ليال متتالية، بينما تنعمين بالراحة فوق عرشك.

تكلمت بصوت ملائكي يناسبها:

وما الذي يمنعك من التنعم بعرشك أيضًا؟ لم أجبرك على النوم أسفل قصري.

ذهلت! ما هذه الوقاحة؟ على الرغم من أنها محقة، لكن لا تقولي كلامًا قاسيًا كهذا بوجه مبتسم، فهذا مستفز جدًّا! سمعت صوت ضحكة فيرا وبياتريس المكتومة، أشعر برغبة في غرس سيفي ببطنها المستديرة! كيف تهزأ بي أمام الجميع؟!

فكر يا عقلي.. فكر يا عقلي برد مناسب!

إجابة:

كتب على الملوك الحقيقين الشقاء، فهم لا يعرفون التنعم على عروشهم لي حين أن الأمور تصبح أشد سوءًا، وأيضًا الملوك الحقيقيون يجيدون إكرام ضيوفهم، وهذا أمر لم أره بك.

أحسنت يا عقلي على هذا الرد أتمنى، أن تظل متيقظًا هكذا طوال الوقت!

لم تجب وبقيت الابتسامة ذاتها على وجهها، لا أعرف إن كانت جزءًا منها كتلك الحلقة التي تطفو على رؤوسهم أم لا

أريدها أن تشعر بالإهانة، ولكنها لا تبدي أي منظر منزعج مطلقًا!

التفتُّ لآرثر وقد اكتفيت وغمزت له بمعنى أن يتقدم ويتكلم بدلًا عني، فغالبًا قد ساءت علاقتي بها منذ أول لقاء!

تقدم لعدة خطوات حتى أصبح قريبًا منها ويفصل بينهما عدة أقدام، تكلم بإحترام وقد انحنى لها نصف انحناءة:

أنا آرثر لوي دايا، الملك المستقبلي لمملكة أوروورا.

- أوه هكذا إذا.. تشرفت بك سمو الأمير آرثر، لكن حسب معرفتي أن هناك ميثاق، إن صح التعبير عقد ينص...

قاطعها بإحترام:

أعتذر.. لكننا لن نرضخ لأي عقد.

لم تجب وملامحها على حالها منذ أن دخلنا، وأيضًا لم تفتح أعينها، فهي تتكلم مغمضة الأعين، بقينا بإنتظار جواب منها، ولكنها ظلت صامتة، آرثر بتوتر:

هل تعرفين سبب مجيئنا؟

- بالطبع ليس لدعوتي لجلسة شاي بحديقتكم الخلفية.

- نعم.. يميز الجميع سبب مجيئنا إليهم بمجرد رؤيتنا، نحن بحاجة لتوحيد قوانا...

بدأ يخبرها بسبب مجيئنا وعن نيتنا لإعادة هيكلة الحكم وإعادته لسابق عهده، وقبل أن يختم كلامه قال:

أعدك بأنك لن تندمي على هذا.. جلالتك!

عدلت من جلستها وبإبتسامة هادئة:

لكنني بخير هكذا.

فوجئ تقريبًا بردها، لذا قال بلكنة تحاول إقناعها بشتى الطرق:

أنتِ بخير هكذا صحيح.. لكن سيكون حينها الوضع أفضل من...

هنا فتحت عينيها الخضراوين وقد اختفت ابتسامتها وأصبحت وضع جدي لترد عليه بنبرة جادة:

افضل من هذا؟ ما يعيبنا نحن الكائنات الحية أننا نبحث عن الأفضل دومًا لا نكتفي بما لدينا أبدًا ونتطلع للأكثر.. أظن لو أننا نكتفي بما نملك، فحينها كنا ستتجاوز الكثير من الكوارث، ألا توافقني يا سمو الأمير؟

خرس تمامًا، لم يجد ما يقوله لها.. في نهاية المطاف إنها محقة!

لكن أحيانًا نحن نكتفي بما لدينا لكن غيرنا لا يفعل، أحيانًا غيرنا يكتفي ولكن نحن لا نفعل، ليس لأننا نملك كل شيء فذلك يعني أنه بحل الأمور، يجب أن نحافظ على التوازن ونحرص على أن نكتفي جميعًا!

تدخلت معارضة:

إن كان الأمر كما تقولين، فحينها ستكون أنانية مطلقة! ألا يجب أن نضع أيادينا ببعض.. أنتِ مكتفية لكن نحن لا! كونك بخير لا يعني أن غيرك كذلك يا آريا!

نهضت من عرشها متقدمة نحوي حتى استقرت امامي، كانت طويلة مما استدعاني لرفع رأسي كي أراها:

إن كنا سنتكلم عن الأنانية، فما تفعلونه أنتم هو الأنانية المطلقة!

أخذت نفسًا عميقًا وسألتها بهدوء شديد:

هل قابلت الملكة الأم؟

نفت ذلك وقالت أن من قابلها هو جدتها.. سألت مجددًا إن كانت جدتها قد أخبرتها عن إيفروناس وما الذي فعلته لتنال الحكم وتوحد الجميع تحت جناح حكمها، حينها صمتت لبرهة وقد ظنت أني أهددها بطريقة غير مباشرة لأصحح موقفي:

أرجح من صمتك أنك على علم بما قامت به! لكن أنا أعرف حقيقة الأنانية المطلقة، فهي باب من أبواب الشرور، لذا لم آتِ بسرب من طيور العنقاء وأجبر الجميع على اتباعي، وإلا أنهيت نسلهم! أنا.. نحن لسنا هكذا أبدًا!

راحت تفكر مليًا بكلامي وعادت بخطوات بطيئة لعرشها لتجلس وقبضة يدها تحت خدها.. دقائق صمت ونحن نترقب جوابها الأخير لتقول أخيرًا:

ماذا لو رفضت؟

أجابها آرثر بدلًا مني:

حينها لن يكون خيار الانضمام إلينا متاحًا بعد الآن!

ظهر على ملامحها الضيق من كلامه، وغالبًا لا تريد الندم، فثقة آرثر بنفسه تهز ثقتها بنفسها، ولا ننسى أننا بنهاية المطاف نملك الورقة الرابحة وهي القوة!

الشخص القوي الذي لا يستخدم قوته ضدك، فذلك يستحق أن تحتمي به، آريا امرأة ذات كبرياء وغرور، لذا لن تعترف بسرعة، وأنا أعرف هذا تمامًا، لذا بدأت تلف وتميل لتقول:

امهلوني وقتًا لأفكر!

- لقد أضعنا ما يكفي من الوقت، لذا فلتتخذي قرارك بسرعة!

تدخلت وأنا أمسك آرثر من ذراعه وأصحح قوله:

لأكون صريحة.. نعم، أضعنا الكثير من الوقت هنا لذا سنذهب ونكمل تقدمنا، وبتلك الأثناء فكري وسنكون بانتظارك.

إنها بالفعل امرأة ذات غرور، والضغط عليها ليس لصالحنا بتاتًا! لذا علي أن أوهمها بأنها صاحبة قرار مطلق، وحينها ستوافق على مبتغانا بدون وعي منها، وسيكون بحسبانها أنها قدمت معروفًا لنا، ولكن نحن من قام بالتلاعب بها لتفعل.. ما يصلحه العقل يدمره الغرور، وكلما زاد مرتبة قلت مرتبة العقل عند صاحبه.

الاستيلاء

عدنا أدراجنا لنصل إلى بوابة القصر ونجد من هم بانتظارنا لإنزالنا للأسفل، بتلك الأثناء قال إلمار:

لو أن طيورنا معنا لما واجهنا العديد من المشاكل.

لقد كان محقًّا.. فستساعدنا على التنقل، وأيضًا المخلوقات الأسطورية تخاف منها كالبرد! لكن لسوء حظي أني لم أعلم أنها لا تتأثر بالتعاويذ إلا منذ وقت قصير، ولأجل ذلك لم تأتِ برفقتنا لأني خفت عليها من الأذى، بقيت أفكر بنير الذي قال بأنه سيكون بقربي عندما أتعرض للخطر.. أتمنى لمرات عديدة في اليوم لو أنه بقربي فعلًا.

حملنا أغراضنا وبدأ إلمار بإلقاء تعويذته ليتشكل ذلك الثقب ويدخل به الخيم والأغراض الزائدة التي نستخدمها بأوقات توقفنا.

لم ننتظر أن يحل الصباح لنستأنف سيرنا، طمأنتنا فيرا بأن السير صباحًا لن يكون شاقًّا فالجو معتدل في النصف الآخر من القارة.

***

كان إنجازا يستحق الذكر أننا قابلنا جميع المخلوقات بالقارة الأولى، وستتوجه إلى الطريق الجبلي الطويل، وحينها سنقطع تلك المسافة الطويلة التي قد تستغرق يومين إلى ثلاثة ثم ستطأ أقدامنا أكبر قارة.. قارة زابورا!

بعد خروجنا من مملكة الملائكة المجنحة، أكملنا السير بسهل أخضر شاسع تحرك الرياح عشبه في منظر مريح للعين، مررنا بجانب ربوة، وبمجرد تجاوزها وضُح أمامنا الممر الجبلي.. ممر يقع بين سلسلة جبال شاهقة نكاد لا ننتهي، سنتتبع خط الطريق مباشرة للأمام بلا راحة إلا للنوم ليلًا ونكمل في اليوم التالي...

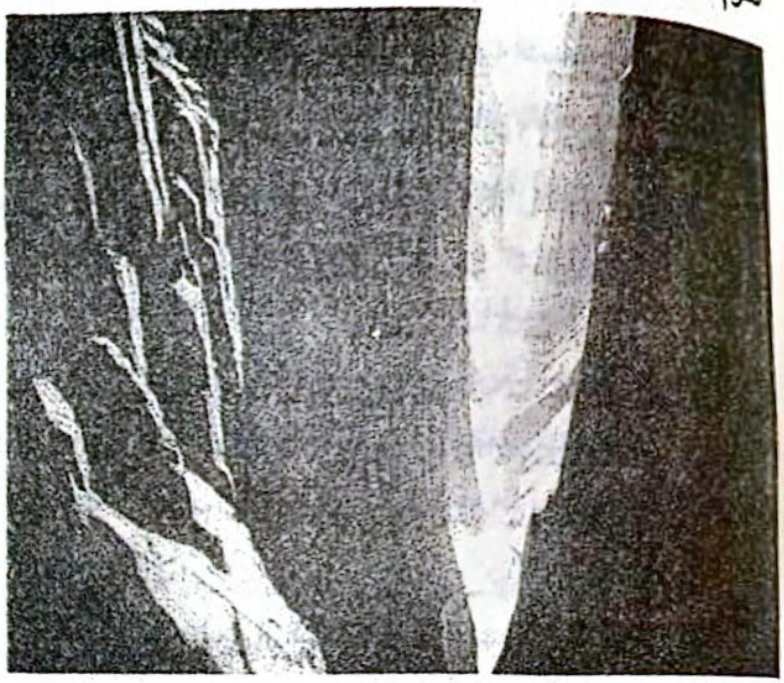

قارة زابورا

أمضينا ثلاثة أيام بالطريق، نسير بدون توقف.. نتسابق أحيانًا وتفوز بياتريس كالعادة.. نواجه التشوباكابرا وكائنات جديدة غيرها مثل السيكلوبس! عملاق بعين واحدة كبيرة على جبينه، ويحمل عصا خشبية كبيرة، لم نحتك نحن به فقط، الكبار برفقتنا مثل جود وإيديث هم من يقاتلونه، أيضًا قابلنا الأناركا! سحلية تشبه التمساح، طولها ثلاثة أقدام، تبزق سائلًا يذيب كل ما يلمسه، هذا الكائن بالذات لم يسمحوا لنا بقتاله، فهو يحتاج خفة حركة واحترافية شديدة لتفادي تصويباته المتتالية ومراوغتها، وهذه الخفة طبعًا كانت عند جود وإيديث.. لم نعد نخاف من هذه الكائنات التي نواجهها، ينام الجميع في الليل بينما نبقى أنا وإيديث مستيقظتين كأننا في دورية عسكرية.. الجلوس معها ممتع، لديها الكثير لتقصه لي دومًا، واكتشفت أنها مثقفة وملمة بالكثير من الأمور، أحب الأشخاص أمثالها الذين يفيدون غيرهم بعلمهم، لم أشعر بأي ملل أو كلل برفقتها.

في منتصف اليوم الثالث.. انتهت سلسلة الجبال أخيرًا وبدأ الطريق ينبسط أمامنا ويتسع لتخبرنا فيرا بأننا وصلنا لقارة زابورا! القارة الكبرى.

ليست كما تخيلتها! تصورت أنها قارة صحراوية مخيفة تحمل على ظهرها أسوأ الكائنات التي قد نواجهها، حتى كائنات تفوق الجاكالوب والتشوباكابرا سوءًا!

لكنها العكس تمامًا!

السماء بأرض المملكة وقارة زندو خضراء مصفرة، لكنها هنا صفراء بلهاء بموجات متراقصة! إنها تشبه الشفق القطبي، الفرق أن هذه صفراء، ولكنها تضيء المكان من حولنا جيدًا.

الأرض مزروعة بشتى أنواع النبات وبألوان مختلفة، فوقنا تطير طيور تشبه ديناصور "تيرانودون" وديناصور "تيروداكتيلوس"، عرفنا بأنها ليست عدوانية، ولن تهاجمنا ما لم نبادر أولًا، على الأرض حيوان يشبه الراكون لكن ذيله مدبب بالعديد من الإبر السامة التي تشبه إبرة العقرب.. تم تحذيرنا من الاقتراب منه، وإن صادف أن اقترب منا فلا ضير من قتله.

ذئاب بيضاء ككلاب الأسكيمو بفرو كثيف تتجول بالمكان، اقترب واحد منها، ولكن لم يحذرنا أحد منه لنعرف بأنه مسالم، بقي آرثر وروي بلاعبانه لفترة قبل أن يذهب.. جميعنا هنا منبهر بالمكان وكأننا ببعد آخر!

تقدمت فيرا وبدأنا بالسير خلفها، سألها جود عن القناطير، أمسكها بعيد أم لا؟ عرفنا أننا لو واصلنا على نفس الوتيرة سنصل ليلًا ولكننا سنرتاح وننام لنقابلهم صباحًا.

***

الجميع على أهبة الاستعداد لمقابلتهم.. متخوفون من النتيجة، لم ترتعد فرائصي هكذا حتى عندما ذهبنا لمقابلة أشد المخلوقات فتكًا وعدوانية، ولكن لمعرفتي المسبقة بالقناطير وخوفي من التيه في متاهاتها، فأصابعي ترتجف حتى أني أشعر بالبرد في جميع أطرافي، سرعة استجابتي بطيئة!

تعلمت من التعاويذ ما يبقيني بخير وينقذني من أي خطر محدق منهم، ولكن لا زلت غير متمرسة، فلا تعويذة منهم ستقيني شر إيلفين المطلق.

وصلنا وعلى بعد ميل واحد أمامنا قلعة طينية محاطة بالعديد من أشجار البلوط، لحسن حظنا أن البوابة الكبيرة مفتوحة على مصراعيها، لا زلت أتذكر سياج آريا الذي كان عائقًا!

أخبرنا إلمار أن نمشي بالقرب من بعضنا وألا نفترق وأيًا كان ما سيحصل يجب أن نحافظ على رباطة جأشنا.. المكان منظم وجميل، يشبه

حدائق روما، والنباتات على أشكال متاهات تعطي انطباعًا واضحًا عن المكان، بقيت أقلب بصري يانبهار لأشير بإصبعي لإلمار وأقول:

انظر، إنها الجاكالوب!

نظروا جميعًا ليصحح لي:

كلا، هذه مختلفة عنها في الحجم والشكل.

دققت بها.. نعم، هذه أصغر حجمًا وقرونها ملتوية وصغيرة، لذا بما أنهم لم يحذروا منها هي الأخرى فهذا يعني أنها ليست سامة.

تقدمنا عدة أقدام لمساحة شاسعة، تصلح ليبنى عليها بيت بأكمله، وبتلك الأثناء شعرت بحركة جعلت الهواء يغير من اتجاهه لنغلق أعيننا من شدته، وحينها.. خرجت من تحت الأرض جدران عالية، وللأسف لقد تفرقنا!

كان على يساري آرثر وروي وجود، ولكن الجدار الذي نبت فجأة من أسفل أقدامنا فرقنا.. أمامي إلمار وإيديث وأدا رفقة فيرا، وكذلك بفصل الجدار بيننا، والآن أنا مع بياتريس من الجانب الآخر.

ناديت على الجميع من خلف الجدار، أيسمعونني أم لا؟ حينها صرخ إلمار لتنصت:

حصل ما كنت أخشاه.. هذه متاهات القناطير التي بنتها لهم مخلوقات المينوتور المنقرضة، والآن هم يتحكمون بها ويحركونها كما يشاؤون!

إيديث بنبرة قلقة:

حاولوا البقاء كما أنتم ريثما نلتقي، ولا تسمحوا لأنفسكم بالتفرد ولا تجرؤوا على الموت! هل تسمعين يا عفراء؟

أجبت بنعم.. كان لسوء وحسن حظي أني برفقة بياتريس، سوء حظي غني عن التعريف، وحسن حظي أننا بمفردنا وسأحظى بحوار معها، هذا إن تخلت عن عجرفتها التي تجعلني أرغب بصفعها!

بدأنا بالسير في المتاهة، نجد الطريق أحيانًا، ومرات جدار طويل يعترضنا لنعود أدراجنا.. أمضينا الدقائق الأولى بصمت، أسير للأمام وهي حذائي.

أسترق النظر لوجهها بين فنية وثانية.. هادئة، تحافظ على رباطة جأشها، ملامحها مريحة للغاية، وأظن أنها بمزاج جيد، لذا بدون أن ألف بصري لها:

بيا، هل أنتِ غاضبة؟

أجابت ببرود وكأنها لا تريد خوض الحديث:

مِمَّ سأغضب؟ وما بيا هاته التي تخاطبينني بها؟!

قلت بمزاح لألطف الجو وأنا أقرب جسدي إليها لأدفعها برفق:

هل تفضلين عزيزتي بيا بدلًا من بيا الجافة؟

الملك فيكتور حاملًا بآرثر ووالدتي إليانور ماتت منذ سنة على الأقل..

هذه المشاهد تحمل لي مشاعر اللحظة، كنت وبياتريس سعيدتين برفقة والدها، والذي كان بمثابة والدي خاصة بعد موت الملكة إليانور التي من المفترض أنها أمي.

المشهد الثاني، بغرفة الأمير ويليام، أظن أنه بعد أن مات شقيقه لأتولى أنا الحكم من بعده، حينها كنت بعمر يقارب الثانية أو الثالثة عشر! بياتريس عند سرير والدها وقد مات منتحرًا بسم! إنها تبكي عليه بينما أقف بدهشة وأنا أشاهده.

عدت لرشدي وأنا أشد بقوة على رأسي الذي يكاد ينفجر من الألم وصوت طنين قوي بأذني، سرعان ما بدأت الرؤية الضبابية بالتلاشي، شكرًا للإله أنها لم تتتبه لي ولا زالت على حالها واقفة وهي تشد على قبضتَيْ يديها بغضب، لا أعرف لماذا.. لكن لسبب ما شعرت بغضب شديد يعتريني ويرتفع بجسدي، ولي رغبة بتفريغه بأي طريقة حتى لو كانت الوسيلة هي إيذاء نفسي! تلك الذكريات تحمل مشاعر ما أرى لتعود وتسيطر علي، لم أشعر بدمعتي الساخنة وهي تنزل على خدي.. أمسكت بكتفي بياتريس وأنا أديرها لتقابلني وجهًا لوجه، وقد فزعت لرؤيتي بهذه الحال، لم أمسكها أو أرها بهذا القرب من قبل!

شعرت بالحنين لرؤيتها عن قرب.. حنين لشيء أجهله! أحكمت عليها وأنا أقول ودموعي تنهمر:

ما خطبك اللعنة! هل تعتقدين أن الأمير ويليام.. عمي كان والدك وحفظك؟ ألم يكن كأبٍ أيضًا؟ نحن.. ألم نكن كالإخوة؟ إذًا ما خطبك؟!

لم تجب، وحينها تسللت دمعة من عينها اليسرى وهي تحت وقع الصدمة، لكنني لم أنهِ كلامي بعد!

- أرجوك.. لا تخبريني بأنك تحمليني اللوم على موته! لا تخبريني بأنك تعتقدين بأن والدك مات منتحرًا؟ إنه لا يفعل شيئًا كهذا، لا سيما على أمر تافه ككرسي الحكم!

بدأت تبتلع ريقها باستمرار، ودموعها تنزل كشلالات وعيناها جاحظتان، لم أكن لأحب رؤيتها بهذا الشكل، لذا بدون شعور مني سحبتها وحضنتها بقوة وأنا أشد عليها

وكأنها شيء ثمين أخاف أن يضيع مني.. لقد استرجعَت حقيقة كيف كنا قبل موت والدها، لقد كنا كالإخوة بالفعل!

عانقتها وأنا أتوعد وأعدها بأني سأعرف من قام بذلك الفعل الشنيع لوالدها فقط لتثق بي وتوكل الأمر إلي، وسأذيق الفاعل أمرَّ أنواع العذاب!

شعرت بيدها خلف ظهري وهي تشد علي وكأنها تشعر بالندم والاشتياق ورغبة بالاعتذار، لم أفلتها ولكن ما إن رفعت رأسي للأمام لأجده!

قنطور ينتظر أن ننهي بكاءنا ليخبرنا بأنه هنا! جسده العلوي جسم إنسان، والسفلي لحصان، يحمل بيده رمحًا مسننًا بثلاثة رؤوس، ووجهه يدب الرعب في النفوس.. ستخاف منه شئت أم أبيت!

لم أستطع أن أنبس بكلمة من فزعي الشديد، وتمنيت لو أن إيدين معي لتحميني، بسبب المسافة بيننا لم يعرف أني انتبهت له وينتظر مني أن أرفع رأسي، لذا واصلت الادعاء بأني لم أره، وقمت حينها بنكز ظهر بياتريس التي لا زلت أشد على عناقها لتقوم بنكزي بظهري أيضًا.. نكزت بقوة أكبر لتنكزني بذات القوة، إنها بلهاء تمامًا!

لو تكلمت سيسمعني أنبهها حتى لو همست، نكزتها مرة ثالثة وهذه المرة كانت متباعدة، وأتبعتها بقرصة على خصرها، حينها أفلتت عناقي متذمرة وهي تصرخ:

لمَ تفعلين هذا؟ إنه مؤلم!

حاولت ألا أثير الشبهات ولا زلت أتظاهر بأني لم أره:

ما الذي أفعله؟ لم أفعل شيئًا!

- تستمرين بضرب ظهري وكأنك رأيتِ شيئًا تعجزين عن وصفه!

ما أعجز عن وصفه هو غباؤك عزيزتي بيا، شكرًا لأنك قمت بفضح أمرنا.. قلت هذا بداخلي وأنا أغمز لها لتنظر خلفها، ولكنها تغمز لي بنفس الطريقة، وتسأل ما معنى هذا؟ أقوم بحركات بوجهي ولكن بلا جدوى.. ذهنها يفوق ذهن جود بلادة.

اكتفيت وقد نفد صبري لأصرخ عليها:

القنطور خلفك يا حمقاء! اهربي.

استدارت وحينها رفع حوافره الأمامية استعدادًا للحاق بنا ولحظتها.. كانت المرة الأولى التي أتفوق عليها بسباق!

ركضت بأقصى قوتي تاركة إياها خلفي وكأنها لم تكن ذلك الشيء الثمين الذي كنت أرغب بحمايته منذ لحظات، هناك طريقان.. لا مجال للأخطاء بهذه المتاهة، وإلا كان الموت نصيبنا!

سلكت الأيمن بحجة أنه طريق الخير، ولكن كان جدار ضخم يعترضني، عدت أدراجي بسرعة وأنا ألعن طرق الخير جميعها.. اصطدمت بها وسحبتها للطريق المعاكس ولا زال ذلك القنطور يتبعنا، أثناء ركضي انتبهت أني أمسك بيدها ونحن نركض.. انتبهت هي الأخرى وتلاقت نظراتنا لنجري بكل طاقتنا ونحن نضحك، غالبًا إنها ذكرى طفولتنا التي استعدناها.

لا يمكننا مقاتلة أي قنطور، فذلك سيجلب المتاعب، لذا بدأت باستذكار تعويذة جوية، وقمت بالتمتمة وتحريك أصابعي وتوجيهها نحو القنطور الذي هبَّت نحوه عاصفة غبار قوية أعمت بصره ليبدأ بفرك عينيه.. كانت بيا مذهولة، لكن لم يكن هناك وقت لذلك، لذا أمرتها بأخذ سلاحه الذي سقط أرضًا وتوجيهه نحوه.

أكملت العاصفة طريقها خلفه متجاوزة أحد الجدران بدون توقف. عندما فتح عينيه كان سلاحه موجهًا لوجهه ليرفع يديه بإستسلام تام بلا مقاومة.

تقدمت نحوه ولا تزال بياتريس تصوب السلاح لوجهه، أمرته أن يخرجني من المتاهة لكنه أبى بحجة أنه لا يمكن فعل ذلك بمفرده، فهناك غيره يتجولون فيها! سألته مرة أخرى عن إمكانية بقاء رفاقنا بخير، لكنه لم يصرح بمعلومة مؤكدة، نظرت بحدة وقد غمزت لبيا كي تقرب السلاح منه كتهديد محتم:

أريد مقابلة قائدكم.. أخبره أن العائلة الحاكمة هنا!

نظر بقلق وكأنه يشك بمصداقية قولنا وقال بتوجس:

عائلة لوي دايا؟

بياتريس بإستهزاء:

لا عائلة لوي قنطور!

كانت دعابة تافهة لكنها أضحكتني، هذا إن دل فإنه يدل على سخافتي.

ما جعله يصدقنا هو السحر الذي رآه قبل لحظات، فلا أحد سوانا قادر على استخدامه.. بدا الرضوخ عليه وأول ما أمرته به هو السير أمامي

وهو يحمي بقية الرفاق، ولو قام بحركة غبية فحينها لن أمانع من استخدام تعويذة تقسم جسده شطرين!

بدأ بالسير وقد كان يحفظ المتاهة عن ظهر قلب، لم تفوت بياتريس فرصة سؤالي عن التعويذة، ولكني تهربت بحجة واهية، وهي أني وجدتها ورقة في غرفة والدي أثناء جلبي لسيفه منها.

يبدو أنها صدقت وطلبت مني أن أعلمها، لم أمانع، فتعويذة واحدة لن تسبب ضررًا.

أثناء سيرنا تحركت جدران المتاهة متغيرة لتشكيلة جديدة، الجدار الذي كان خلفنا أصبح أمامنا، والطريق المفتوحة على يسارنا أصبحت بممرات، كما قال إلمار سابقًا! يقوم القناطير بالتحكم بالمتاهات وتغيير اتجاهاتها بأي وقت يشاؤون.. تكلم القنطور موضحًا بدون أن نسأله:

يبدو أن أحد رفاقكم قد حوصر، فنحن نغير الطرق كي نحاصرهم.

بياتريس بقلق:

هل تستطيع إدراك أماكنهم؟

بدأ بالسير بسرعة نوعًا ما، ولكني أمرته بأن يركض، فلا وقت لنا لتضييعه! بدأنا نركض خلفه ونلف العديد من الممرات بدون أن يخطئ بممر! المساحة الشاسعة التي تكفي لبناء بيت ضخم بأكمله ما هي إلا متاهة تحت الأرض، وقد تصعد للأعلى بأي وقت.

توقف فجأة وبدأ يستشعر ما حوله، وبلحظة بدأت المناهة بالانتشار وكأنها لم تكن! الجدران تنزل مختفية تحت الأرض لتعود لوضعها الطبيعي.

بدأنا بالنظر حولنا.. حوالي تسع أو ثماني قناطير، إلمار وفيرا برفقة بعضهما البعض، إيديث مع أدا، وأرجح أنهما انفصلتا عن البقية بسبب تحرك الجدار المفاجئ.

بحثت بعينيَّ عن آرثر وروي وجود، شعرت بالقلق.. سحبت سيفي وقربته لعنق القنطور الذي يفوقني طولًا، وحينها لاحظت أن السواد يرتفع بسيفي من الأسفل حتى إبرته الحادة بالأعلى، لم أعبأ للأمر لحظتها، وسألته بسخط:

أين البقية؟ أنا لا أرى ثلاثة من رفاقي!

لاحظ الجميع اسوداد سيفي، تراجع القنطور لبضع خطوات للوراء بينما أتقدم نحوه وأشعر بجسدي يتقد من الحرارة، فغالبًا أصيب آرثر بمكروه.. قاطع تفكيري صوت صفير قادم من بعيد.

كانوا على بعد لا يمكنني من الرؤية.. ما أراه أشبه بنقطة متحركة، ركضت وأنا أخبر نفسي بأنه آرثر.. ركض الجميع من خلفي حتى اقتربت من مسافة استطيع التفريق بها بين الأجساد، لقد كان هو برفقة جود وروي!

إنه يعتلي ظهر القنطور!

يبدو بحجم أكبر من البقية، وأيضًا يرتدي تاجًا!

فهمت ما يحصل الآن وبدأت أضحك أثناء ركضي.. هذا سيدهم إذًا، وقد التقاه آرثر، وبما أنه يعتلي ظهره الذي يشبه الحصان، فطبعًا قد نجح بإقناعه وضمه لصفنا.

وصلت وانحنيت على ركبي ألهث وأرفع رأسي له مبتسمة والفخر يقطر من عينيّ، حركت رأسي بدلالة "أفعلتها"

ليهز رأسه مبتسمًا، لم أعرف كيف استطاع، ولكنه فعلها! الكائنات التي كنت متخوفة منها اقتنعت في غضون ساعة، تقابل بصري ببصر القنطور الضخم.. الزعيم الذي لا أعرف اسمه، قلت بوقار:

تشرفت بلقائك يا...

أجاب بصوت أجش وصدره يرتفع:

لوغان، الشرف لي سموك.

نزل آرثر عن ظهره والعديد من التساؤلات برأسي، سرعان ما رأيت فكه الأيسر الذي كان يحاول إخفاءه عني وهو ينزف، أمسكت بوجهه بكفتي وأنا أسأله ما الذي حصل؟

بدأ يتهرب ويخبرني بأنه سيخبرني لاحقًا، نظرت للوغان نظرة تهديدية صريحة وكأني أخبره بأني أتمنى ألا يكون له يد بالموضوع!

ضحك وقد شُدَّت عضلات صدره، ليضحك آرثر بدوره، لا زلت بموضع الأحمق الذي لا يفهم ما الذي يحصل لحد الساعة، لفت لن خلفي وكانوا أيضًا يحملقون باستغراب، الوحيدان اللذان يعلمان ما حصل هما جود وروي.

آرثر وهو يضرب فخذ لوغان الأمامي:

حسنا.. يجب أن نكمل الآن.

لوغان معترضًا بصوته المهيب:

لا! ستبقون هنا الليلة.. نظرًا للوقت فستصلون لأرض الغريفون ليلًا، ولا أظن بأنهم سيرحبون بكم بذلك الوقت المتأخر، لذا فلتبقوا عندي وغدًا أكملوا سيركم مبكرًا فحينها ستصلون قبل غروب الشمس بساعتين.

نظر الجميع لفيرا، فهي التي تعرف طبيعة الطريق، هزَّت رأسها موافقة على كلامه.

لم أكن بموقف يسمح لي بالحديث، فأنا من طباعي أني لا أتكلم بحرف ما لم أعرف ما الذي يدور حولي تمامًا! بدأ لوغان بالسير وخلفه قناطيره تتبعه وتسعتنا خلفهم جميعًا اقتربت من روي، فهو الوحيد الذي لن يكذب علي:

روي.. ما الذي حصل؟

اقترب أكثر لأستطيع سماعه وقص علي ما جرى...

بعد افتراقنا بدأ الثلاثة بالبحث عن طريق للخروج من المتاهة والتوجه مباشرة للقصر الطيني الذي رأوه، واجهوا بطريقهم أحد القناطير التي قام جود بترويضه مباشرة بعد معركة لم تدم كسر فيها جود سلاح القنطور ووجه منجله مهددًا إياه.

بتلك اللحظة تغيرت تشكيلة المتاهة ليختفي القنطور ويفصل بينهم جدار من الجدران، أكملوا سيرهم وبتلك الأثناء التقوا بلوغان! لقد كان يعلم أن العائلة الحاكمة هنا فلا أحد يستطيع قطع القارات أو الخروج من الأرض غيرهم!

عرف عن نفسه، وحينها تقدم آرثر وكلمه واستمع إليه حتى آخر جزء من حديثه، بالطبع لم يكن ليوافق بهذه السرعة، وقد أبدى رفضه من البداية، مما جعل آرثر يهجم عليه، ولكن لم يفز سوى بتلك الضربة التي أدمت فكه والتي من المفترض أن تجعله يفقد الوعي، لكنه قام مرة أخرى واستمر بالهجوم على لوغان مرارًا وتكرارًا، قام بتهديده بطيور العنقاء، لكنه لم يبدِ أي خوف منها، ولاستمتاعه بالوضع مع آرثر قال:

لم يقاتلني أحد بهذه الجرأة منذ سنين مضت، إنك شيِّق يا فتى.. قاتلني، ولو تمكنت من امتطاء ظهري فلك ما شئت!

استمرَّ آرثر بتلقي الضربات من القنطور والذي قد سبب له بشكل مؤكد العديد من الكدمات بجسده، لم يكن ليفوز ولكن! معجزة..

عاصفة من غبار قادمة بشكل مفاجئ ومن مكان مجهول، أعمت مبصر لوغان لفترة، ليستغل آرثر الوضع ويوجه العديد من الضربات له ويمتطي ظهره وهو يضع حد سيفه على رقبته.

كان الأمر غشًّا في البداية، ولولا تدخل العاصفة لما استطاع امتطاءه، ولكن دافع عن نفسه قائلًا:

هذا ليس بعذر يا لوغان، فقد دخلت ذرات الغبار لعيني كذلك، ولكني لم أتوقف كما فعلت أنت!

أعجب بآرثر وإصراره ووافق على الانضمام.. ليس لأجلنا، بل لحب القناطير للقتال فهم سيسرون لو أعلِنت الحرب ضد إيلفين.

***

في حقيقة الأمر لم أقتنع بالقصة، حسنًا، تبدو واقعية ولكنها لم تقنعني! أظن أن سبب انضمامه لنا مختلف، وقد يكون ضغينة من نوع ما.

عبرنا البوابة لندخل قصره، قصر طيني مليء بالأوثان المصنوعة على شكل قناطير تحمل أسلحتها، والبعض الآخر على شكل مينوتور الذين بنوا المتاهات، على السقف نقشت متاهة، بدأت أحاول حلها كلغز والاستمتاع بالوقت، على الأرضية رسوم أخرى للمينوتور وهي تتحارب مع القناطير التي يبدو أنها فازت حسبما هو مرسوم، العديد من الأواني الفخارية مبعثرة بالمكان، بعضها تضم أسلحتهم المسننة بثلاثة أسهم، وبعضها تضم النبات الذابل، وأخرى فارغة، وثالثة شجيرات

خضراء مقصوص أطرافها، وسيقانها على شكل متاهة، استدار وقال وهو يفتح يديه مرحبًا:

أهلًا وسهلًا بكم في قصري.. ليبيرينث!

هذا هو اسم قصره، أخبرنا بأن نأخذ راحتنا بالتجوال سواء هنا أم بالخارج.. دلونا على غرف لنرتاح بها، قبل أن أدخل غرفتي طلبت من مرافقي أن يخبر لوغان بأني بحاجة للحديث معه بمفردنا، فإن شاء فليأتني أو آتيه بنفسي، ذهب لإخباره بينما بقيت بانتظار جوابه، الجدران منقوشة بالعديد من الخرائط، أراهن بأنها ستعجب فيرا! السرير حجري، وفوقه بعض الأردية التي ستمكننا من النوم براحة عليه، تمددت على سريري.. كل ما له علاقة بالمتاهات ويخصها سنجده هنا حتى سقف غرفتي! بدأت أدقق النظر وأتخيل أنني في تلك المتاهة وسأخرج منها، لذا الهيت نفسي بمتاهة سقف الغرفة محاولة أن أخرج الشخص المحبوس بخيالي من الضياع، لقد انسجمت لدرجة أنني لم أشعر بالباب الذي قرع مرات عديدة، حتى سمعت صوت نحنحة قوي، رفعت رأسي وقد كان لوغان.. عدلت جلستي وأنا أسمح له بالتفضل، كان يزعجني سماع صوت حوافره تضرب الأرض.

كان يقف، وتساءلت كيف يجلس عندما يشعر بالتعب؟

أبعدت هذه الخاطرة من بالي، وقلت وأنا أحدق به بحدة:

لوغان.. أتريد أن تعرف أكثر شيء أكرهه؟

لم يجب، ونظر إلي لأكمل:

الكذب! أكره الكذب لدرجة لا تتصورها.

نظر ليمينه وهو يقول:

لا أظن أنك استدعيتني لأجل هذا.

– أحسنت الملاحظة.. لم استدعك لأجل هذا! أنا طلبت حضورك لأجل الحقيقة لا غيرها، أريد أن أعرف ما هو دافعك الحقيقي؟

ابتسم بثقة لأبادله نفس الإبتسامة، والتي تعني أني كاشفة أمرك، لذا لا داعي للتحايل علي، أشبك ذراعيه لصدره وبقي صامتًا لفترة ثم:

أتريدين أن تعرفي ما هو أكثر شيء أمقته؟

حركت رأسي له كي يكمل:

الخداع! أكرهه لدرجة أنني قد أقتل نفسي لو قمت بخداع نفسي.. الأشياء التي لا أحبها في الناس لا أحب أن أتحلى بها!

– لوغان، ما هو مبتغاك؟ أخبرني وستجدني خير منصت.

***

قبل تأسيس مملكة أورورا، وقبل مجيء الملكة الأم، كانت هناك حرب طاحنة بين القناطير والمينوتور.. كلاهما مخلوقان وحشيان يعيشان لأجل سفك الدماء، ولقرب أراضيهما من بعض، كانت القناطير تتسلط دومًا على المينوتور واقتحام متاهاتها والاقتتال فيها، ويصل الأمر أحيانًا لمعارك استنزاف!

كان عدد المينوتور يتناقص يومًا بعد يوم، حتى أوشكت على الانقراض، مما دعا زعيمهم إيرل للتراجع وسحب أتباعه وتجاهل الاشتباك مع القناطير التي قد علمت مسبقًا عن تناقص واقتراب خصومها من الانقراض.

أصبحت تبحث عن مخلوق أشد قوة وأكثر كفاءة للاقتتال معه، وكانت أعينهم صوب المحاربين الضخام الذين يفوقونهم حجمًا! معركة تنتهي قبل أن تبدأ لصالح المحاربين الضخام.. تكبد القناطير العديد من الخسائر، لولا أن انسحبوا لكانوا مجرد مخلوقات أسطورية تتلى على الألسن كعبرة من العبر.

لاحظت المينوتور تناقص أعداد العدو، وحينها قامت حمية من نوع غريب، وكانت أشبه بالمثل المضروب

"كلبي أضربه ولا أقبل أن يضربه أحد"!

توحدت صفوف الاثنين، وعادا كنوع من الثأر من المحاربين الضخام، واستعانت القناطير بمتاهات المينوتور لإرباك المحاربين

الضخام، وقد استمرت معركة طاحنة فاز فيها المحاربون الضخام مرة أخرى لينسحب الاثنان وقد تكبدوا أضعاف الخسائر، ولكن كان الأمر أن فازوا بحلفاء جدد، وانطفأ فتيل الحرب المستمرة بينهم، وبعد سنوات ظهرت الملكة الأم.. إيفروناس، والتي قد بدأت بتأسيس مملكتها وتوحيد صفوف المخلوقات الخمسة عشر الأسطورية، ولكن بانضمام المينوتور للقناطير فقد اعتبروا أنفسهم يدًا واحدة، وبسبب كثرة القناطير، فقد أصبحت المخلوقات المتحالفة تحت مسمى القناطير وحسب، ولم يعد هناك مسمى للمينوتور كمخلوق مستقل لتضم حينها الملكة أربعة عشر مخلوقًا لها.

العنقاء، السفينيكس، السيربيروس، مصاصي الدماء، المحاربين الضخام، الملائكة المجنحة، القناطير، الغريفون، نساء الثعابين، الأقزام، الساحرات، المستذئبين، الشياطين، وأخيرًا الأوني!

قامت بفصل كل مخلوق بأرض تخصه، لا يعتدي أحد على آخر، وإلا واجهوا عقوبة الموت!

مع مرور السنين، بعد انتقال الخلافة الجديدة للوغان، وبعد تولي الملك ماكسيم للمُلك وضم إيلفين لصفه.. كان قد التقى بالقناطير والمينوتور، وقد تعامل مع القناطير وكانت هناك علاقة تجمعه بهم، اقترح إيلفين إجراء تجربة على القناطير لتحسين نسلهم والمحافظة على استمراره. رفض لوغان ذلك قطعًا، ولكن بإستمرار محاولات إيلفين

وإصراره وإقناعه لزعيم المينوتور بتحسين قواهم ورفعهم لمستوى آخر.. كانت بداية لانقلاب المخلوقين على بعضهما مما لم يترك خيارًا للوغان سوى القبول برغبتهم تفاديا لحل الاتحاد بينهما والانفصال.

لكن.. كان لإيلفين خبايا أخرى، قام بالإنهاء على نسل المينوتور أجمع واستخلاص سائل منهم، لم يكن ليجعله خالدًا تمامًا كما توقع، فقد باءت تجربته بالفشل، ولكن سيحافظ المستخلص الذي صنعه على حياته لأطول فترة ممكنة.

متوسط عمر البشر بإيرفوردن ويلت 150 عامًا، وإيلفين يثق تمامًا بأنه سيتجاوز هذا العمر.

وإن كان عمر فيرا الآن هو 148 عامًا، فيجدر على إيلفين أن يكون مغاربًا لها، وأن يكون أيضًا على مشارف الموت! وحينما يكون الإنسان على مقربة من الموت فسيقوم بإفراغ ما بجعبته من خطط.. وهذا يفسر سبب هدوء إيلفين وعدم مواجهته المباشرة لنسل العائلة المالكة، فهو قد خطط مسبقًا لاغتيالهم الواحد تلو الآخر، وبعد بقاء العرش شاغرًا سيستولي عليه، وحينها سيكون لديه حياة طويلة ليعيشها، لذا فهو لا يعجل في أمره.

قد يعيش هذا البلوة لمدة تزيد حتى عن ألف سنة بسبب احتفاظه بكم هائل من مستخلصات المينوتور.

بعد هذه الحادثة، تلتها حادثة انقسام القارات وخيانة الملك، والأمر..

لوغان يضع إيلفين نصب عينيه، ولم يستطع الوصول إليه طوال هذه السنين، وحتى لو فعل فأي خطوة ضده تعتبر تهورًا، وقد تهوي به وبمخلوقات القناطير وتكون خاتمتها كحلفائها.

والسبيل الوحيد للانتقام من إيلفين هو نحن، برفقة الكائنات الأخرى، فسيكرس لوغان نفسه لأجل ذلك!

أنهى لوغان حديثه، وقد أصبح سبب انضمامه لنا منطقيًا ويعقل تصديقه، انضمامه ما هو إلا وسيلة للتقدم خطوة للأمام.. نحن الجسر الذي سيعبره.

لكن! هنا جميعنا جسور لبعضنا البعض، سنترابط كسلسلة فولاذية لا يمكن كسرها، ومن ينضم لهذه السلسلة لن يتمكن من الإفلات منها أبدًا! كان مدركًا لهذه الحقيقة، وهذا أمر جيد.

بقيت أنظر لأرجاء الغرفة ليقول بإبتسامة ونبرة حزينة وهو ينظر للمتاهات المرسومة بكل شبر:

هذا ذكرى من رفاقنا، ويجب أن نخلدها ونحافظ عليها.

بقي يبتسم بشرود وهو ينظر للسقف، لم أقل شيئًا ولم أسأله كيف حصلوا على قوة التحكم بالمتاهات ولا القصر، اكتفيت بأن ضممت أحد أقوى المخلوقات لنا.

***

عودة العلاقات!

واحدة من أهم انتصاراتي أن علاقاتي ببياتريس عادت كالسابق وأفضل، خرجت في وقت سابق من غرفتي لأبحث عنها، ينتابني نحوها نفس الشعور الذي أكنه لإيديث، دخلت غرفتها وكانت تلمع عينها.. لأول مرة تبتسم عند رؤيتي!

جلست وبدأنا نتذكر أحداث المتاهة وأنا أسخر من بطء استيعابها، تذكرت التعويذة التي كانت تريد أن تتعلمها، لذا اقترحت أن ننزل للأسفل ونذهب للخارج فحينها سيتسنى لها أن تأخذ أريحيتها بالمحاولة.

كانت مميزة وسريعة التعلم، أتقنتها من أول أربع محاولات، لم تواجه صعوبة بحفظ التعويذة، ولكن الصعوبة كمنت في حركات الأصابع المتشابكة والوقت الذي يجب أن تغير أماكن الإبهام والسبابة والخنصر، لكن مع ذلك أبهرتني بسرعة فهمها.. اتفقنا على أن يكون الأمر سرًا، فيما يخص التعويذة طبعًا!

وقع خطوات يقترب.. إنها أدا التي تجعد وجهها للحظات من الاستغراب، بالطبع كانت تُكَذِّب عينيها وتقول بداخلها "عفراء وبياتريس؟ مستحيل!" ولكني راقصت حاجبيَّ بإنتصار وبإبتسامة متكبرة، لم تسألني أمامها، بالكاد أكتم ضحكي على ذهولها.

@ART_OF_BOOK

بقيا مع بعضهما يتكلمان، سرعان ما انسحبت لغرفة آرثر فقد سمعت أنه تعرض للعديد من الكدمات.. كانت غرفته ملاصقة لغرفتي، قرعت الباب ليأذن لي، لقد كان يقف أمام المرآة يتفقد بطنه وظهره، فعلا إنه ملوّن بالكدمات! أصفر وأخضر وقريبًا سيصبح هناك لون أزرق على جسده.

حاول اخفاءها عني وسارع لإرتداء قميصه، ولكني سحبته وأدرته وأنا أنظر للأذى الذي تعرض له، توعدت حينها لوغان وأني سأحاسبه على فعلته هاته بعد أن نصفي الأمور لاحقًا.

نظرت نحو السرير حيث وضع سترته، بدأت أسير نحوها وأنا أستغفله.. لا زلت أريد أن أعرف ما تلك الورقة التي يخبئها عني!

أمسكت بالسترة وسرعان ما وضعت يدي بجيبها، أتى مسرعًا وهو يسحبها ضاحكًا، لقد كان يراقبني وينتظر ليكتشف ما الذي سأفعله.. قلت بتهكم:

تلك الورقة.. اليوم أو غدًا سأعرف ما بداخلها.

بدأ يغمز بطريقة مستفزة، ولكن عاجلًا أم آجلًا سأعرف ما يخبئه!

والآن لم يتبقَّ لي سوى إيديث لزيارتها، لا أعرف إن كنت توهمت حينها أم أني فعلًا رأيت يدها تنزف! كانت غرفتها بعيدة نوعًا ما وتفصل بيننا السلالم.

قرعت الباب ثلاث قرعات متباعدة، سمعت صوتها وهي تخبرني بالتفضل.

ادخلت رأسي أولًا لمحتني وابتسمت لأدخل لها، كانت تضمد يدها والأمر أنها فعلًا تأذت! سألتها عن الفاعل وكنت أنوي أن أتوعده هو الآخر، لكنها جرحت نفسها بنفسها واحتك الجدار بيدها قبل أن تتغير تشكيلة المتاهة! لكن الأمر سيان، أنا سأحاسب القناطير على هذا أيضًا لاحقًا.

طلبت مني أن أجلس على طرف السرير، بقيت تربط شعرها أمام المرآة وأنا أراقبها.. من الصعب تصديق أنها بالأربعينات! سألتها بتلك الأثناء:

سابقًا أصبح لون نصلي أسود.. ما معنى ذلك؟

نظرت لانعكاسي من المرآة وسألت:

أوه.. أهذه أول مرة تلاحظين هذا؟

أيعقل أن هناك مرة قبل هذه؟ لم أجب وبقيت أرمقها بتساؤل لتردف:

حصل عندما قابلنا التشوباكابرا لأول مرة، حينها شددت على قبضتك بقوة لينتقل مخزون الطاقة الجسدي للسيف.

تذكرت! أخبرني جود بشيء كهذا سابقًا.. مخزون الجسد السحري الذي يجعل ما نقتله يختفي على شكل دخان أسود بسبب انتقال طاقتنا للسيف المشبع بالتعاويذ.

أومأت بتفهم وأضافت تساؤلًا كان يشغلها عن قبول لوغان للانضمام لنا بهاته البساطة، أخبرتها بما دار بيننا سابقًا وعن هدفه.. الأمر بسهولة أن من يكن الكره لإيلفين فسيستخدمنا كوسيلة للنيل منه، بينما نحن نستعمل الجميع كوسائل في حقيقة الأمر، إنه مربح من ناحيتين.. الظفر بإيلفين وإعادة الحكم الشامل لنا.

قبل مغادرتي غرفتها سألتها إن كانت بحاجة لأي شيء، شكرتني لأخرج وآخذ قسطًا من الراحة.

تاليًا الغريفون! أتمنى أن تسير الأمور معها بروية، ثم.. الجدار العظيم، لي رغبة شديدة برؤيته، تمنيت لو أني عرفت سبب بنائه.

أمضيت يومي بأكمله متمددة على السرير وأطالع كتاب التعاويذ، وقد اكتشفت أمرًا، وللتحقق منه يجب أن أكون بمفردي وبمساحة شاسعة حتى أجربه.

ليلًا.. تم نداؤنا للنزول وتناول العشاء، طاولة طويلة من خشب الصنوبر، كان هناك كراسيّ لأجلنا.. لوغان وأحد القناطير يأكلون وهم واقفون بسبب بنية أجسادهم.

مرافقه أظن أنه وزيره أو يده اليمنى، ملامحه حادة وبنيته الضخمة تميل لسيده.

تدين على المائدة ماكولات بحرية، استغربت من أين أتت! أصناف من اللحم.. بدأت أستفسر عن نوعه خوفًا من أن يكون لأحد الكائنات الغريبة التي واجهناها!

إحداها بنوع كل صنف، وقد ذكر العديد من المخلوقات التي لا أعرفها، واستوقفته عندما عرفت أن أحد الأطباق لحم بقر، مع أني لم أرَ أي بقرة هنا.

لم استطعم ما آكله، سرعان ما حولت يدي للمأكولات البحرية، تكلم لوغان سائلًا:

هل أنا اول من جمعته مأدبة مع العائلة المالكة؟

إلمار مجيبًا:

كلا.. أظن أن مصاصي الدماء حظوا بهذا أولًا

- مصاصي الدماء! هل قابلتم يورك؟

آرثر وهو يبعد شوكة الأكل عن فمه:

نعم يورك.. زعيمهم، لقد قابلناه سابقًا، إنه رجل رائع.

أمال لوغان رأسه كمن يتذكر شيئًا مهمًا ليقول ببطء:

نعم.. يورك.. مصاصي الدماء، لا زالت نقطة ضعفهم هي ضوء الشمس! ستكون مشكلة لو لجأتم إليهم بمعركة أحداثها بالنهار.

تدخلت لأبعد أي شك قد يتغلغل للجميع من كلامه:

لا تقلق من هذه الناحية، لن نواجه أي مشكلة.

هزَّ كتفيه بلا مبالاة وتابع أكله، سأله جود عن الغريفون، لم يكن لوغان ملمًّا بهم جدًّا، ومع ذلك وضع احتمالية رفضهم لعرضنا كاولوية، فهم لا يحبون الاختلاط! تجاوزنا الحديث عن الأمر، وحينها طرح سؤالًا مهمًّا:

بعد الغريفون هناك الجدار العظيم، كيف ستمرون منه؟

إلمار للوغان:

سنسلك البحر، فلا وسيلة لتجاوزه برًّا.

- وهل لديكم مراكب؟

صمت الجميع ولم يجب، لم يكن لدينا مراكب، وكنت قد فكرت بأن سنستعين بتعاويذ الإنشاء الخاصة بإلمار، ضحك لوغان من تعابير أوجهنا ليقول وهو يمسك فمه:

حسنًا.. اذهبوا للغريفون وسيسبقكم أتباعي إلى البحر وتجهيز مراكب لكم، أهذا جيد؟

فيرا بامتنان:

بل أكثر من جيد! شكرًا لك.

اتخذت صورة ضيقة عن الغريفون، لذا سألته عن اسم زعيمهم، أخبرني أنه يدعى رايفر.. لست على استعداد لمقابلة مخلوق نصفه السفلي لأسد ورأسه رأس نسر وجناح أيضًا!

الجميع هنا بأجسام مربكة للغاية، أخاف أن أجد يومًا نصفي العلوي لإنسان والسفلي لأفعى!

بالتفكير بالأمر، ففي نهاية المطاف أنا بعالم خيالي تمامًا قامت الجدة بإنشائه.

انتشر كل منا لغرفته لينام، فسنستيقظ باكرًا لإكمال رحلتنا، لقد بدأ التعب ينخر جسدي وعقلي، ما يخفف عني هو تذكر أني اكتسبت عائلة، وهي ما تجعلني أتقدم للأمام.

***

نمت لساعتين ونصف، أصبح كتاب التعاويذ مرافقي وما أقتل به مللي.. كنت قد أجدت وحفظت أغلب التعاويذ الجوية، وصلت لآخر صفحة بالفصل.. كان هذا أسهل فصل حتى الآن.

لاحظت أمرًا غريبًا! ما يلي آخر صحفة هو غلاف المجلد، لكن هذا الغلاف لم يكن فارغًا! هناك نقوش عليه وكتب كعنوان "تعويذة شفائية" لقد كانت تعويذة واحدة، لذا لم تكن تستحق فصلًا كاملًا والعديد من الصفحات، لذا نقشت آخر المجلد!

التعويذة سهلة النطق، وحركات أصابعها سهلة للغاية وتتطلب يدًا واحدة فقط للقيام بها، ضم الخنصر والبنصر وإبعادهما عن الوسطى والسبابة مع ضمهما لبعض ونطق أول سطر، ثم التقاء الإبهام وتموضعه بين الخنصر والبنصر مع ترك الإصبعين السابقين على حالهما ونطق السطر الثاني، ثم تمرير كف اليد على المنطقة المصابة وتلاوة آخر سطر، وحينها يختفي مكان الإصابة!

لا أحد مستيقظ الآن.. إيديث! بالطبع لم تنم، أريد أن أجربها على يدها لأرى مفعول التعويذة، أرجعته بجيبي وتوجهت لغرفتها.. قرعت الباب لمرات، لكن لم أحصل على إجابة. استغربت ببادئ الأمر فأنا أعرف أنها لا تنام، وحتى لو فعلت فأبسط حركة أو شعور يوقظها، فعقلها مستيقظ كما تقول دومًا!

نزلت للأسفل لأبحث عنها بالحديقة، التقيت في طريقي بإلمار.. تفاجأ برؤيتي، سألته ما الذي يفعله بهذا الوقت المتأخر؟ تحجج بعدم ملازمة النوم لعيناه، تجاهلته وأكملت طريقي، حينها نادى علي:

عفراء.. لمَ أنتِ مستيقظة؟

أخبرته بذات ما أخبرني به، حينها نظر إلي بقلق وأضاف:

فلتكوني حذرة دومًا، لا ترخي دفاعك!

أومأت له بالإيجاب لأكمل سيري إلى الخارج، أصبحت أتحكم بالظلام، لذا بإمكاني خلق لهب يطفو فوق يدي، استخدمته لكسر الظلام من حولي.

رأيت ظل أحدهم يتحرك في الظلام، تقدمت نحوه سرعان ما انتبه لي وتقدم بفزع.. قربت يدي المضيئة وقد كانت أدا!

سألتها بشك ما الذي تفعله هنا بهذا الوقت ورفقة من كانت؟ تلعثمت وهي تخبرني بحجة سخيفة مكررة "لم أشعر بالنعاس فأردت التجوال قليلًا"، نظرت إليها بحدة وأنا أسألها مرة أخرى:

أدا! ما الذي كنتِ تفعلينه بالظلام؟ ألا تخافين؟

أجابت:

لمَ قد أخاف؟ أحب الجلوس بمفردي دومًا، وأفضل وقت لذلك هو ليلًا!

بدت تتكلم بقلة صبر ولم أجادلها أكثر من ذلك، لذا سألتها مباشرة عن إيديث لتشير بغضب لخلفي على بعد قريب، حينها قلت بسخرية:

هل تشعرين بالغيرة منها؟

تجاهلتني وهي تدفع كتفي لأبتعد من الطريق، ضحكت وأنا أرفع صوتي لها:

نعم، أنا أشعر بالغيرة!

اختفت عن أنظاري، رحت أبحث عن إيديث حتى وجدتها أسفل شجرة تضم سيفها كالعادة وهي مغمضة عينيها، جلست بهدوء بقربها وقلت بهمس:

هل عقلك مستيقظ؟

ابتسمت وهي تهز رأسها، غيرت من وضعية جلوسي لأقابلها وجهًا لوجه وأمسك بيدها اليمنى المضمدة لتفتح عينيها باستغراب، بدأت بفك الضماد وبقيت تراقبني بدون أن تسألني عمَّا أفعله.. كان الجرح عميقًا نوعًا ما أرجح أن الاحتكاك الجداري كان قويًا، بدأت بنطق التعويذة بهمس وأنا أحرك راحة يدي وأصابعي، وبعد أن أنهيت مسحت على يدها برفق وبطء ليظهر توهج بنفسجي متلألئ، رفعت راحة يدي لأرى، وقد شفيت يدها تمامًا!

ذهلت وقد توسعت حدقتا عينيها وهي تسألني كيف قمت بذلك! من دهشتي الشديدة شهقت وقلت بلا وعي مني:

هل تريدين أن أعلمك؟

بدأت أهتز من الحماس، لم أعتقد بأنه سينجح! أجابت ببلاهة:

هل يمكن أن أتعلمه؟

- بالطبع يمكنك! اتبعي خطواتي واحفظي حديثي.

بدأت ألقنها التعويذة أولًا بأول وحركات الأصابع، لقد كانت تتعلم بتحمس وعيناها تلمعان، بعد أن كررت التعويذة على مسامعي وأنهيت من حركات أصابعها طلبت منها أن تجربها لاحقًا على جسد وهمي فهو مليء بالكدمات.

وافقت ولم تسألني من أين تعلمت هذا، مع أن السؤال هو ما سيتبادر إلى أي شخص أقوم أمامه بأي تعويذة.

أردتها أن تحتفظ بالتعويذة لها فقط، ولا تلقنها لأحد ولا تفصح عن أي من علمها، أكملنا بقية الليلة نتسامر وعلمتني بعضًا من أساليب السياقة والطريقة المثالية لإمساك المقبض والتلويح بضربة قاطعة.. لا أستمتع بوقتي أبدًا إلا معها.

بزغ الفجر ونحن تحت تلك الشجرة حتى دلفنا للداخل، كانت فيرا باستقبالنا وقد جهزت حقيبتها وهي تحمل كتابها المرافق ليدها دائمًا.. كانت القناطير بالداخل تعد لنا الإفطار، لم تكن لنا نية بالبقاء، ولكن إصرار لوغان فاق أي شيء.

قام بشرح بعض الأمور لفيرا على المأدبة، وهو يخبرها أي طريق يجدر بها أن تسلكه لتجد المركب رفقة أتباعه بانتظارنا.

***

إلى أرض الغريفون!

كانت الطريق طويلة، ولنصل بوقت معقول يجب علينا ألا نتوقف، امتطينا القناطير التي كانت برفقتنا والتي ستنفصل عنا بمنتصف الطريق لتكمل نحو البحر وتجهز المراكب.. بعدما توسطت الشمس كبد السماء انفصلنا عنهم ليكملوا بطريق مختلف عن طريقنا.

تجاوزنا منطقة شبه صحراوية تشبه الحدود الفاصلة بين مصاصي الدماء والمحاربين الضخام بقارة زندو، لكن الحر مختلف عن ذلك المكان الاستثنائي!

حسب قول فيرا، فنحن سنرى الجدار العظيم من بعيد بسبب ارتفاعه! سنراه ملامسًا للسحاب.. تذكرت حينها أمرًا، ألا يجب ان تكون السماء بلون واحد؟ ففي قارة زندو كانت خضراء مصفرة، ولكنها هنا صفراء باهتة! ما سبب هذا التغير؟

فيرا وهي تنظر عاليًا:

لا أعرف، ولكنها أصبحت هكذا بعد الانقسام ولكن الفرق ليس جديرًا بالذكر.

وطئنا ربوة مزهرة بورود زرقاء على مد البصر، إنها أزهار القرنفل الزرقاء، لم أرد أن أمر من هذه الطريق وأدوس على زرعها الخاطف للبصر، لكن لم يكن هناك خيار سوى ذلك، رأيت روي ينحني ويقطف إحدى الأزهار الزرقاء، رفع بصره نحوي ولكن تظاهرت بأني لم أره،

تقدم نحوي بينما أسير بخطوات متسارعة لأتجاهله، ليمسك بي من معصمي وهو يمدها إلي، نظرت إليها بازدراء مصطنع ليقول بإبتسامة:

هل تعرفين ما دلالة الورود الزرقاء؟

وضعتها بجيب سترتي وأنا أقول بإستحياء:

لا

@ART_OF_BOOK

إلمار يحاول السيطرة على آرثر كي لا يتدخل، فتدخله سيعتبر مجرد عرقلة للثلاثة.. بدأ الملثمون يسقطون الواحد تلو الآخر، فمنجل جود يسقط ثلاثة بضربة واحدة بينما فيرا تستهدف المناطق الحيوية بسيفها، أما إيديث.. فهذه المرأة لا تجيد التفاهم أبدًا! تقطع الرقاب وحسب، ويصعب أحيانًا تتبعها بالعين لسرعتها.

لا عجب أنها أحد أقوى الجنود!

لاحظت أمرًا، هؤلاء الملثمين بنيتهم أكبر من بنية من هم قبلهم! قمصانهم قصيرة وأياديهم عارية تكشف عن الكثير من الوشوم الغريبة.

سقط أغلبهم صرعى، وأبقت إيديث على واحد كما فعلت سابقًا، وقامت بقطع ذراعه لتنفصل على جسده منزلقة أرضًا ويبدأ بالصراخ بصورة غير طبيعية.. وضعت رجلها بفمه وهي تخبره بأن يخرس وإلا ألحقتها باليد الأخرى، إيديث بلكنة مخيفة:

سأطرح الأسئلة وستجيب بإجابة مختصرة.. أنبهك بأني لا أعيد سؤالي مرتين! من أرسلك؟

أبعدت قدمها من فمه ليتمكن من الحديث، أجاب بعد أن بزق بعض الأسنان وعيناه تحقدان عليها وتدمعان من الألم:

اذهبي إلى الجحيم!

لطمت رجله ليفتح فمه صارخًا وتضع قدمها بداخله مرة أخرى موقفة صوته:

سأذهب إليه بالطبع لكن بعد أن أرسلك، أثق بأننا سنكون خير رفقة هناك.

وضعت ناصية سيفها على رقبته وغرزته بطريقة سطحية لتنهمر الدماء حتى صدره، وسألت سؤالًا مختلفًا:

انظر للجميع هنا.. هناك خائن بيننا ورفيق لكم، أشر عليه بإصبعك وحسب، ولا تعتقد بأني سأقطع رقبتك إن لم تفعل، فأنا أنوي أن أفقأ عينك أولًا، ولاحقًا أقطع أذنًا واحدة، وأترك الأخرى لتسمع بها أسئلتي.. هناك الكثير من اللحم بجسدك يصلح للتقطيع!

بدأ الرعب يدب به ويؤبؤا عينيه يتحركان بسرعة بإتجاهات عشوائية، فجميعنا ندرك أنها لا تمزح وقد تنفذ كلامها بحذافيره! سحبت قدمها من فمه ليسعل دمًا، ووقفت خلف رأسه وهي تشد شعره وترفع رأسه لينظر للجميع، حركت رأسه يمينًا ليقابل فيرا، نظر إليها مطولا ثم هزَّ رأسه نافيًا وهو يبكي.. حينها شعرت بصدمة وغضب يعترياني! كيف؟ عاينتها وقد ابتسمت لي بخبث.

أعدت بصري نحوه مرة أخرى وقد حركت رأسه لجود، أومأ رافضًا مرة أخرى.. نظر لإلمار الواقف بجانب آرثر ثم أشار بإصبعه نحوه!

ونطق جملة متقطعة:

هذا.. هو.. الخا.. ئن!

لم يحرك إلمار قيد أنملة بينما غضبت إيديث من هذا الاتهام الباطل، ولكن لم تقل شيئًا، هنا تدخل جود:

الجواب خاطئ! حاول مرة أخرى، فقد قام رفيقكم آخر مرة بالإشارة نحو سموها.

لقد كان يقصدني، جميعنا نعلم أن إلمار يستحيل أن يكون الخائن.. بدأ بالأنين وشعر بسيف إيديث على رقبته وهو يغرز بقوة أشد ليرفع رأسه نحو أدا ويشير بسرعة عليها!

هلعت المرأة وهي تنظر لي بصدمة، بينما إيديث قامت بإنهاء حياة الأسير بسرعة لترفع سيفها وهي تحاول الهجوم على أدا، قامت بتغطية وجهها عندما رأت سيف إيديث يرتفع أعلى رأسها، وحينها سمعت صوت ضرب سيفين، لقد كان آرثر الذي يعترض سيف إيديث الغاضبة.

لقد جثا أرضًا بسبب الاندفاع القوي الذي سببه سيفها، نظرت إليه بجدية بينما يصك على أسنانه، فجسده لم يشفَ تمامًا من الكدمات السابقة! قال بألم يحاول إخفاءه:

لا تفعلي هذا إيديث!

وجهت نظراتها القاتلة نحو أدا المرتجفة وكلامها لآرثر:

ابتعد من فضلك.. آرثر!

رفض الابتعاد وحينها وقفت بجانبه أحاول مساعدته على النهوض وأنا آمر إيديث بإبعاد سيفها، تملكها الغضب وقد رفعت صوتها علي:

دعني مشاعرك جانبًا عفراء! هل كنتِ ستعترضين هكذا لو أن الخائن هو فيرا؟ مع الأسف نحن لا يمكننا منع الخيانة والتحكم فيها، كل ما بيدنا هو التعامل مع صدمة الخائن عند التعرف على هويته!

لقد كانت محقة.. لم أكن لأعترض لو أن الخائن هو فيرا! لسنا نحن من يختار الخائن بل هو من يختارنا، لم أقل شيئًا واكتفيت بالتصنم مكاني.. لكن آرثر دافع باستماتة عن أدا التي بقيت تنظر إلي وهي تنتظر مني الدفاع عنها، لقد خفت حينها، خفت من أن أخيب أملها وأتخلى عنها، وقتها ماذا سأكون أنا؟ إنها تتطلع لي أكثر من أخي الذي يدافع عنها، تهتم لردة فعلي أكثر من غيري، وترى أني مصدر الأمان لها، كيف لي أن أخون ثقة كهذه؟

تقدمت نحو إيديث وأنا أكلمها بجدية لم يسبق لي أن كلمتها بها:

إيديث.. أنا أثق بأدا، هي لا تفعل أمرًا كهذا! سأتحمل مسؤولية قراري، ولو تم تأكيد أنها الخائنة فحينها سأسمح لك بقطع رأسها ورأسي أيضًا!

بدأت تزفر بغضب، وقد خشيت أن يكون قراري أسوأ شيء اتخذه، وما خشيته أكثر هو أن تتخلى إيديث عني.. عنا!

بفعلي هذا سترى أني محض شخص طفولي سمح لمشاعره بالتحكم فيه، وهكذا لن تصدقني لو شككت بفيرا مرة أخرى!

ترقبت منها حديثًا كـ"إن كنتم بهذه العقلية فيؤسفني أني لن أكمل معكم" فعلًا كانت ملامحها توحي بأنها ستقول أمرًا كهذا، تحدث جود من خلفي معارضًا:

ما الذي يجعلك تثقين بمساعدتك ولا تثقين بفيرا؟

لم أجد مخرجًا من سؤاله، تنهد وأضاف:

لو كنتِ تثقين بأدا فأنا أثق بفيرا، كما لا ترضين التهم عليها فأنا أيضًا لا أرضاها على رفاقي، إما أن تثقي بنا جميعًا كما تفعلين مع أدا أو لن نكمل هذا!

صرخت عليه بغضب وقد تجمدت الدموع بعينيّ:

اللعنة، أنا أثق بكم جميعًا!

صرخ علي بدوره:

لكن لا تثقين بفيرا!

شعرت بيد تلفني للخلف لأتلقى أقوى لكمة قد ضربني بها أحد قط على بطني لأجثو أرضًا وأنا أشد بقوة عليها، لم أرَ ما حدث، ولكن رأيت

جود يسقط أرضًا وهو يمسك بوجهه، ويبدو أنه قد أخذ نصيبه أيضًا!

رفعت رأسي ببطء، لقد كان المار!

بالكاد سمعته وهو يوبخنا:

إن كنتم ستتقلبون على أنفسكم منذ الآن، فلا داعي لمقابلة إيلفين ولتعد أدراجنا إذًا! سحقًا، إنكم تسهلون الأمر عليه، أقترح أن نعود وحسب، فلننسحب.

لم يتحرك أحد أو ينبس ببنت شفة بحضوره، لمحته بعيون دامعة.. روي وهو يلكم المار، وأرجح أنه سمح له بلكمه وكأنه يأذن له بمعاقبته على ما فعل بي.

تراجع خطوتين للخلف إثر الضربة، حينها اقترب روي نحوي وهو يمسك بكتفيَّ برفق ويحاول جعلي أنهض، شعرت بأني سأتقيأ كل ما تناولته على الإفطار.

بدأت ألهث بصعوبة، لا أريد أن تصل الأمور لهذا الحد، بعد أن قطعنا شوطًا طويلًا يحصل هذا أمام عيني، قد ينسحب الجميع ويعودوا أدراجهم!

أنا لم أحقق شيئًا البتة، سمحت لدموعي بالنزول بينما أغطي وجهي براحتي يدي.. لا أريد أن يراني أحد بهذا المظهر المهزوم، سمعت جود وهو يخبر المار بأنه لن يكمل معنا ما لم أغير من نظرتي لهم وأثق بهم بدون استثناء، نشب شجار كلامي بينه وبين آرثر، ولو استمر الأمر أكثر وطال

فحينها سينسحب جود وفيرا وإلمار وأخته أيضًا! حاولت قدر المستطاع أن أنهض بعد أن شلَّتني لكمة إلمار.. ساعدتني بياتريس على النهوض، وحينها صمت الجميع.

وضعت يدي حول عنق روي ليساعدني على استعادة توازني وبدأن بالتقدم نحو الأمام بدون كلمة، من أراد أن يتبعني فليفعل، ومن أراد الانسحاب فأنا لن اجبره على المضي قدمًا، فالأمر ميؤوس منه، رؤية الكبار وهم يتصرفون كالأطفال، أمشي بصعوبة وعضلات بطني تعتصر وتوقظ ألمًا فظيعًا فيَّ، لم أستدر لأرى من يتبعني، فقط أكملت السير بمساعدة روي.. أمسكت بياتريس بيدي وهي تسير بمحاذاتي بصمت، لم أشعر بأحد يسير خلفي، تبادر لذهني أني قد خذلت منهم بعد أن عوَّلت على معظمهم.

بطني.. تسارعت وتيرة تنفسي من الألم وأفلتُّ بتعب يدي الاثنين اللذين يسنداني لأسقط أرضًا على ركبتيَّ ورأسي يلامس الأرض ألف يديَّ حول بطني، سارعت إيديث نحوي وأرجح أنها كانت على وشك استخدام تعويذة الشفاء، ولكني دفعتها بيدي وحرارتي ترتفع، وأحاول قدر الإمكان ألا أفقد الوعي، إلمار الوغد! لقد أفرغ طاقة جسده بلكمته وهذا سبب عجزي عن تحملها.

شعرت إيديث بالاستياء من نفوري منها وقد بدا عليها أنها تلوم نفسها، أعطيت يدي لروي كي يساعدني على الوقوف، لم أنظر خلفي.. سرت بشق الأنفس للأمام، اقترح أن يحملني لكني رفضت رفضًا قاطعًا!

لم أشفِ نفسي من الألم فقد أردت أن أشعر به وأتذكره دومًا، يجب أن يكون هذا وصمة خذلانهم لي.. بصراحة أريد من أحد أن يحملني ولا يكون روي، لأن جر قدميَّ هكذا سيعييني أكثر.

اعترض آرثر طريقنا وانحنى أمامي، لم أقل شيئًا ولكنه قال بنبرة جادة:

اصعدي على ظهري!

لم أستغرب طلبه إنما استبعدته، ولاحظ ذلك مني، أضاف كي يقنعني بروية:

لا تتظاهري بالإحراج! لست الوحيدة القادرة على حمل الجميع، لقد كبرت وحان الوقت لسداد ديني.

أيعقل أن أخته كانت تحمله على ظهرها بطفولتها؟ أمر بديهي بين الإخوة، لم تكن لدي القدرة على المقاومة، لذا استغلت بياتريس ذلك وقامت بإحنائي له حتى وضعت رأسي على مخرج صدره وذقني على ترقوته، وقف وسار بي للأمام وسمعته يخرج هواء خفيفًا كأنه ضحك بهدوء.

أغمضت عيني من الإرهاق وبدأ يتكلم:

هل تذكرين عندما حملتني على ظهرك وأنتِ تركضين بي نحو بيرل؟

لم يكن لي قدرة على الحديث، ويتعب شديد أجبت:

ماذا حدث حينها؟

- طبعًا أسقطتني وقتها، أقسمت بأني لن أسمح لك بحملي مرة أخرى.

- حقًّا؟ أظن أني تعثرت.

- أعرف، أعتذر لأن والدي عاقبك بسببي.. هل بدأتِ بكرهي منذ تلك اللحظة؟

لم أفهم لماذا يقول أمرا كهذا، فقط تجاوز عن الأمر فهو سوء فهم بالتأكيد.. لقد كانا طفلين، هذا الفتى لا ينسى مطلقًا، كان شديد التعلق فلم يجازى سوى بالخذلان من أخته حتى سثم! قلت بهمس وأنا أحارب وعيي كي لا أفقده قبل أن أقول جملتي:

أنتَ أخي الصغير.. صغيري، أنا لا أكرهك أيها.. الأشقر.. البشع...

ثم لم أعد أرى سوى الظلام.

***

فتحت عيني بتمهل، ظلام وحسيس نار بالقرب، شعرت بيد تلمس جبيني. لقد كان روي وهو يطمئن علي.

تذكرت ما حدث سابقًا لأنهض بسرعة وأنظر لما حولي، إنه الليل! لقد طال فقداني لوعيي، ظننت أني نمت لدقائق قليلة.

كان على يميني روي وقبالتي آرثر، يساري أدا وبياتريس، على بعد ما كان البقية جالسين وقد شبوا نارهم الخاصة بعيدًا عنا.. انتبهت إيديث لي لتنهض آتية لي ويتبعه بقيتهم ولكن.. كأنهم لم يعبأوا بي، تجاهلت إيديث القادمة وبدأت أتفقد ملابسي وسيفي وأمسك برأسي بطريقة أوحي بها لإيديث أني لا أهتم بقدومها.

وقفت على مقربة وسألت:

هل أنتِ بخير؟

لم أجب، وأرخيت برأسي بين راحتي يدي وأنا أشد عليه أجاب آرثر بدلًا مني وأخبرها بأني بخير!

وقفت قليلًا ثم عادت لرفاقها، أمسك أخي بيدي وهو يقول لي:

لاحقًا ستتحدث بأمر مهم!

أومأت له وسألت البقية عما جرى أثناء نومي، حقًّا لم يكن الكبار ينوون المتابعة وكانوا سيعودون أدراجهم، لكن لم يفعلوا حتى يتأكدوا من أني بخير، شعرت وكأن جدرانًا متحركة تخنقني وتضمني إليها حتى

الجو بيننا متوتر، لم نلزم الصمت من قبل لمدة طويلة كما نفعل الآن.

بدأت كهوف الغريفون بالظهور أمامنا، كهف فوق كهف، مغطاة جميعها بطحالب خضراء بسبب المياه المتدفقة من جوانبها.. الضباب يملأ المكان ولا أظن أنه سينقشع بسبب أن الشمس لا تشرق بالمنطقة، الكثير من الأدراج المؤدية لمداخل تلك الكهوف، وبعضها يتوقف عند جدار عالٍ، كنا نسمع صوت تحليق الغريفون الصادر من خلف الضباب؛ اقتربنا ونحن نتجاوز جذوع الأشجار اليابسة، انتبه إلينا أحدهم من السماء ليصرخ صرخة جعلتنا نغطي آذاننا.. هرع إلينا ولكن بياتريس استخدمت ضده تلك التعويذة التي لقنتها إياها سابقًا ليفقد توازنه وتتضارب أجنحته ببعضها وينخفض أرضًا، واصلنا سيرنا بصمت تام حتى لمحنا كهفًا مختلفًا عن بقية الكهوف.. رجحت أنه كهف رايفر، لم نصعد إليه فالعديد من الغريفون تطير حوله، وقد تنقض علينا، وقفنا تحته ونحن نتنظر.. لمحنا أحدهم ليدخل مباشرة للكهف ويطيل البقاء فيه لفترة، ثم خرج وهو ينظر إلينا، طار نازلًا إلينا واقترب من آرثر وهو يقول:

فلتصعدوا للأعلى!

كان مؤشرا جيدًا لنبدأ بصعود تلك الدرجات وكأننا نصعدها لنصل لقمة المايا، وصلنا والظلام شديد الحلكة.. أوهجت نيرانًا بيدي وبدأت بالتقدم، وكلما تقدمت زاد المكان نورًا لأوقف تعويذتي.

كان بنهاية الكهف ما يشبه الغار الكبير المحفور، ضيق من الخارج ويتسع من الداخل، نظرت إلى الأسفل.. هناك قطع ذهبية على شكل أكوام، والضوء ينعكس عليها لتشع وتعمي من يطيل النظر إليها، بالجدران مرصعة بالأحجار الكريمة المبعثرة.

على أحد السلالم كان جالسًا وحجمه أكبر من غيره، ذلك كان رايفر، تقدمنا نحوه ولم تكن لي رغبة بالحديث.. سأل بصوت بارد خام:

لا تخبروني أن ما جاء بكم إلي هو نفس السبب الذي قابلتم به الملائكة المجنحة!

تبادل الجميع النظرات بينما أنا وآرثر نركز بصرنا بعينيه، أومأ له بنعم ليقول:

إذًا فلتذهبوا من هنا.. لا نية لي بالانضمام لكم.

كان واضحًا وصريحًا ولم يطل، انفعل آرثر ولم يكد يتكلم ليقاطعه رايفر:

لقد أنهيت حديثي وقلت ما بجعبتي، لا أظن بأنكم ستجبرونني على الأمر.

أحكم آرثر على قبضتيه بغضب وهو يحاول أن يبدو لبقًا معه:

لن يكون الندم خيارًا متاحًا لاحقًا!

تسحقني بأكملي! إن لم يكمل هؤلاء معنا، فما الذي سيكون بيدنا فعله بمفردنا؟ كنا بالقرب من أرض الغريفون، وبما أن الظلام قد حل فسننتظر رؤيتهم غدًا.

بعد صمت دام لفترة طويلة تكلمت بياتريس:

بصراحة... شرط جود للإكمال هو أن تتوقفي عن الشك بفيرا!

نظرت بذهول وأنا أرد بلهجة غاضبة:

جميل جدًّا، هل سأرضخ لهذه التفاهات؟ لم يدافع عنها؟ هل يحبها حبًّا رخيصًا؟

أدا وهي تربت علي:

أخفضي من صوتك، سيسمعونك!

– فليفعلوا.. سيعضون أصابع الندم لاحقًا عندما يعرفون أنها تنقل أخبارنا لإيلفين، حينها سأرى كيف سيعتذرون مني!

سيطر علي الغضب حينها، تنهدت وأنا أحاول أن أهدئ من روعي وسألت عن البقية، إلمار كان سينسحب عائدًا فقد ضاق ذرعًا من الوضع، لكنه تراجع بعد محاولات أخته وإقناعه بالبقاء.. إيديث ستكمل برفقتنا.. فيرا غير مهتمة لإدعاءاتي الباطلة نحوها لذا فهي ستكمل لأجل هدفها لا أكثر، لكن جود من يصر على ألا يكمل حتى أعتذر لها، وبالطبع

لن أعتذر لأحد! أنا سأكمل.. وجوده أو عدمه سيان، فتعاويذي ستعوض غيابه.

أمسكت لحافًا وتظاهرت بالنوم لعل الوقت يمر بسرعة ويحين الصبح، لنكمل هذه السخافة ونقابل الغريفون بسرعة، كان يفترض أن نقابل القناطير بمثل هذا الوقت، ولكن بسبب المسرحية التي حصلت سيضطرون للانتظار قليلًا بعد.

***

فجرًا.. كان البرد قارسًا، لم أنم وقضيت ليلتي بأكملها بالتفكير واستراق بعض النظرات نحو إيديث التي لم تتحرك من أمام تلك النار حتى انطفأت، كانت فرصة جيدة بما أن الجميع نائم.. نهضت وبدأت بلملمة نفسي وربط حامية سيفي حول خصري وإيقاظ من هم بقربي.

لاحظتني إيديث لتبدأ بإيقاظ رفاقها، بعد أن استفاق الجميع.. كنت أشعر بعيني جود اللتين لا يشيحهما عني وكأنه بإنتظار اعتذاري، سينتظر كثيرًا فأنا لا أعتذر إن لم أخطئ!

بدأت بالتحرك، وحينها لاحظت أنه جالس ولا يريد أن يأتي برفقتنا، لم أعبأ له وأكملت تحركي دلالة على أني لن أعتذر، اقتربت منه فيرا وقد كانت تحدثه بخفوت، وطال حديثها معه وهي بمعركة مع عناده حتى نهض أخيرًا، ولكن هذه المرة لم يكن بالمقدمة كما اعتاد.

- أنا مخلوق مستقل قولًا وفعلًا، لن أندم على قرار اتخذه، فكما قلت لتوك.. الندم ليس الخيار المتاح أبدًا!

قلت بتفهم:

هل هذا آخر كلام عندك؟

أجاب وهو يعدل من جلسته:

وأول كلام عندي، اذهبوا، ليس لديكم شيء عندي!

قرأت الجدية في كلامه، فهو ليس كمن سبقوه الذين كنا نصر على إقناعهم! فهو كان يعلم مسبقًا قبل مجيئنا ما هي غايتنا، وأظن أنه حظي بمتسع من الوقت ليفكر جيدًا، ولن يتبقى له حينها سوى إعلامنا بقراره بحال وصولنا.. لقد فكر جيدًا لذا لن يتراجع!

أمسكت بذراع آرثر وأنا أسحبه للخارج، لا أريد أن أصر أكثر، فحينها سيرى شأنه يعلو علينا، إنه نوع من التلاعب يشبه الصمت العقابي، إظهار عدم رغبتك لأحد واكتفائك بدونه سيعزز رغبته بك وميله إليك.

لكن مع ذلك.. الأحداث السيئة بدأت بالانهيال علي واحدة تلو الأخرى! الشجار الذي نشب بالأمس، والآن الغريفون!

حتى أني لم آبه للأمر وكأني اكتفيت فعلًا!

كنت أرى الكثير من الأشخاص الذين يتعرضون للكثير من الصدمات والأحداث المؤلمة.. تساءلت حينها! كيف لهم مواصلة الابتسام وكأن شيئًا لم يكن؟ كيف لهم أن يكونوا بخير بعد كل شيء؟ الآن.. أنا أعرف بأنهم لم يكونوا بخير أبدًا! لقد تعودوا على إخفاء حزنهم ومشاعرهم أمام الملأ لينشروا الطمأنينة، بينما هم لا يشعرون بها البتة! الأمر لم يكن سهلًا عليهم أبدًا.. أنا أفهمهم حاليًا، لأني أعيش موقفهم!

جميعنا نمر بالمعاناة، أحيانا تكون بلا معنى، فليس كل معاناة تعني أنك ستصبح أقوى بعدها! أحيانا تكون فقط للشعور بالألم لا أكثر.. لن تجعلك قويًا ولن تكشف عن حقيقة أشخاص من حولك، فقط ليبدو أن العالم يسخر منك قائلًا "فلتعانِ ولتمت وحسب"!

خرجنا من الكهف، همست لآرثر بأن يأمر بالذهاب مباشرة للبحر فأنا لا أريد أن أتكلم.. فعل وتقدمت بنا فيرا بلا توقف، بعد أن كان هؤلاء الرفاق أشبه بعائلة أصبحوا الآن كالغرباء! لم أرد أن يؤول الأمر لهذا المطاف.

بعد ست ساعات من السير.. قالت فيرا بصوت مرتفع:

على يمينكم الجدار العظيم الذي بنته إيفروناس.

مهما رفعت رأسك فلن ترى قمته أبدًا! لقد تجاوز السحاب من طوله وقد استغربت كيف بنى الأقزام شيئًا كهذا! لا شك أنه كما يطلق عليه "جدار إيفروناس ومعجزة الأقزام"

بدأت رائحة الملوحة تدغدغ أنفي، لقد اقتربنا من البحر.

صعدنا على تلة رملية لنقابل البحر، نزلنا وكأننا نتزلج حتى وصلنا للأسفل.. كان هناك مركب كبير عليه ثلاث قناطير كانوا بإنتظارنا، تقدم إبرهم حجيًا بتلهف:

لم تأخرتم، هل أضعتم الطريق؟

فيرا وهي تمر على خشبة المركب:

هل كل شيء جاهز؟

أومأ بنعم، كانت تقلب بكتابها الذي لا تضعه من يدها إلا عند النوم أو المبارزة أحيانًا.. أظن أن معلومات الطريق في طيات صفحاته، لذا تلجأ إليه كمصدر دومًا.

ركبنا جميعًا، وحينها حذرنا القنطور قائلًا:

فلتحذروا من الجو، فقد تواجهون بعض العواصف المهلكة، لذا فكروا جيدًا قبل فتح الأشرعة!

وقفت أمامه:

لا تقلق من هذه الناحية، سأحرص على ألا يصيبنا مكروه.

بفضل التعاويذ الجوية التي تعلمتها سأتكمن من السيطرة على المناخ والسماء والبحر والهواء، لكن! هناك أمر، وهو أني لا أريد أن أكشف عن أوراقي جميعها، كي لا يتسنى لأحد توخي الحذر مني ومن تعاويذي،

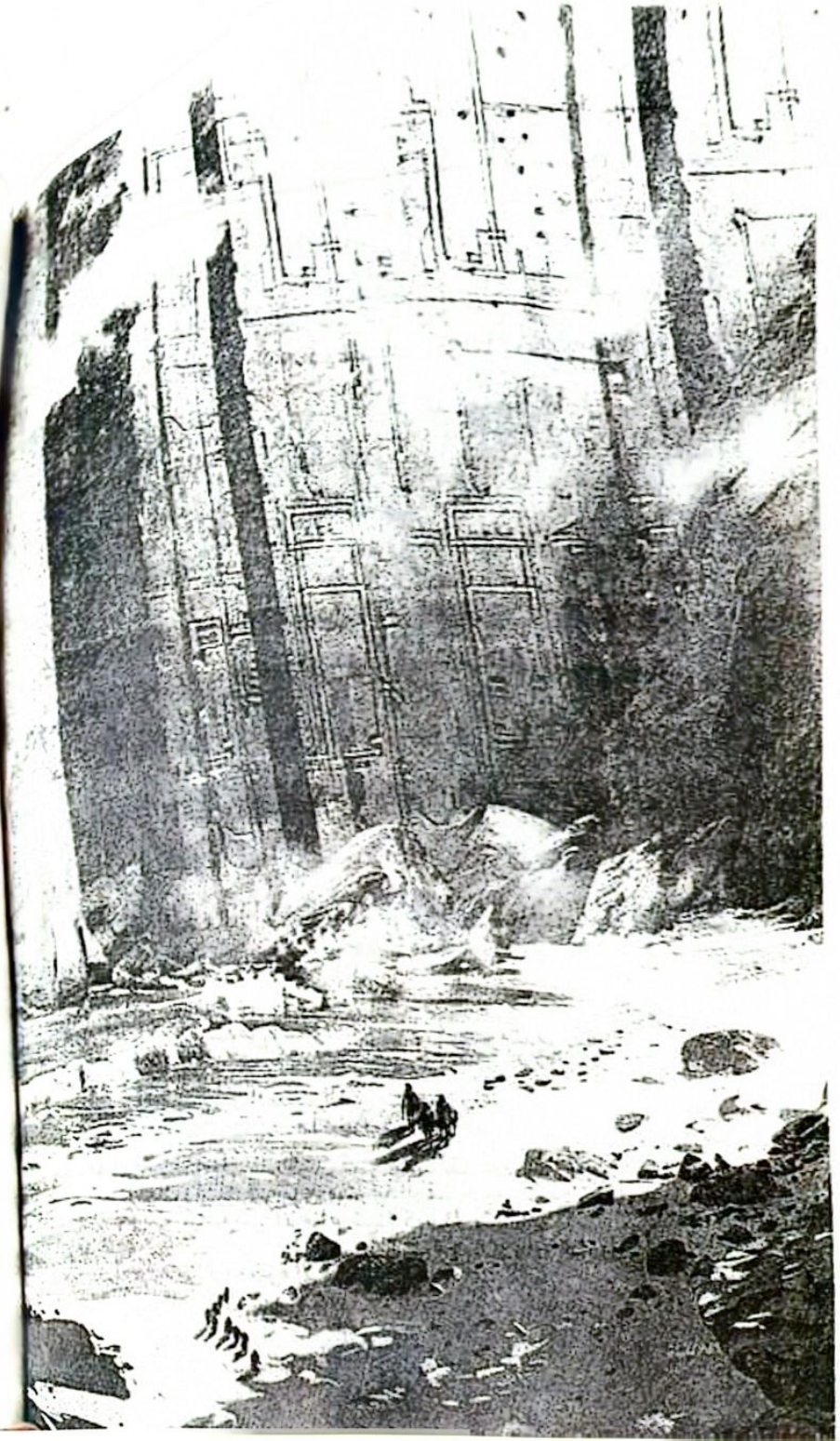

ونقطة ثانية! أريد من الكبار أن يعرفوا أن من يرافقونهم ليسوا بالضعاف، لذا سيقومون بإبهارهم بتعاويذهم، والتي بالأصل تعلموها مني سابقًا، كانت بياتريس قد أذهلتهم بتعويذة عاصفة الغبار التي استخدمتها ضد الغريفون، والآن سأسحب روي جانبًا وأقوم بتلقينه تعويذة جوية ليتحكم بأمواج البحر، ثم أعلم آرثر تعويذة الهواء ليستطيع توجيهه بأي اتجاه يشاؤه، سيعرفون أنهم لن يكتملوا إلا بنا، فنحن كقطع لعبة التركيب، غياب قطعة يعني انهيار البقية!

تولت فيرا الملاحة، بينما جلس كل واحد بعيدًا عن الآخر ينظر للآخر كأنه عدو، أو كزوجة تتحمل زوجها لأجل الأطفال، نحن هنا لأجل الإطاحة بإيلفين، ولهذا علينا تحمل بعضنا البعض حتى ننفذ هدفنا.

لمحت روي وهو يحاول الاقتراب زحفًا لكي يجلس بقربي، لذا بدأت بالزحف نحوه بطريقة لا يلاحظها حتى أصبح قريبًا، رفعت رأسي له وابتسم بعفة.. قلت مباشرة بدون أن يسمعنا أحد:

روي، أريد تعليمك شيئًا!

استغرب للحظة، ولكنه استمع لي باهتمام بالغ مركزًا بكل كلمة أقولها، أمسكت بيديه وأنا أحرك أصابعه وأذكره بالتركيز جيدًا، فهي صعبة قليلًا بما أنك ستوجه الموج كما تحب، كان يفقد تركيزه وأقوم بطرق جبينه كي لا يشرد، بعد نصف ساعة من المحاولة جرب نطق التعويذة

وتأكدت من حركات يده وأصابعه وكان الأمر يسير على نحو جيد، أخبرته بأن يستخدمها بالوقت المناسب ويحافظ على سريتها ومصدرها!

سألني:

لم يُتح لك الوقت لتعلم التعاويذ، فأنتِ منهمكة بالعمل وشؤون المملكة طوال الوقت، إذًا كيف؟

أسندت رأسي على حافة المركب وأجبت:

كنت أطلع على بعضها قبل أن أنام، فذلك وقت فراغي الوحيد.

استأذنته للذهاب والجلوس بجانب آرثر، وقبل قيامي نطق بسؤال محفوف بالترجي:

هل بإمكانك العودة والجلوس هنا لاحقًا؟

نظرت لوجهه مطولًا، هذا الشخص صادق جدًا على الرغم من الانطباع الخاطئ الذي تظهره ملامحه والتي تدل على الغضب والشر، إلا أنه ليس كذلك مطلقًا! لا ينظر لي بغضب، تتغير ملامحه أثناء تعامله معي، أومأت له بهدوء بأني سأفعل.

كان آرثر بآخر المركب جالسًا ومرفقه مسند على ركبته وينظر للورقة التي كان يخبئها بجيبه، سرت على أطراف أصابعي ببطء وهدوء، ولكن مع ذلك انتبه لي! قام بطيها وهو يبتسم بنصر وأعادها لجيبه، ابتسمت له بدوري وأنا أهز رأسي تعبيرًا عن "انتظر وحسب، سأعرف ما بداخلها"

جلست، تشاركنا مشاهدة الأفق، الجو معتدل والريح الخفيفة تعبث بشعرنا.. الموج يلمع من بعيد ومنظره يبعث الراحة.

حسب معرفتي السحر ينقسم لدرجتين، سحر من الدرجة الثانية وهو بسيط للغاية ولا يتعدى الاستخدامات اليومية أو إيقاظ شعلة خفيفة وإنشاء كرة مائية.

السحر من الدرجة الأولى وهو ما يتعلمه الملك وحاشيته، واستخداماته متعددة وفتاكة وشاملة، أيضًا بسبب القدرة الإنشائية الاستثنائية التي يتميز بها، وأعرف أن آرثر يجيد سحر الدرجة الثانية الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

لا أعرف إن كان سيواجه صعوبة بتلقي أصعب تعويذة في التعاويذ الجوية، وهي التحكم بالرياح! غيرت من وضعية جلوسي وقعدت أمامه وجهًا لوجه، وأثرت الموضوع أمامه وأخبرته عن رغبتي بتعليمه تعويذة سيستخدمها في الوقت الذي يراه مناسبًا.

استغرب أكثر من غيره، فهو يعرف تمامًا أني لا أجد الوقت فعلًا للتعلم، ولكن كلمته بلهجة حادة ليغير الموضوع، فأنا لا أريد خوض هذا النقاش، أمسكت بكلا كفيه وأنا أتلو عليه ويعيد من بعدي، وأحرك أصابعه وأشبكها ببعضها وأتلو مجددًا، وعلى هذه الحال حتى تعلمها.. إنه مثل بياتريس سريع التعلم والبديهة، أراد أن يجرب ولكني منعته، ومع إصراره استسلمت ولكن نبهته بشرط ألا يُسيِّرها بقوة!

بلا بتلاوة التعويذة والقيام بالحركات التي علمته، وبعدها

أشار بإصبعه من اليمين حتى اليسار حيث أجلس وتحديدًا بوجهي، حينها.. شعرت بهواء بارد حرَّك شعري وجعلني أغمض عينيّ.

لقد نجح! أشحت بيده عن وجهي ولكنه بقي يوجهها نحوي ضاحكًا حتى غطيت وجهي براحة يدي.

إنه يجيد التحكم بقوة تيارها، وهذا أمر مدهش.

جلست قليلًا برفقته ونحن نتكلم عن الغريفون، وأبدى انزعاجه منهم، لكن كنت على ثقة بأنهم سيفكرون بالأمر بما أننا لم نصر عليهم، ولكن أتذكر فجأة قول لوغان بأنهم كائنات لا تحب الاختلاط، علي المراهنة على حقيقة هذا وعلى فعلي أمامهم.

تذكرت حينها بأنه أراد أن يخبرني بوقت سابق شيئًا ما، لذا استفسرت عما كان سيقوله، تبدلت ملامح وجهه وعدل جلسته وهو يقول:

نعم! أردت إخبارك بأني عرفت هوية الخائن.

تسارعت دقات قلبي من التوتر، وسألته بلهفة:

من؟ أهي فيرا؟ أليس كذلك؟

مزعج، فقط الهدوء والرياح الخفيفة، وجو معتدل مريح، وأمواج تتسابق للطم المركب تجعلك وكأنك تريد القفز والسباحة.

تكلم روي كاسرًا الصمت:

إيديث لا تبعد عينيها عنك.

همهمت لينظر أمامه مكملًا:

لا أعتقد أنه من المناسب أن تبقيا هكذا! تحدثي معها.

زفرت وقد أنهكني التفكير، حتى أنا لا أريد أن نبقى على هذه الحال، أريد منها أن تبادر وتكلمني أولًا لقد قام شقيقها بلكمي ولم تحرك ساكنًا! وأيضًا قالت بعض الكلام الجارح، حتى لو كان واقعيًّا، لم يكن يجدر أن توجهه لي بهذه القسوة.

لاحظ الانزعاج على وجهي، وحينها.. ألقى بذراعه اليمنى حول رقبتي وسحبني برفق ويده اليسرى يشد بها على يدي، أرخى برأسه حتى شعرت بثقله على رأسي، بالرغم من الاستياء الذي أشعر به إلا أني لم أنطق بكلمة، حينها تنهد وقال بلطف:

عفراء، أظن أنك تنتظرين من إيديث المبادرة بالحديث معك أولًا، أليس كذلك؟

همهمت مرة أخرى بنعم، أضاف:

هل ستنهي حياتنا بالانتظار؟ أريدك أن تعرفي أن ما تنتظرينه هو أسوأ شيء يمكن لنا ترقب حصوله مستقبلًا! المبادرة.. إنها ليست بالشيء الصعب، كل ما في الأمر أننا نعطيها حجمًا لا تستحقه، انظري إلي.. لو التفت وقتي بانتظار خطوتك الأولى نحوي، فحينها سأشيب وأنا أفعل!

ضحك ليضحك بدوره مضيفًا:

لا تنكري أني الطرف المبادر دومًا، أنا بخير ولم أمت لأني فعلت.. لذا لن تتبخري بالهواء لو تكلمتِ مع إيديث أولًا، أنا أقول هذا فقط لأني اعرف بأن عفراء لا تحب الندم، وأنا لا أريد أن أراك نادمة على شيء!

أخذت حديثه على محمل الجد، إنه محق!

هناك الكثير من الأشياء التي لا تستحق التضخيم فنكرس أنفسنا لها بينما نهمل لحظات مهمة يفترض بنا استغلالها لكي لا نعيش بندم.

نظرت خلفي، كانت تراقبني، ولكن أشاحت بنظرها عندما التقت أعيننا.

بقيت أتحين الوقت المناسب حتى أذهب وأكلمها مع أني استصعبته، لذا قررت أني سأمر بجانبها وكأنها صدفة، وإن نادتني فحينها لن أتجاهلها.. أتمنى ألا تأخذ على صغر عقلي.

حل الظلام أبكر من المعتاد، صرخت فيرا من مقدمة المركب وهي تخبرنا باقترابنا من قارة توغال، حذرنا القناطير سابقًا من احتمالية هيجان البحر، ولكن نحن قريبون من قارة توغال ولا أرى أثرًا يدل على سوء أحوال الجو، ومن ناحية أخرى فأنا أريد من روي وآرثر أن يستعرضا التعاويذ التي علمتهما إياها!

نظرت للجميع، كلهم مشغول بأمر ما، والآخر قد أخذ قيلولة.. ابتعدت حتى مؤخرة المركب وتواريت عن الأنظار وتلوت تعويذة لأجعل الريح تضرب المركب بقوة وتليتها بتعويذة لتهيج أمواج البحر، فليفزعوا جميعًا، هذا غير مهم.

ضربت المركب ريح هوجاء، وقد فزع الجميع وتمسكوا بأي شيء قريب، حركت يدي لأزيد من قوتها لتجعل المركب يميل لأقصى اليسار.

حولت للتعويذة الثانية وكان الموج يصفع جوانب المركب حتى ارتفعت المياه إلى الأعلى متسللة لسطحه، لم أفقد توازني أو أسقط، فأنا من يلقي التعويذة وسأحظى بحصانة تامة بالرقعة التي أقف عليها فلا أتأذى مما أقوم به، ولكن لو استخدمها أحدهم ضدي فسأتضرر لا محالة!

رأيت روي وآرثر كل منهما يقف على جانب وكل ما أراه هو حركات أصابعهما، شعرت بالسعادة والإثارة لذا قمت بجعل الريح أقوى لأرى كيفية تعامل أخي مع الأمر، لقد كان يقاوم بأقصى ما يملك ليبعد الرياح عن المركب بينما أقوم بدفعها نحوه أكثر، الجميع يشاهده بانبهار لذا لم أرد

أن أفقدهم ثقتهم به، فهذا هو الملك المستقبلي وعلي السماح له بالتباهي بقوته، أما روي فقد عبثت معه كثيرًا، لذا كلما أوقف الموج هيجته أكثر من ذي قبل، ليظهر سيطرته وتحكمه به فيبهر غيره أكثر فأكثر، ما أوقفني هو إيديث التي بدأت بالبحث عني بقلق لذا أوقفت تعويذتي بسرعة، وحينها سيطر روي على الوضع.

اقتربت مني وهي تمسك بكلتا يديّ:

هل أصبتِ بمكروه؟

- لا، ماذا عنك؟ هل أنتِ بخير؟

أومأت بنعم، انتبهنا لبياتريس وهي تصفع ظهر كل من آرثر وروي بفخر وتسألهما كيف قاما بهذا.. إلمار كان منذهلًا وجود أيضًا.. لم أشعر بتلك الابتسامة الخبيثة على وجهي إلا عندما رأيت إيديث وهي ترمقني بخوف وتوتر مبتعدة خطوتين عني! تمالكت نفسي وعادت ملامح وجهي لطبيعتها، سألت بتوجس:

لمَ تبتسمين بهذه الطريقة؟

تنحنحت وتجاهلت السؤال وبقيت أراقب الجميع من بعيد.. تذكرت كلامه! أنا لا أريد العيش بندم، لذا اقتربت منها وقلت:

هل تشعرين بالاستياء مني؟

- يفترض أن يكون هذا سؤالي أنا.

أخفضت بصري وأنا أفكر لأقول بعذل:

أنا أريد أن تثقي بي فحسب.. إيديث!

- أنا أثق بك أكثر من أي أحد هنا، لكن عليك أن تضعي مشاعرك جانبًا والتفكير بمنطقية!

انزعجت، فهي غالبًا لم توضع بموقف كموقفي لذا لا يمكنها أن تفهم ما شعرت به، لذا قلت بحدة:

لو أن ذلك الملثم أصر على أن الخائن هو إلمار، هل كنتِ ستوجهين سيفك على رقبته كما فعلتِ مع أدا؟ أم لأنه شقيقك فسيكون من ال...

قاطعتني وهي جادة ولا تبتسم:

لو كان إلمار فأنا سأقتله، لو كان جودًا سأقتله ولو كانت فيرا سأقتلها! أنا لن أرحم الخائن كيفما كانت هويته، أنا لم أنسَ الملك فيكتور مطلقًا ولن أنسى اليوم الذي مات فيه أمام عينيَّ بدون أن أحرك قيد أنملة!

هذه المرأة! إنها تحمل ولاءً عجيبًا للملك، كشرت وجهي كي نغلق هذا الموضوع السلبي وقلت بسخرية:

اعتذري مني أولًا حتى أعتذر منك!

نظرت إلي بطريقة أمومية وهي تبتسم وقالت:

أنا آسفة، وأعتذر عما بدر مني.

قلت بنصر:

لا داعي للاعتذار، لقد سامحتك، لا تبكي!

وذهبت وتركتها خلفي، سمعتها تضحك وقد كتمت ضحكي، يفهم أني اشعر بالأسف أيضًا لكني أستصعب الاعتذار.

ربتُّ على كتف آرثر وأنا فخورة به، همست له بأذنه أن أحسن العمل.

أما روي فقد غمز لي بغمزة سريعة، تظاهرت بأني لم أرها لكنه يعرف أني رأيتها جيدًا.

نظر خلفي وكأنه يريد مني أن أصمت، لففت رأسي وقد كانت أدا قادمة، والظاهر أنه لا يريد أن يتكلم عن الموضوع أمام أحد سواي.

جلست بقربنا وهي تضع يدها على كتفي وتسألني عن بطني، أجبت باختصار:

إنها بخير ولا تؤلمني بعد الآن.

مسحَتْ جبينها وهي تقول:

نعم، لقد عالجتك إيديث بتعويذة ما أنتِ وآرثر الذي كان جسده مليئًا بالكدمات.

نعم صحيح، طلبت منها أن تعالج آرثر سابقًا.. نكست رأسها أرضًا وأردفت:

أنا لم أفعل شيئًا، لم أخن أحدًا! إيديث الآن لا تشيح بنظرها عني وتنتظر أصغر زلة مني.

زفر آرثر موجهًا حديثه لها:

يكفي الآن، لا تتكلمي أدا.. يكفي!

دمعت عيناها ثم كفكفت دموعها بسرعة، نظرتُ له بتأنيب على أسلوبه بالحديث معها وقلت محاولة تلطيف الجو:

لا تتكلم بأسلوب سيئ هكذا، أم أنك تريدها أن تناديك بالسيد آرثر؟

قام بفرك أسفل شعره بإحراج رافعًا حاجبيه بإبتسامة مرتبكة، إمسكت بيده ويدها وقلت:

هل تعرفان من ينتظار عودتنا؟

نظرا لي بترقب لأضيف:

بيرل! إنها الوحيدة التي تنتظر عودتنا وهي مؤمنة بنا، بصراحة أعتقد أن مزاجي الآن أفضل بتذكري لها.. لقد قالت بأنها ستنتظر، بمجرد عودتنا لنجعلها تلف بنا المكان وهي تحملنا عاليًا!

ابتسم وهو يغمض عينيه وكأنه يتذكر لحظات طفولته معها بينما أدا تشد على يدي قائلة:

سنعود لأجل بيرل!

أومأت لها بسعادة.

نظرت حولي، بياتريس متكئة على حافة المركب وهي تتأمل البحر.. إيديث مع إلمار لا يتحدثان مع بعضهما، جود يمسح منجله بمنديله، فيرا تقود السفينة، وأخيرًا روي، الجالس بمفرده وهو ينظر ناحيتنا، لا أحب رؤية أحد يجلس منبوذًا بمفرده، لذا نهضت واتجهت نحوه وجلست.

لم نتكلم وطال صمتنا، اقترح أن نقف ونشاهد البحر.. وقفت حينها وأرخيت بساعدي على طرف المركب وأنا أتأمله، لم يكن هناك أي صوت

قارة توغال

بعد ساعتين رسا المركب على قارة توغال، طلبت منا فيرا التقدم قليلًا، وحينها سننصب خيمنا لننام، فلن نتمكن من السير لبقية الليل بسبب البرودة القارصة ليلًا لمناخ القارة، لذا سنحرص على تدفئة أنفسنا تفاديًا للمرض.

تفادينا النوم بغابة أو بين الأشجار واختارت لنا أرضًا مسطحة محصورة بين جبلين كي يكفا عنا الهواء البارد، أستطيع تغيير اتجاه الهواء وجعل الجو معتدلًا، ولكني من محبي البرد والشتاء، لذا سأترك الأمر كما هو.

نصب كل منا خيمته الخاصة والبرد يلسع أجسادنا لسعًا، لقد كنت أهتز وأرتجف، ولكن ذلك لا يزعجني، فالبرد هو ما يجعلني أشعر بأني على قيد الحياة، أشعلت فيرا نارًا بالمنتصف بينما دخلت لخيمتي وارتميت على مضجعي وأنا ألف البطانية علي بقوة وأتحرك بعشوائية وسعادة مصدرة أصواتًا غريبة، ولا أقوم بهذا إلا عندما أرتمي بمكان دافئ هربًا من البرد وأتخيل أن هناك وحشًا ما عند أقدامي وأقوم بتغطيتها جيدًا باللحاف كي لا يلمسها، أذكر عندما كنت بشقتي في أيام الشتاء، كنت أقرب سريري من النافذة وأشاهد الثلج يملأ الشوارع ويكسوها برداءه الأبيض، أقوم بتشغيل أغنية The night we met.

أحب سماعها أثناء مراقبتي للجميع بالأسفل وأنا ألتمس الدفء ببطانيتي، حيث يبدو شكلي كأني طفل حديث الولادة ملفوف بقماط.

أمضيت الليل بطوله وأنا أغني أغانيَّ كنت حفظتها سابقًا، اعتقدت بأن إيديث ستدخل علي وتجلس قليلًا ولكن لا أحد غادر خيمته من قوة البرد.. لم أسحب مجلد التعاويذ فقد تعودت على قراءته وقت الفراغ، اكتفيت فقط باللحظة وبضع أغانيّ قديمة.

***

بعد سبع ساعات كنا مستعدين للإكمال ومقابلة نساء الثعابين، تذكرت توتري من القناطير يومها.. إنه مشابه له، اليوم أتمنى أن يسير الأمر على ما يرام.

تحركنا سيرًا خلف فيرا حتى وصلنا بعد مدة لغابة كثيفة الأشجار أرعبني النظر إليها، بدأت أزفر وأشهق وأنا أهدئ نفسي، بعد توغلنا أكثر للداخل بدأنا نسمع صوت هسهسة وفحيح ثعابين، رفعت رأسي أعلى الأشجار وكان هناك عدد لا يحصى من أفاعي الصنوبر! خفت أن يسقط أحدها على رأسي لذا اقتربت من درعي الواقي.. إيديث!

ستحمينني من أي مكروه طبعًا لأني جبانة في نهاية المطاف.

بدأنا بالتقدم بحذر شديد، وكلما اقتربنا كان المكان أظلم نوعًا ما، الكثير من الحبال المنسدلة كالحبال التي تظهر بكرتون ماوكلي تبدو من بعيد كثعابين.. بدأ خوفي يتزايد واستشعاري للخطر في ارتفاع، فجأة!

سمعنا صوت ضحكة نسائية، ولكن لا نعرف مصدرها بسبب الصدى الذي يتردد بالأرجاء.

حاولوا أن يتأهبوا، ولكني منعتهم من القيام بأي فعل عدائي وهجومي نحوها، أكملت الإقتراب للأمام ولا أعرف كيف شردت ولم أشعر بأن إيديث ليست خلفي! لقد كان خطأ فادحًا، شعرت بيد تلتف حول خصري وهي تسحبني وسمعت صوت فحيح ثعابين عند أذني.. إنها لمعجزة أني لم أفقد وعيي يومها.

تكلم صوت أنثوي عند أذني:

يا لشبيهة إيفروناس!

سألت بتوتر:

هل.. سبق.. ورأيتها؟

ضحكت بخبث:

لم أرها، ولكن وصفتها لي والدتي وتخيلتها على أنها تشبهك تمامًا، لذا أنت من العائلة الحاكمة، أليس كذلك؟

أردت استغلال هذه النقطة وقلت بثقة مهزوزة:

وهل يعامل أفراد العائلة المالكة هكذا؟

حينها همهمس ثعبان بقرب أذني حتى شعرت بالحرارة وقشعريرة بظهري، نظرت يميني للجميع وكانوا قد سحبوا سيوفهم نحوها، ولكن لا يستطيعون التقدم لأني رهينة عندها!

سألتها ما الذي ستفعله بي لتقول:

لم أدر ما الذي سأفعله بك، ولكن أعرف أني لن أكون لطيفة!

- هل أنتِ ميدوسا؟

نعم، لقد كانت هي! لم أتوقع بأني سأقابل زعيمة نساء الثعابين بسرعة.. يبدو أنها عابثة للغاية، لذا فهي تتجول في الغابة بمفردها وتحتك مع شعبها بكثرة وكأنها منهم.

قامت إيديث بتهديدها ولكن لم تعبأ وقامت بإرسال سرب من الثعابين ليحاصر الجميع من كل الاتجاهات وبدأت الدائرة تضيق وهم يبتعدون عن الثعابين التي لم تتوقف عن الاقبال عليهم حتى بعد غرز سيوفهم بها!

كانت يدها لا تزال تحيط بخصري وهي تقف خلفي ولم أرَ وجهها بعد، طلبت منها أن أراها ولكن الثعابين برأسها كانت تقترب من أذني لتجعلني أرتجف وأنسى كل التعاويذ التي تعلمتها.

أردت أن ألطف الجو لعلها تتركني:

ميدوسا، هل تستحمين؟

قالت بحنق:

هل تصدر مني رائحة كريهة؟

- لا، بصراحة.. تساءلت فقط عن طريقة غسلك لشعرك وأنت تمتلكين ثعابين برأسك بدلًا من الشعر!

كان غباء مني فأنا جعلت الأمور تزداد سوءًا، وحينها كنت أفكر بآخر الكلمات التي سأقولها قبل أن أموت، ولكن سمعت صرخة قوية صادرة من السماء! صرخة جعلت قريرتي مرتاحة ولا أمانع الموت، رفعت رأسي ورأيته! صديقي الذي أوفى بوعده، "سأكون بقربك عندما تكونين بخطر" على الرغم من تأخره إلا أنه أتى في نهاية المطاف، الهواء الذي تتسبب فيه أجنحته أبعدت أغصان الأشجار عن بعضها لأستطيع رؤيته بدقة، وقد شعرت بيد ميدوسا وهي ترتجف، فالعنقاء تسبب رعبًا لجميع المخلوقات دون استثناء!

صرخ نير بها غاضبًا:

أفلتيها!

حاولت أن تتكبر وهي تقول:

وإلا ماذا؟ لن تستطيع فعل شيء.

أثر وهو يحاول إرعابها:

انظري لحجمه، هذا عنقاء ملكي، وأقواهم.. سيقوم بحرق المكان بنيرانه، وقد تدربت العنقاء وأصبحت قادرة على إطلاق كرات نارية من أنوارها!

لقد كذبت سابقًا بهذا الشأن عند العالقة الضخام وأيضًا تذكرت مصيبتي، نير لا يستطيع إشعال النيران بجسده!

ميدوسا مدركة جيدًا لسوء الوضع الذي هي فيه، لذا أردت جعلها تتوتر أكثر، وخاطبت نير بأعلى صوتي:

لا تقلق نير، فقط أحرقني معها وقم بإحراق المكان.

غمزت له، ولا أعرف إن كان رآها من ذلك البعد أم لا، ولكنه قال:

سأحرق المكان بأكمله.

اقترب أكثر كتهديد، وخفنا من ألا تتراجع ميدوسا، وحينها سنقع بورطة لو اكتشفت أن نير لا يمكنه إطلاق النيران، حتى هو مرتبك ويقترب ببطء ويماطل وينتظر منها أن تتراجع، وأخيرًا! أفلتتني وهي ترفع يديها للأعلى باستسلام وكانت فرصتي لأمسك بكلتا يديها بلطف مدعية الطيبة:

لا تخافي ميدوسا نحن لا نريد إيذاء أحد، كل ما نريده هو الحديث!

سألت بترقب:

هل قابلتِ إيلفين؟

نفت أنها قابلته وفسرت لي أكثر:

لقد أرسل لي الساحرات كرسول منه، وقد عرف أن شعبي قد أصيب بداء غريب وعرض علي المساعدة.

- وما مقابل هاته المساعدة، ومنذ متى كان هذا الأمر؟

ارتخى كتفاها وهي تنظر للسماء:

لم أعرف بعد مقابل هاته المساعدة، فالأمر منذ وقت قريب.

لم أجد الوقت للتفكير، فقد سبقتني سرعة بديهة آرثر ليقول متدخلًا:

وكيف عرف أن شعبك يعاني من هذا الداء؟

صدمت، ويبدو أنها لم تفكر بهذا السؤال من قبل، وبدأت بفرك يديها مع بعض وهي تنظر أرضًا بشرود تمطط شفتيها:

أنا لا أعرف!

آرثر بلهجة حادة وغاضبة:

هذا الوغد! أراهن وأكاد أقسم أنه من تسبب بهذا المرض لكم، وحينها سيقوم بإعطائك الدواء ليكسب ولاءك ويضمك لصفه، فهو

يعرف أننا نقصده ونريد ضم المخلوقات لصفوفنا، لهذا قصدكن كونكن أقوى المخلوقات في الهجمات البعيدة المدى!

سألته كيف له أن يجزم بأمر كهذا، ولكنه سحبني من يدي جانبًا وسألني إن كنت قد شعرت بصداع ما عندما كنا بالمكان الأول، أجبت بأني لم أشعر ليخبرني بأنه شعر به، ويظن أن إيلفين قام بتلويث هوائهم بشيء ما وهو ما سيجعلهم على هذه الحال، ويعمل ببطء على نخر أجسادهم ورؤوسهم، كان متأكدًا من نظريته!

لم يكن أمامي سوى أن أثق به، خاصة أن له حدسًا قويًا لا يخطئ ولا يقول شيئًا لا يتأكد من مصداقيته، طلبت منه إخبار ميدوسا بما قال لتوه... بدأ الغضب يسيطر عليها وقد تحركت جميع الثعابين برأسها وهي تهسهس بلا توقف.

طلبت منها الهدوء، ووعدتها بأنها لن تحتاج لأي ترياق من إيلفين بعد الآن!

أمرت آرثر أن ينادي على إيديث، فهي لا تزال بأرض الثعابين غير المصابة، ذهب واستفردت بميدوسا وأخبرتها بأني سأساعدها وسأبذل جهدي لذلك، وبالمقابل أريد منها أن تعيرنا قوتها! لم تجب، فهي لم تخرج من حالة الغضب بعد.

عاد برفقة إيديث، وأخبرتها بما حصل للتو، نظرت لآرثر وطلبت منه أن يتجاوز حدود تحمله ويطلق العنان للتعويذة التي تعلمها ويوقظ ريحًا عاصفة ويغير اتجاهها نحو البحر، فالأمر - كما قال- أن الهواء ملوث، وبالتأكيد للساحرات يد في الأمر وقمن بإحدى التعاويذ ضد نساء الثعابين لينتشر المرض بينهن ويلجأن حينها لإيلفين الذي لن يقدم الدواء بسهولة.

شرحت له الأمر، وقبل أن يذهب قلت:

أريد أن أشعر بها من هنا، أريدك أن تجعلني أهتز من مكاني لقوتها!

هز رأسه وركض باتجاه الغابة، أما إيديث فطلبت منها أن تستخدم التعويذة الشفائية على من هم بالأسفل.

نزلتْ من التلة وبقيت مع ميدوسا نراقبها من الأعلى.. بعد لحظات شعرت بأوراق الشجر وهي تتحرك بالاتجاه المعاكس، من أوراق الشجر للأغصان ثم الجذوع! هبت ريح قوية شعرنا بها تسحبنا للخلف.. صرخت ميدوسا بسبب الثعابين بشعرها التي هاجت فجأة، لذا قمت بنزع سترتي وتغطية رأسها. انحنينا أرضًا ونحن نغطي أوجهنا من قوة الرياح الصرصر، بالفعل يبدو أن آرثر قد تجاوز حدود طاقته ولم يتوقف بعد.

استمرت لثلاث دقائق ثم توقفت.

رفعنا أجسادنا عن الأرض، وكانت إيديث قد شفت البعض ليهضوا وهم يتفقدون أجسادهم وتُذهل زعيمتهم من ذلك، نظرت لي بإعجاب.. ابتسمت لها لأطمئنها بأن كل شيء سيكون بخير.

نزلت للأسفل لتتفقدهم عن قرب، بتلك الأثناء عاد آرثر وقد كان أنفه ينزف، عندما رآني ابتسم، شعر بالراحة فقد ظن أنه أخفق.

أعطيته منديلًا ليمسح أنفه الذي لم يتوقف عن الرعاف، أخبرني أنه بعد أن أيقظ تلك الرياح العاصفة لاحظ أنها خضراء! لا شك أنه غاز ما، ويرجح أن الساحرات لم يستخدمن سحرهن عن بعد، فغالبًا قد أتين إلى هنا وفعلن ذلك بدون أن يلحظهن أحد.

إذًا.. الساحرات حليفات إيلفين؟

هل هن حليفاته من قبل الانفصال أم بعده؟ لا شك أن له هذه القوة!

نزلت رفقة آرثر للأسفل، ربتُّ على ظهر إيديث بامتنان

لمحاولتها شفاء الجميع.. الشكر للإله أن إصاباتهم لم تصل لحد تكون فيها مميتة، فتعاويذ الشفاء لا تصلح للإصابات الفتاكة والقاتلة.

كانت ميدوسا برفقة امرأة تمسك بيدها وهي تبكي وتمسح دموعها خلسة، اتجهنا نحوها حتى استقررنا خلفها لتلتف وهي تشكرنا على صنيعنا.. عرفتنا على من بجانبها وهي رفيقتها ووزيرتها فريدا التي أصيبت لسوء الحظ.

بدأ نير بالارتفاع عاليًا، فاليد العليا له عندما يتعلق الأمر بالجو، وخوفًا من أن تقترب منه إحدى نساء الثعابين السامة وتلدغه، أبعدت ثعابينها عن الرفاق ونظرت إلي بحقد، ولكني اعتذرت منها على اقتحام أرضها، وطلبت منها أن نحظى بحديث ولو كان قصيرًا، فقط لنعلم ما بجعبتي، وحينها ستقرر ما الذي ستفعله.

عرفتها عن نفسي، وهذه المرة لم أدخل بصلب الموضوع الذي جئت لأجله وبدأت أقص عليها بعضًا من تاريخ المملكة والعائلة المالكة، وتكلمت عن المخلوقات التي قابلناها، وحكيت قليلًا عن الحرب وسفك الدماء لمعرفتي بأن نساء الثعابين كائنات دموية جدًا، وأخيرًا عاملتها على أنها عنصر أساسي، ولن يتسنى لنا التقدم بدون مساعدتها، وستطلب ما تشاء مقابل انضمامها لنا.. شيء ما لفت انتباهي وأغضبني نوعًا ما! ملامحها تبدلت للاستياء عندما أخبرتها عن إيلفين وأني أريد الإطاحة به، لذا سألتها مباشرة وبدون أي مقدمات لماذا تبدلت ملامح وجهها للانزعاج؟

حدقت بي وأمرتني بأن أتبعها.

أخذتني معها لأرى أرضها.. حيث يعيش شعبها.

بنيانهم من ورق الأشجار وجذوعها، وعلى الرغم من ذلك فهو جميل، كانت هناك رائحة غريبة بالأرجاء، لم أستطع تمييزها ولكنها تشبه رائحة أعشاب... مهلًا، إن صح الوصف، تشبه رائحة الخلطة التي

تستعملها الجدة لأضعها على وجهي كقناع للحبوب التي تناثرت بوجهي بسبب حساسيتي للورق المقوى الأصفر!

أشارت بسبابتها وهي تحركها من اليمين إلى اليسار على شعبها لأرى كيف هي حالتهم، لقد كانوا طبيعيين جدًا، ولم أرَ أي شيء مثير للريبة.

أخذتني لمكان آخر، وكان أكبر مساحة من الأول، وهنا لاحظت الفرق فعلًا، لقد كانت الثعابين تمسك برؤوسها وتستند أرضًا شبه ميتة وقليلة الحركة، وحينها قالت ميدوسا:

هؤلاء مصابون بطاعون لا أعرف ما مصدره.. مناعتهم ضعيفة فيما يبدو.

لم أجب وبقيت أتفرج عليهم وأنا آسى على حالهم وأنينهم يرتفع لمسامعي بينما ينقلبون على بطونهم محكمي الشد على جوانب رأسهم، وبعضهم يتخذون وضعية الجنين ودموعهم تنهمر بحزن.. والآخر انتبه لسيدتهم ميدوسا ليرفعوا أياديهم نحوها بترجٍّ لتفعل أي شيء، لقد أصدرت صوت اصطكاك أسنان ببعضها وقد كانت غاضبة لعجزها!

قالت بحزن وهدوء:

أنا أنتظر كل شهر الترياق من إيلفين، فهو الوحيد الذي ساعدني ضد هذا المرض المجهول.

أدخلتنا ميدوسا لأحد الأكواخ وأغلقت الباب لنتحدث نحن الأربعة فقط، جلسنا مفترشين الأرض وكان هناك الكثير لنتكلم عنه، أعلمتها بما قال آرثر فيما يخص الهواء الأخضر وأن هذا من فعل الساحرات، كنا نعرف متى يشتد غيظها من الأفاعي التي تتحرك بعشوائية برأسها، شرعت أسألها:

الساحرات، لقد كن من حشم الملك ماكسيم سابقًا، أيعقل أنهن من ساعدن إيلفين على الانقلاب وخيانة الملك؟

نفت بحقد وقالت وهي تنظر أمامها وتتوعد الجميع بداخلها:

حسب علمي أن إيلفين قد ضم الساحرات منذ وقت ليس بالبعيد.

آرثر مكلمًا نفسه قبل أن يرفع صوته:

هكذا إذًا، إنه يعلم بتحركاتنا ويريد أن يسبقنا في ضم المخلوقات... أوه نعم ميدوسا! هل ضم غيرهن؟

- لا علم لي بهذا! ولكن قطعًا سيسعى للمخلوقات الأخرى.

مرت علينا لحظة صمت للتفكير، حينها اعتدل آرثر بجلسته موجهًا حديثه لها:

بالمناسبة.. أعرف أنه صعب نوعًا ما لكن أقترح أن تغيري مسكنك أنتِ وشعبك.

هاجت ميدوسا وثعابينها لتصرخ فيه بغضب:

لن أحرك شعرة من هنا، لو رأيت ساحرة تقترب من أرضي فستهلك شر ميتة وتعود جثتها لمن أرسلها كتحذير!

تكلمت بدون مواربة وقلت برزانة:

ميدوسا.. نحن هدفنا واحد، فلتضعي يدك بيدنا ونستعد بجدنا جميعًا، نحن بحاجة لبعضنا، فلا زرع ينبت بدون مياه.

أردتها أن تفكر بعقلانية، فهذا الجنس من المخلوقات متهور وعدواني وستفضل أن تنتقم بمفردها، وهذا لن يجدي أي نفع، فلا هي ستستفيد ولا نحن!

سمعنا صوت إيديث تنادي على آرثر، أذنت له بالذهاب ولم يبقَ بالغرفة سوى ثلاثتنا.

كانت تسند رأسها على راحة يدها وهي تفكر، سرعان ما سألتها:

لمَ كنتِ تتجولين في الغابة عند مقابلتنا لك؟ لم يبدُ أنك تحملين كل هاته الأعباء!

أمسكت برأس أحد الثعابين بشعرها وهي تربت عليه ثم أجابت:

أحب إقناع نفسي بأن كل شيء بخير، لذا أهرب للغابة وأتصرف على عكس ما أشعر به.

قلت بسخرية:

من الجيد أن العنقاء تدخل قبل أن تفتكي بي!

تكلمت فريدا بفزع:

هل هناك طيور عنقاء بالقرب؟

قمت بتهدئتها وإبعاد أي قلق قد يحيط بها، فلن تقوم العنقاء بأي شيء عدواني نحوهم.

ركزت ميدوسا فجأة، والتفتت إليّ وهي تسألني:

وأنتِ كيف تنوين مجابهة إيلفين؟ هل تعرفين أنه بمستوى آخر من القوة وحاشيته عبارة عن الساحرات اللاتي قمن بتعليم السحر للجميع؟

أومأت رأسي بأني أعلم ذلك، أمالت برأسها وهي تحاول تذكر أمر ما لتقول بروية:

أظن أظن.. أنه كان للملك ماكسيم كُتيِّب سحر صغير دوَّن فيه كل ما تعلمه وما ابتكره!

نظرت إليها غير مصدقة:

ابتكره؟ ماذا ابتكر؟

تحدثت بشك كي تبرئ نفسها من أي معلومة مغلوطة:

دوَّن السحر الذي لقنته له الساحرات، وقام بإبتكار تعاويذ جديدة بعد انفصال إيلفين عنه، وأيضًا التعويذة التي استخدمتها رفيقتكم للتو.. التعويذة الشفائية تلك، إنها من ابتكاره ولم تستطع الساحرات أن تتقنها أو تقوم بمثلها أبدًا.

إذًا ما بحوزتي قد يكون شيئًا بغاية الأهمية، في وقت سابق لاحظت أمرًا أثناء قراءتي للمجلد، وأردت تجربته بأرض واسعة بدون انتباه أحد، ولم تسنح لي الفرصة بعد!

فكرت بجدية في الأمر، إذًا ما أردت تجربته ما هو إلا تعويذة ابتكرها الملك وقام بتشفيرها حتى لا تستخدم إلا بعد تدقيق طويل لاستخراجها، بدأت بطقطقة أصابعي لتقول بخيبة أمل:

لكن الملك لم يعلم أحدًا تلك التعاويذ، سمعت أنه ورثها لابنه، ولكن تم اغتياله ولم يجد أحد ذلك المجلد.. أتمنى ألا يقع بالأيادي الخطأ، فذلك آخر ما نريده!

نظرت إليها بشرود وأنا أضع يداي على كتفيها وقلت بإنتشاء وهدوء:

إنه بحوزتي! إنه عندي وهذا آخر ما سيتمناه العدو.

عدلت جلستها ورفعت صوتها:

إذًا! هناك سر سمعته ولا أعرف صحته، بإمكان التعاويذ أن تمزج مع بعضها لتكون ذات مفعول أشد فتكًا، لكن ليست كلها تمزج، فيجب أن يكون هناك توافق بين الجمل على ما أظن؟

قالت آخر جملة بشك، أردت تجربة هذا أيضًا، مزج واحدة بأخرى وتجربة التعويذة المبتكرة والتي تم تشفيرها حتى لا تُقرَأ بسهولة.

بدأت بهزّ رأسي وأنا أتوعد الجميع، الآن بما أني أعرف أن المجلد الذي بحوزتي ليس مجرد ما تم تلقينه لماكسيم بل أيضا ما ابتكره، فأنا أثق بأنه قام بشيء يستحق أن يذكر، فكما قام عدوه بإبتكار تعويذة يقسم بها القارات فطبعًا قد قام بما هو مضاد لهجومه.

سألت ميدوسا:

إذا كان جدي ابتكر تعاويذ فتاكة، لمَ لم يستخدمها ضد إيلفين؟

بدأت بحك خدها وهي تنظر للاتجاه المعاكس قائلة:

أعتذر عن قول هذا أمامك سموك، لكن جدك كان أحمق يؤمن بالسلام، وأيضًا لقد تخلينا عنه جميعًا بعد أن أحبطناه فيما يخص إمكانية نجاح تعاويذه أو هجوم عنقائه ضد الخائن.

زفرت وأنا أستجمع صبري لتعتذر مني مباشرة، حينها دخل آرثر وهو يبشرها بأن الجميع بخير الآن.

خرجت من الكوخ مسرعة لتقابل شعبها الذي كان أشبه بجثث حية بل لحظات، اقتربت من إيديث التي كانت تنزل أذرع سترتها بعد أن بت تشمر عن يديها.. ابتسمت لها بسعادة غامرة وقد فهمت أن الأمور على ما يرام، وقد انضمت ملكة الثعابين ميدوسا لنا.

لاحظ آرثر أني أقف بجانبها وسحبني بهدوء وهو يقول بجدية لم يسبق له أن حدثني بها:

فلتبقي بعيدة عن إيديث، ويستحسن أن تكون هناك مسافة بينكما!

استغربت من كلامه، فهذا أمر لا يصدر منه، انزعجت نوعًا ما..

فهمت:

إن صحَّ لي وقت للحديث معك بمفردنا بعيدًا عن الحشود فأنا أريد إخبارك بشيء مهم.

لا زال هناك ما يخبرني به، لم تسنح له الفرصة سابقًا، فنحن إما نكون بين الحشود أو يأتي من يقاطعنا.

أرادت ميدوسا إقامة مأدبة على شرفنا، ولكن تحججت بأننا متأخرون فعلًا وسيحل الليل بعد ساعات لذا يجب علينا الإكمال لمقابلة الأقزام، اقترحت أمرًا أسعدنا:

إن كنتم فعلًا متأخرين فلما لا تعودون لقارة زابورا وتتركون أمر الأقزام علي؟ أنا أضمن لكم نتائج مرضية.

وافقت طبعًا، ولكن تدخل آرثر قائلًا بشك:

ماذا لو كان إيلفين قد سبقك إليهم؟

أجابت بكل ثقة وهي تنظر لي باستهزاء:

كما قالت أختك، نحن مخلوقات همجية وعدوانية، لكن علاقتنا جيدة مع الأقزام، فهم من قاموا ببناء البيوت البسيطة التي نسكنها هنا. لذا نتبادل الأخبار مع بعضنا، كما أنها لا تفيد إيلفين فهو يريد الأقوياء

أقتنعنا بكلامها ووكلنا إليها الأمر ونحن نضع كل ثقتنا بها ونعرف أنها لن تخوننا.. لأن الأشخاص السيئين لو تحولوا لأشخاص طيبين فهم سيكونون أنقياء لدرجة لا تعقل.

ودعناها وذهبنا عائدين أدراجنا، قبل حلول الليل سنلتف حول الجدار العظيم بزابورا ونرسو خلفه.

عدنا للغابة أنا وإيديث وآرثر بينما كان البقية برفقة نير الذي بمجرد أن التقت عيناي بعينيه ركضت نحوه وأنا أعانقه بيديَّ الصغيرتين مقارنة بحجمه، لم أفلته فتدخله أنقذني وأنا مدينة له.

نظرت إليه وأنا ابتسم وأسأله بشك:

كيف عرفت مكاني؟

قال بصوته الضخم بغرور:

إنها حاسة العنقاء التي لا تخطئ.

سعدت برؤيته حقًّا، وجوده الآن مطمئن بالنسبة لي، أصر على مرافقتنا لما تبقى من رحلتنا ولم أناقشه، فأنا بدوري أردته أن يكون بالقرب منا.

***

بعد سير لساعات بلا توقف وقبل أن يحل علينا الظلام الحالك، وصلنا للمركب.. لم نضيع أي وقت وقادتنا فيرا للضفة الأخرى.

كان نير يطير فوقنا، جود وإلمار بجانب بعضهم بينما تقص عليهم إيديث ما حدث مع ميدوسا.

اطمأن علي روي وأدا بوقت سابق، قلبت بصري بالمركب وكأن آرثر بمؤخرته وبمفرده، هذه الفرصة المناسبة للجلوس معه والتحدث فيما كان يريد.

هرولت إليه بسرعة، المكان شبه مظلم.. جلست بجانبه وقلت:

الآن أخبرني بما كنت تود قوله سابقًا، لا أحد معنا!

زفر بخيبة أمل وأرخى بظهره ليسنده على لوح خشبي، وصمت لفترة قصيرة كانت كفيلة بجعلي أتقطع بداخلي بكل ثانية، نظر لي ممسكا بيدي ليهدئني:

لا تتصرفي بسرعة وكوني حكيمة واهدئي، فأنتِ محقة!

- آرثر بسرعة، من الخائن؟

أخذ نفسًا عميقًا وقال:

إنه ******

ضرب الموج للمركب.. كأنه يضربني أنا!

شردت قليلًا، لقد كنت محقة سابقًا، لكن بعد كل هاته الأحداث أجد أنه من الصعب تصديقه، على الرغم من أني كنت أشد الناس إيمانًا بهذه الحقيقة.

قام بهزي برفق لأستعيد تركيزي قائلًا:

أخبري إلمار!

نظر لخلفي لأستدير واكتشف فيما يحدق، لقد كان إلمار قادمًا نحونا ليسأل إن كنا بحاجة لشيء ما ليرد عليه بأننا بحاجة للحديث!

جلس إلمار بقربنا وقال:

أنا أستمع لك.. ما الخطب؟

كنت أنظر لإيديث لفترة، سرعان ما أشحت بنظري عنها، لا أعرف ما اعتراني حينها!

تكلم آرثر بثقة ولهجة آمرة:

إلمار.. بالفعل هناك خائن بيننا، وتأكدت تمامًا الآن أنها فيرا!

بالنظر لتعابير إلمار فهو يبدو مقتنعًا بكلام آرثر أكثر مما يقتنع بكلامي أنا، سأله لماذا يعتقد بأنها الخائنة ليجيب بغضب:

لن أخبرك كيف اكتشفت، فأنا سأريك بنفسي!

طلب آرثر الخريطة مني وبدأ يضع أصبعه على معبر شجري ضيق يبعد بضع أميال عن الجدار العظيم وقال:

هذا طريق ليفانوس، والذي يجدر بنا عبوره للوصول إلى المستذئبين مباشرة، بعد أن عرفنا بخيانة الساحرات ستتجاهل أمرهن.

كان بالخريطة معبران، غابة أشجار الجاكراندا وهو الأيسر من ناحية الجدار ويؤدي للمستذئبين كما قال لتوه، والثاني هو معبر ليفانوس، هو ما يؤدي للساحرات! لم نخبر فيرا أو أي شخص بعد بأننا سنمر من خلال غابة أشجار الجاكراندا، فهم يعتقدون بأننا سنسلك معبر ليفانوس. لذا الوحيدون الذين يعلمون بطريقنا الذي سنسلكه هو أنا وآرثر وإلمار، وقريبًا فيرا! وتقتضي خطة آرثر كشف الخائن للعلن، فإن كانت فيرا هي الخائنة فسنلتقي بالملثمين في طريق الغابة.. فالخائنة فيرا تقوم بإيصال أخبارنا بطريقة ما لإيلفين الذي لا ينفك يرسل من يقتل آرثر، لذا إن قابلنا أحدهم بالطريق فحينها ستثبت التهمة عليها، فلا أحد يعرف مسارنا غيرها، والبقية سيتبعونها بدون أن يسألوا إلى أين تأخذنا، لذا لن يهتموا بالطريق الذي نمشي عليه ما دامت هي دليلنا ومرشدتنا، وأيضًا لا أحد يعرف كيف تبدو غابة الجاكراند أو معبر ليفانوس، حتى

إلمار لم يرها من قبل ولا يعرف الطريق إليها، ولن نخبر أحدًا بأننا لن نقابل الساحرات، فالجميع متجهز لاحتمالية معركة معهن بينما لن نلتقيهن من الأساس، طلبت من إلمار إبقاء الأمر سرًا خاصة.. خاصة عن إيديث!

اتفقنا مع إلمار وذهبت لإخبار فيرا ما كان يجب علي قوله وعدن أدراجي وأومأت لهم بأني أخبرتها وما على إلمار سوى انتظار إشارتي لكي يقتلها.

ذهب عائدًا لمكانه بينما أفكر بتعب، أعرف هذا مسبقًا ولكن فكرة أن أقتل أحد رفاقي تقتلني.. كنت أقول بأني على استعداد لذلك، مع ذلك عندما حان تنفيذها شعرت برغبة بالتراجع، فالقول لا يشبه الفعل.

بدأت دموعي تنهمر ولم تكن لي القدرة على رفع كفي ومسحها، فقط سمحت لها بالانهيار بإستسلام شديد!

كان آرثر يمسح على رأسي ويربت علي بينما تخنقني العبرات كأن شجرة شوكية بحنجرتي، خلف رقبتي حار وبالكاد أحمل جسدي الذي أصبح مشلولًا فجأة.

وضعت رأسي على كتف آرثر وانتظرت وحسب، هذا كل ما بيدي فعله الآن!

وصلنا لقارة زابورا خلف الجدار مع بزوغ الفجر، كانت عيناي منتفخة من البكاء لليلة كاملة.. حقيقة أني سأشهد موت بشري تؤرقني.

سارت بنا فيرا بتلك الصحراء الممسوحة، كان لحسن حظي أن الشمس لم تكن حارة، فأنا لم تتبقَّ لي طاقة لأقاوم أكثر، لاحظ نير الذي يطير فوقنا كيف أني أترنح بسيري ليقترب أرضًا ويطلب مني امتطاءه ليطير بي، لكني رفضت أن أرتاح بينما الجميع يسيرون بتعب وأخبرته بأن يستمر بالمراقبة من الأعلى وحسب.

بدأ يظهر أمامنا معبر طويل، بالعادة تصرخ فيرا بكل مكان نمر بجانبه لتخبرنا باسمه لكن هذه المرة لزمت الصمت.. أنا أعرف هذا المعبر الشجري، كان في الخريطة بإسم "معبر شيلفيا"، به أشجار مقاومة للحرارة متعددة الألوان، اقتربنا ونظرت لفيرا وبادلتني النظرات بإبتسامة لكن أشحت بنظري عنها لتتوغل بهذه الغابة.

بكل ساعة ودقيقة وحتى ثانية.. تتزايد دقات قلبي جراء التوتر، قطعنا ربع الغابة والأشجار تظللنا من الأعلى.. المكان مضيء بضوء أزرق بسبب انعكاس لون الأشجار هنا وأوراقها المتساقطة بالأرجاء، كنا نسير متباعدين وكنت خلف فيرا مباشرة.

وصل التوتر لبطني التي بدأت التقلصات تصيبها، سمعت صوتًا غريبًا من جانبي الأيسر وقد وطئ غصنًا ليكسر، لكن لا أحد يساري!

خرج من الظلام وبسرعة لم أستوعبها بعد ملثم غريب البنية وهو يحمل منجلا يشبه منجل جود، وقال بصراخ قبل أن يغرزه فيَّ:

أبقيتموني بانتظاركم في المكان الخاطئ، عليكم اللعنة!

لقد كان سريعًا وخفيف حركة لدرجة أن لا أحد منهم تسنى له الوقت ليسحب سيفه نحوه، ولا حتى أنا!

كل ما بيدي فعله حينها أن أغطي وجهي بيدي وأغمض عينيَّ باستسلام، أدركت بأن هذا المنجل سيخترق بطني ليخرج من الجهة الأخرى وتحين لحظتي! لقد أصابني ببطني فعلًا، لا زلت أغطي وجهي.. لم يخرج المنجل من ظهري كما توقعت، حتى أني أشعر بأنه اخترق بطني سطحيًا!

لم أكن أسمع شيئًا حتى صراخهم، أنزلت يديَّ عن وجهي وصدمت صدمة عمري! آرثر؟

قد اخترق المنجل بطنه ليخرج من ظهره ويخترق بطني أنا الأخرى ولكن سطحيًا، نسيت الألم الذي كنت أشعر به مما أرى!

الشيء الوحيد الذي سمعته هو صراخ جود الغاضب للملثم:

كيف تجرؤ على أذية ابنة أختي؟!

وفصل رأسه عن جسده بقوة لم أشهدها من قبل، لكن جل تركيزي على أخي الذي لم يصدر صوتًا حتى!

بقيت واقفة بينما ارتخى علي بثقله ساقطًا لأمسكه وأنا أصرخ باسمه، لا أعرف كم مرة صرخت وأنا أناديه، فقد فقدت عقلي لدقائق.

احتشد الجميع حولنا وقام جود بسحب المنجل الذي اخترقنا كلينا، استدرت لأواجه آرثر الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يسعل كمًا هائلًا من الدماء.. بكيت كالأطفال وأنا أنادي عليه كي لا يفقد وعيه:

آرثر.. أخي.. صغيري، تحمل من فضلك، أنت لن تفعل شيئًا كهذا بأختك، أليس كذلك؟

بدأ يلهث وهو يدمع، صرخت بالجميع، كانت إيديث بقربي وهي مصدومة تعجز عن الحركة، لكمت صدرها وأنا أصرخ بها:

إيديث.. إيديييث اللعنة قومي بأي شيء، اشفيه، اجعليه بخير، فلتفعلي شيئًا، إيديييث!

لم تكن تستجيب لتنهمر دموعها وهي فاغرة فاها بصدمة

تفوق صدمتي، قمت بسرعة بالتعويذة الشفائية ولكن الضوء الأرجواني كان يتلاشى وكأنه لا يمكن شفاؤه! بدأت أبكي بحرقة، فالتعويذة لا تعمل على الإصابات الحتمية، نظرت لآرثر وكفي على خده وأتوسله باستماتة بأن يتماسك، حينها سعل دمًا ليطير بوجهي وأنتبه له، رفع يده بصعوبة وهو يمسح خدي قائلًا:

آسف، لقد لوثتك.. أنت لا تحبين القذارة.

وصفها، وقمت بغرز سيفي بكل ما أوتيت من قوة في بطن إلمار وانا أسأله:

لمَ خنتني؟ إلمار!

بدأت أقلب السيف بأحشائه وأنا أسأله لماذا خاننا، لمَ مات آرثر؟ أبعدني جود عنه لأسحب سيفي ويجثو إلمار أرضًا وهو يمسك ببطنه وقد امتلأت يداه دماءً!

تقدم جود نحوه وقال:

إلمار.. أخبرني بأن هذا غير حقيقي، أنت لم تفعل هذا!

لم يجب، كانت إيديث تنظر بشرود نحو إلمار ولم تتخطَّ موت آرثر بعد، لا تزال بمكانها أرضًا.

لم أنتبه بتلك الأثناء أين كان نير، ولم أبحث عنه حتى بسبب تالي الأحداث، لم يجب إلمار على جود ليستدير لي وأخاطبه بغضب:

إنه الخائن، لا تتوقع منه أن ينكر ذلك!

أخبرتهم جميعًا كيف اكتشف آرثر ذلك، أول هجوم للملثمين علينا كان بصحراء قارة زندو حيث نزع الجميع ستراتهم ومشوا تحت الحر، حينها لاحظنا وشمًا غريبًا بكتفه الأيسر، وبعد الهجوم الثاني لنا من الملثمين أثناء طريقنا للغريفون واجهنا ملثمين آخرين، ولكن أذرعهم مكشوفة ومليئة بالوشوم، وأحد تلك الوشوم يشبه وشم إلمار الذي

رأيناه سابقًا! لقد تذكره آرثر وعرف أنه وشم يخص أتباع إيلفين.. طوال هذه المدة، قاتل الملك فيكتور وشقيقه الأمير ويليام هو إلمار، وقام بحبك الأمر ليبدو أنه مات منتحرًا، من حاول اغتيال آرثر أيضًا بيوم الاحتفال هو إلمار، وأذكر التعويذة التي استخدمها حينها، الأسهم المشتعلة، عند كهف الجاكالوب عندما استخدمتها لأول مرة شعرت بأن أحدهم استخدمها أيضًا، فأعداد الأسهم كانت أضعاف ما كونته أنا ولم يكن معي حينها سوى إلمار! مما أكد أنه يجيدها وقد استخدمها بيوم الاحتفال بعام الإيفرو الجديد.

بعيدًا عن ذكر أنه لم يشارك بأي قتال ضد الملثمين، وقد أشار إليه سابقًا أحدهم وكشف عنه، ولكن لم نصدقه حينها لثقتنا العمياء به!

عندما أخبرني آرثر بكل هذا طلب مني إيهامه بأننا نشك بفيرا وسنخبرها بأننا سنمر من خلال معبر ليفانوس بينما سنتخذ من غابة الجاكراندا طريقًا لنا، لكني أخبرتها بأننا سنعبر من معبر شيلفيا وعليها أن تبقي الأمر بيننا فقط، ولأن لا أحد يعرف كيف تبدو غابة الجاكراندا فسيعتقدون أن معبر شيلفيا ما هو إلا غابة الجاكراندا! وأيضًا هذا ما يفسر قول الملثم بأنه كان ينتظر بالمكان الخطأ، فإلمار قد أخبره بأننا سنمر من تلك الغابة وكان ينوي أن يقلب الأمور على فيرا حينها لو نجونا بطريقة ما!

كان الجميع ينصت إلي بإستغراب ويستعيدون الأحداث، حينها كان قد وقف وسحب سيفه نحوي وقال صارخًا:

لمَ لا تموتون فحسب؟ عليكم اللعنة جميعًا!

بسرعة فائقة، لم نرى سوى رأس إلمار وقد سقط أرضًا! لقد كانت إيديث التي قفزت وفصلته عن جسده معطية ظهرها لنا وتوجه حديثها لي بدون أن أرى ملامحها:

أخبرتك بأني سأضع رأس الخائن أمامك بمجرد أن أعرف هويته، لقد وفيت بوعدي.

حاول روي التهجم عليها سائرًا نحوها وهو يصرخ:

هل تحاولين إنقاذ نفسك بهاته الحركة وإبعاد التهم عنك؟ أنت مثله!

رفع سيفه على عنقها ولم تقاومه، سرعان ما تدخلت واعترض سيفي سيفه وقلت بصراخ:

لا أسمح لأحد بالاقتراب من إيديث! إنها ليست مثله.

نظر إلي روي بتهديد لأبتعد، ولكن أبعدته بتعويذة رياح سحبته للخلف عدة خطوات، صرخت للجميع بأني أثق بإيديث ولن أسمح لأحد بالتعدي عليها!

وضعت سيفي حاجزًا ليبتعد الجميع عنها.. حسب معرفتي لها فهي لن تسامح نفسها، فستعتبر خطأ شقيقها خطأها وقد تقتل نفسها، لذا وقفت أمامها وقلت بجدية:

وإيديث، أنتِ لم يتوِ دورك بعد.. أكملي ما أنتِ هنا لأجله، هذا أمر ملكي ولن أتسامح معك إن لم تنفذي!

لا أقصد هذه القسوة، ولكن الأمر لأضمن بأنها لن تؤذي نفسها، عدت لجثة آرثر وبمجرد رؤيته اغرورقت عيناي، جلست بجانبه وأنا أنظر لصدره وأوهم نفسي بأنه سيرتفع نتيجة لتنفسه، لكنه لم يتنفس! عيونه لم تتحرك، ترقبي له كان هدرًا للوقت.

نير الذي لم أنتبه له كان بالخلف طوال الوقت، فحجمه الكبير كان يصعّب مروره من هذا المعبر بسرعة فأصبح يمشي على أطرافه، رفعت رأسي نحوه، رؤيته يبكي أثارت بكائي أيضًا.

تذكرت بأني لا يجب أن أكون بهذا المظهر المحبط أمامهم، كل ما سأفعله يؤثر عليهم، لذا علي أن أؤثر عليهم إيجابًا على الأقل، استعدت رباطة جأشي وكفكفت دموعي وبدأت بتلاوة تعويذة إنشائية لأضع جثة آرثر بتابوت، فأنا لن أتركه هكذا!

قام جود بمساعدتي وحمل آرثر ووضعه داخلًا، تذكرت أمرًا ما، اقتربت منه ووضعت يدي بجيب سترته لأجد تلك الورقة التي كان يخبئها عني مطوية.. أخذتها ووضعتها بجيبي، حدقت بوجهه لآخر مرة

قبل أن يغلق جود التابوت! كان شعورًا خانقًا، فرؤيته هكذا تؤكد لي أني فقدته فعلًا.

أمرت جود بحمل التابوت وربْطِهِ بظهر العنقاء، وبتلك الأثناء كتبت رسالة طويلة وربطتها حول ظفر نير وأخبرته بأن يسلمها لبرل وأن يفعل ما تخبره به ويطيعها.

سار عائدًا أدراجه حتى رأيته يرتفع عاليًا، نظرت للجميع وقد بدا التشتت عليهم.. روي خائف علي ومن هدوئي، بياتريس وأدا لا زال الدمع لم يفارقهما، جود وفيرا ينتظران مني الأوامر، وإيديث تعطي ظهرها للجميع وتقف بمسافة بعيدة عن البقية.

تكلمت بصوت مرتفع رزين:

ما خطبكم؟ ألم تشهدوا موت أحد من قبل؟ فيرا، هل تنوين تركنا هنا أم أنك ستأخذيننا لأرض المستذئبين!

في الحقيقة كان يخرج من لساني كسكين يجرحني، لكن علي رفع معنوياتهم جميعًا، هزَّت فيرا رأسها وكأنها فهمت ما أريد إيصاله.. نظرَت لجثة إلمار وسألت:

ماذا عنه؟ ما الذي ستفعلونه بخصوص جثته؟

لم أجب، فأعرف أن إيديث ستتكلم، وبالفعل قالت بحنق وهي لا تزال توجه ظهرها إلينا:

اتركوها لتتعفن هنا أو تأكلها إحدى الكائنات الضعيفة.

أنا أعرف معدنها أكثر من الموجودين.. إنها تنزف بداخلها وتتظاهر بالقوة هي الأخرى، أما عن ظهرها الذي تقابلنا به فهي تشعر بالإحراج من فعل أخيها ولا تستطيع أن تواجهنا وجهًا لوجه.

لم أقل شيئًا ونظرت لفيرا نظرات توحي لها بالتقدم.. معبر شيلفيا يقع بين غابة الجاكراندا ومعبر ليفانوس، لذا أغلب الظن بأننا سنبيت الليلة بالبر وغدًا نقابل المستذئبين، ولاحقًا لدي ما أقوله لهم، فالأمور تغيرت الآن.

سرنا الواحد تلو الآخر خلف فيرا بينما بقيت إيديث بالمؤخرة كي لا ترى أحدًا ولا يراها أحد، تركتها بمفردها فهي بحاجة لبعض الوقت للتعافي.

الفراغ بالفريق واضح، مكان آرثر وإلمار.. تعودت دومًا على النظر ليميني فهو دائمًا بقربي، ولكني أنظر ولا أجد أحدًا، الفراغ الذي تركه لن يملأه أحد!

وصلنا عند نهر جارٍ عميق نوعًا ما، ويستوجب أن نقطعه للضفة الأخرى والبعيدة بحوالي عشرة أمتار، أخرج روي من حقيبته حبلًا سميكًا بينما قام جود بربطه على منجله ودار حوله نفسه عدة مرات ليرمي

بالمنجل بقوة ويغرز بالأرض على الضفة الأخرى، سنمر ونحن نمسك بالحبل كي لا تجرفنا مياه النهر.

مرَّ جود أولًا ليتأكد، وعند وصوله قام بربط الحبل حول خاصرته كي يضمن بأنه لن يفك، تقدمت فيرا وخلفها بياتريس وأدا، تقدم روي وهو يريد أن أعبر معه، نظرت لإيديث خلفي والتي لا ترفع رأسها عن الأرض وقلت:

إيديث.. سأعبر، فلتعطيني يدك!

خفت بأن تسمح للنهر بجرفها، لذا أردت أن أمسكها وأتحقق منها.

لم تقاوم وناولتني يدها، عبرنا النهر الذي وصل عمقه حتى أعلى خصري.

أكملنا سيرنا وأخبرتنا فيرا بأنه سيكون من الأنسب المبيت بمكان مليء بالأشجار كي نتوارى خلفها، في الطريق أفكر بأنه يجب علي الاعتذار من فيرا التي اتهمتها اتهامات باطلة، ولكن لا أعرف كيف سأفعل ذلك.

قد أقوم بتكريمها بعد عودتنا... ماذا إن لم نعد؟

سأتعاون معها بالمعركة الكبرى وأعتذر منها حينها، وصلنا لمنطقة شجرية قبل منتصف الليل بساعة، ونصبت خيمهم التي سينامون فيها.

لم أرد أي خيمة، فإكتفيت بالجلوس تحت جذع شجرة وأنا أتذكر أول يوم لنا.. أراقب الجميع وهم نيام بأرض مصاصي الدماء، أتذكر وضعية نوم آرثر الغريبة.. تذكرت الورقة لأسحبها من جيبي وأنظر ما بها، فتحتها ولقد كانت تلك الرسمة التي رسمها وهو صغير! رسمة طفولية جدًّا، أقف أنا وهو خلف القصر ونمسك بيدي بعضنا البعض وأنفي كبير جدًّا، شعري ملون بالبني بطريقة فوضوية، على يميننا شجرة لها عينان واستنتجت أنه حاول رسم بيرل ولم يستطع.. لم أعتقد بأن مجرد رسمة على ورقة سخيفة ستكون كفيلة بجعلي أبكي بحرقة.

لقد كان يتوق لأخته طوال هذه الفترة.

لم أرد أن أستمر بالبكاء، فلو فعلت فأنا لن أتوقف، لذا حاولت جاهدة التماسك، كانت إيديث قد توغلت بين الأشجار مبتعدة عن الأنظار، ذهبت للبحث عنها ولم يطل بحثي حتى وجدتها جالسة فوق خشبة مستديرة ونار على وشك الخمود أمامها، اقتربت منها وسألتها إن كان بإمكاني الجلوس بقربها.. هزت رأسها بصمت، لقد كانت شاردة جدًّا.

تأملت النار مطولًا وأنا أفكر، حينها قلت بتعب:

إيديث.. لقد مات أخي اليوم، أرجوك قومي بمواساتي.

بكيت وأنا أبعد يده وأقبلها وأقول بصعوبة:

سأقبل اعتذارك إن لم تمت، أرجوك تماسك لأجلي.. تماسك لأجل أختك، ألا تحبني؟

ضحك بخفة وصعوبة، لم أرد أن أقنع نفسي بأي طريقة بأني سأفقده، وقلت وأنا أكذب على نفسي بأن كل شيء سيكون بخير:

ستكون بخير أخي الصغير، عندما تكون كذلك لدي قصة أحكيها لك عن امرأة عاطلة طردت من عملها ثلاث عشرة مرة خلال تسعة أشهر.

ابتسم وهو يبكي وصوته يرتجف ويحاول إمساكي بما تبقى له من قوة:

هكذا إذا.. أراهن بأنها ستعجبني.

قلت بنحيب وصوتي يعتصر:

ستعجبك ستعجبك، فقط لا تمت أرجوك.. أنت تعرف أني أحبك أيها الأشقر القبيح؟

ضحك لآخر مرة ونطق بتعب قبل أن يتلاشى صوته:

حتى.. أنا.. أحبك أيتها.. البشعة.. وعلى استعداد للموت لأجلك، آسف.. حتى.. آرثر.. يحب.. عفر...

وحينها اختفى صوته حتى قبل أن يكمل آخر جملته!

ناديت عليه مرة ومرتين، إنه لا يجيب، عانقت جسده بقوة وأنا أنحب وانادي باسمه وأخبره بأن بيرل بانتظار عودتنا معًا، أصبح ثقيلًا ورأسه يرتمي للخلف، ضممته بقوة، وأنا آبى إفلاته أبدًا.

صمت وشردت بعيدًا، وكل ما فعلته أن أحكمت شده نحوي ولم أصدق أنه رحل بعد.. صمتٌ وحسب.. أريد أن أحظى بلحظة هدوء وأتذكر وجهه وضحكته.

الكل ملتفون حولي، بياتريس وأدا أسمع صوت بكائهما، هذا كل ما أذكره، صمت طويل.. أضمه لآخر مرة، الأخ الذي اكتسبته! وفقدته بسرعة.

نهض إلمار ناحية فيرا وهو ينوي قطع رأسها صارخًا فيها ولكن منجل جود اعترضه، وبقيا على تلك الحال.. أحد يريد الهجوم والآخر يدافع عنها بينما هي تبكي بصدمة، إنهم صاخبون للغاية ولا يسمحون لي بلحظة هادئة مع أخي الصغير، لقد كنتم مزعجين عندما كان حيًا.. حتى بعد رحيله إنكم مزعجون!

مددت جسد آرثر ووضعت رأسه بهدوء أرضًا، يبدو كأنه نائم فقط!

شعرت بطاقة عجيبة بجسدي، وسحبت سيفي الذي اسودَّ نصله لأسود قاتم أشد من ذي قبل، وتوجهت نحو الثلاثة وأبعدت جود من طريقي، وكانت فيرا وإلمار أمامي، كنت بحالة غضب لا يمكنني

حينها انفجرت بكاءً بعد أن فشلت بالتماسك طوال هذه المدة، وقفَت مقابلة لشجرة وهي تعطيني ظهرها كي لا أراها على هذه الحال.. بعد كل شيء حتى لو قامت بقتله فإلمار يظل شقيقها مهما حدث، وستحزن عليه فهو عائلتها، وقد يفوق حزنها على أخيها حزني على آرثر، أنا أيضًا شعرت بالحزن والأسى على حقيقة أنه الخائن، لم أرده أن يموت، لكن الخائن يظل خائنًا يستحق العقاب! أعرف بأنها تريد لو أني أذهب وأتركها بمفردها، لكن كتم المشاعر والحديث ليسا دومًا الحل الأنسب، اقتربت وحضنتها من الخلف وأنا أبكي أيضًا، ربتُّ على كتفها وقلت: سأحملك مسؤولية موت والدي وأخي لو متِّ أو أصبت بمكروه! إياك وأن تجرئي على الموت، فحينها لن أسامحك.

كانت ترتعد وكتفاها يهتزان من نحيبها، لم أفلتها ولم تعجبني رؤيتها بهذا الشكل.. إنه كرؤية والدتك تبكي واستيائك من بكائها!

أخبرتها بأني أثق بها وألا تحمل نفسها عبء أخطاء شقيقها، فهي لم تفعل شيئًا، كررت على مسامعها أكثر من مرة أني أثق بها!

بدأت تهدأ وعادت للجلوس على تلك الخشبة وأنا بجانبها وأمسك بيدها، عبرت لي عن استيائها لفشلها مرة أخرى في حماية أحد أفراد العائلة، وفي المرتين كانا أمام ناظرها بدون أن تحرك ساكنًا.

أنا أيضًا لم أحرك ساكنًا، فبدلًا من حماية أخي الأصغر قام هو بحمايتي، كلانا مخطئ بأمر ما، فهي تم إستغفالها من أقرب شخص لها طوال هذه المدة، وأنا فقدت أخي بسبب قلة انتباهي.

طلبت منها أن تستعيد قوتها، فلقد اقتربت المواجهة مع إيلفين، نحن لن نذهب لقارة كاونتر، بل هو من سيأتي إلينا!

استغربت من حديثي، ولكن بما أن تقدمنا سيكون عبئًا عليه فسيأتي بنفسه إلينا ليوقفنا عند حدنا، وأيضًا الآن قد تحالف مع الساحرات اللاتي من شأنهن زيادة قوته، لذا علينا الإسراع غدًا وضم المستذئبين!

كل ما أريده هو مقابلته.. رؤية هيئته وشكله!

طلبت مني أن أكشف لها عن بطني، فهي تعرف بأني لم أشفه واكتفيت بلف قماشة عليه، أردت أن أشعر بذلك الألم لذا لم أقم بشفائه، غضبت وقامت بإلقاء التعويذة علي.. كانت الإصابة شبه بالغة، لذا بعد انغلاق الجرح تبقى أثره بارزا.

أمضينا الليل ونحن نتكلم، وأخبرتها عن كتاب التعاويذ وأنه بحوزتي، وأني بإنتظار الوقت المناسب لتجربة تعويذة محرمة، اكتفيت بإخبارها هذا وحسب، وللحديث بقية وسأكشف عن كل شيء بالوقت المناسب.

يجب أن نعود أحياء، أنا لن أدفن آرثر ما لم انهِ أمر إيلفين!

في صباح اليوم التالي وبعد سير ليس بالطويل، وصلنا لأرض المستذئبين.. عرفنا ذلك عندما رأينا قرى صغيرة بكابينات معلقة على أشجار يبدو البشر تحتها كالفتات من شدة طولها! تلك الكابينات حسب قول فيرا هي لأجل أن يحبسوا أنفسهم بداخلها بليلة بدر مكتمل، فهم يصبحون أشد عنفًا ليلتها وقد يميلون للشغب والفوضى فيما بينهم، لذا فهم يغلقون على أنفسهم بها بسبات ليلة، وتنفتح من تلقاء نفسها في اليوم التالي.

أخذت نظرة وهي أنهم متطورون، لم يكن لي الوقت لأسرفه لذا تقدمنا بين تلك القرى المتباعدة.. الجميع هنا يبدون كالبشر ولكن لهم مخالب طويلة ولحى غريبة تغطي خدودهم! ينظرون بحدة نحونا، ولكن سيرنا للأمام بدون اهتمام لنظراتهم لم يفسح لهم المجال لعرقلتنا، همست لي فيرا:

زعيمهم يدعى إيثان، ليكن بعلمك.

لم أعرف أين قد أجده بين هذه الحشود، لذا طلبت من روي الذهاب والاستفسار عنه، لم يتجاوبوا بسرعة، فكانوا يتجاهلون أسئلته باستمرار.

قلت سابقًا إن القوة لا تجدي نفعًا دائمًا ولكنها تفعل أحيانًا! ألقيت تعويذة جوية أرضية لتهتز الأرض من أسفلهم وتبدأ كابيناتهم المعلقة بالتأرجح يمنة ويسرة، وهم يعرفون أن الفاعل أنا، فهناك قوقعة تحيط بي

تحميني من الرياح، لم أطل وتوقفت بسرعة وتقدمت بمنتصف الساحة وأنا أخاطبهم:

أين هو إيثان؟

- ها هو إيثان!

تقدم رجل نحوي شديد سواد الشعر، ناعم حتى كتفيه وأعينه زرقاء لماعة وكان يشير نحو نفسه، لقد كان بين العامة وهو يراقب روي يسأل عنه، فوق ذلك لم يتحرك إلا بعد التعويذة!

سألته بعجرفة تشبه عجرفة بياتريس معي سابقًا:

ولمَ لم تكشف عن نفسك بسرعة يا ذا اللحية البشعة!

نظر نحو فيرا وقال:

لقد مضى وقت طويل أيتها الرحالة.

تجاهلته ولم ترد عليه، بقي يترقب حديثي لأقول ببرود:

الساعة الرملية تشير لاقتراب الحرب، وبالمختصر لو خسرها طرفنا فسيشهد إيرفوردن ويلت أسوأ حقبة في تاريخه!

بدا وكأنه غير مهتم، ولم أرهق نفسي بأي تعابير على وجهي لأضيف:

أداء إنها مستعدة أكثر من أي وقت مضى، وأيضا لمحت إيديث تعتذر منها بوقت سابق.. لقد سامحتها فهي ليست من النوع الذي يحمل الضغائن أبدًا.

بياتريس يبدو عليها أنها تشعر بالتوتر من وقت لآخر، ومع ذلك لا تريد التراجع، تريد أن ترى ما ستؤول إليه الأمور في النهاية، ما هي نتيجة جهدنا وتضحية آرثر؟

فيرا كراهيتها هي ما تدفعها للأمام، إنها أكثر شخص بعدي استعدادًا لقتال إيلفين.

شعرت بخطوات خلفي لألف رأسي لمصدرها، لقد كان جود، جاء وجلس بجانبي وبقي يشاركني النظر في البقية، سألته بدون أن أشيح نظري:

لقد قلت سابقًا إنك هناك لأجل إليانور.. والدتي، إذًا لقد كانت أختك!

زفر وهو مطأطئ رأسه بدون أن يجيب.. يبدو أن الوحيد الذي يعلم بهذا هي فيرا، نهضت وقبل أن أنزل قلت:

فلنبذل جهدنا.

شرحت للجميع سابقًا بأننا سنبقى هنا اليوم وننتظر، لن أقابل من تبقى من المخلوقات "الشياطين والأوني"، فالأوني في قارة بعيدة والشياطين لا وقت لي للأخذ والعطاء معهم، وأظن أن إيلفين قد سبقني أساسًا إليهم!

ناديت لروي ليأتي ويجلس بجانبي، جلس وبقيت أفكر لفترة، سحبت المجلد وفتحته أمامه وأنا أقول:

انظر.. هذا كتاب سحر بأربعة فصول، فلتقرأه قراءة سريعة وأخبرني، ماذا تلاحظ؟

بدأ يقلب صفحاته وقد استغرق وقتًا لم أقاطعه فيه، وبعد دقائق طويلة أجاب وهو يفتح بعض الصفحات:

هذه التعويذة الهجومية والأخرى الجوية، هناك دوائر على حروف من كل تعويذة وبصفحات مختلفة! بالتدقيق بالحروف ومحاولة جمعها مع بعضها البعض، قد نتمكن من خلق تعويذة جديدة.

- نعم، هذا بالضبط! لقد قام الملك ماكسيم بتشفير تعويذة ابتكرها وقام بوضع دائرة على كل حرف بصفحات متفاوتة، وعلى القارئ أن يحاول استنباطها وربطها، وغالبًا هي تعويذة محرمة.

جحظت عيناه بعد سماعه لآخر كلمتين، لم يكن هذا هو المغزى، بل أردت أن يحفظها بحال لم أستطع القيام بها لأي ظرف، فسيتلوها هو ضد

الأعداء بدلًا عني، بقي يفكر وهو يتصفح الكتاب، وعرف الآن أني كنت أجلب التعاويذ منه وليس كما قلت سابقًا أني كنت أطلع عليها قبل أن أنام، في النهاية هزَّ رأسه موافقًا.

بدأت الشمس بالغروب، وكانوا قبل ذلك قد كسروا مللهم بالتدريب على السيف بينما شغلت نفسي بالتدرب على التعاويذ خلف جبل كي لا ألحق بالرفاق أي ضرر، رعفت من أنفي بسبب تجاوز قدرة تحملي.. نظرت للسماء وأنا أتذكر آرثر، كنت أتمنى لو أنه برفقتنا.

لقد كان في العشرين من عمره فقط، صغير على الكراهية وصغير على الحقد.. صغير على الحرب وصغير على الموت!

لم أتوقف عن التدريب حتى أنهكت جسدي ولم يتبقَّ لدي طاقة، عدت للجميع حيث جلسوا لتتكلم بياتريس:

لقد أثرتِ الكثير من الضجة، ما الذي كنتِ تفجرينه؟

- إحساسي بالذنب!

لم يتكلم أحد، طبخت لنا فيرا بعض الحساء المقرف الذي تناولناه بدون تذمر، بعد أن انتهوا طلبت منهم أخذ قسط من الراحة، وسنتحرك غدًا للأمام قليلًا، فحسب ما أرى فإن المدى للتعويذة المحرمة لا يزال قريبًا وأريد أن أبتعد عن الجدار العظيم قدر الإمكان!

إيلفين!

بلغ الأمر ذروته في صباح اليوم التالي، كان الأمر كمن يسيرون بأقدامهم نحو المقصلة واضعين رؤوسهم عليها برغبة منهم! كان الوقت فجرًا وتحركنا أبكر من المعتاد، تقدمنا للأمام حوالي ميلين إلى ثلاثة، لم تشرق الشمس بعد، الجو ضبابي ولا نرى ما هو بعيد عنا.

كانت أدا وبياتريس يتكلمان عن أمور تخص السيف، فجأة لزما الصمت وتوقفنا جميعًا عن الحركة!

لقد حان الوقت! إنهم قريبون!

ريح حارة قادمة من الأمام تحرق أوجهنا، تصديت لها بتعويذة تعيدها من حيث أتت، وأرسلت بياتريس عاصفة الغبار الخاصة بها، لا زلنا لا نرى شيئًا لكننا نشعر بهم، إنهم هنا! إيلفين هنا!

تعالت أصوات همهمة قادمة من الأمام ثم.. صوت طبول عديدة! نظر الجميع بتوتر لبعضهم البعض بينما لم أبعد نظري لثانية من أمامي، بعد ذلك صوت بوق كبير، سألتْ بياتريس:

ما هذا؟

قلت:

إنهم هنا، وهذه طبول الحرب، أما عن البوق فهو ليسخر منا.

ستقتتل المخلوقات فيما بينها لو ظفر العدو بالنصر، لا أرغمك للعودة تحت ظل العائلة المالكة، فلا وقت متبقٍ لإقناعك بذلك، ولكن سأحتاج لقوتكم جميعًا للحفاظ على التوازن هنا.

سأل بإستفسار بدون إبداء رغبة بالخوض في الأمر:

ولم علينا فعل ذلك؟

– لأنه لم يعد هناك مجال للندم! علينا جميعًا شد أواصرنا لتفادي أسوأ الكوارث.

أخبرته عن أسوأ الاحتمالات الممكنة وعن السياسة المترقبة التي قد ينتهجها إيلفين، سيكون الوضع أشبه بحكم ديكتاتوري! وحينها لن يكون أمام المخلوقات الأسطورية سوى أن ترضى بالذل أمامه وأمام حكمه، فسيكسر شوكة الجميع ويعتلي عرشه والذي لن يكون كرسيًا! بل الكبرياء المسلوب من الجميع.

الوقت ضيق جدًا، ومن ضيقه لا أجد متسعًا منه لأقنعهم بأكثر من الانضمام لجيشي للوقت الراهن، وبعدها سنرى ما الذي سنفعله بذلك الخصوص، سيأتي وقت نتمنى فيه فقط لو أننا نعيش كما كنا نفعل سابقًا، وأنا أريد تفادي هذا قدر الإمكان!

شكك في القدرات التي سأواجه بها إيلفين، ولكني أخبرته بألا يحمل هم هذا، فأنا أعرف ما سأقدم عليه، فليحمل هم نفسه وقدراته وليلتفت لما يخصه.

قلت محاولة إنهاء حديثي بنتيجة مفيدة:

أنا سأتقدم للأمام، ولن أطيل البقاء أكثر لأني أريد أن أتفادى الخسائر التي قد تسببها هاته الحرب، فضررها سيكون على المدى البعيد.. هل أنت موافق؟

نظر لأتباعه وشعبه الذي كان يترقب جوابه والقلق بادٍ على أوجههم بعدما سمعوا ما قد يحصل من تبعات لاحقًا، حدق جيدًا بهم وسألهم إن كانوا يريدون خوض هذا وتحمل المسؤولية أيضًا؟ ليهتفوا جميعًا بصوت واحد بالموافقة.

بعد سماع الجواب، تحركت وتركته خلفي.

وقفنا على حدود قريتهم للراحة قليلًا، جلست فوق جبل صغير وأنا أنظر للأفق وكتاب التعاويذ بيدي أراجعه لآخر مرة.. الجميع هنا! أحب الشجاعة التي يتحلون بها على الرغم من احتمالية هزيمتنا بسبب جهلنا لتقنيات عدونا، إلا أنهم لا يشعرون بالخوف ولا الجزع!

- هل.. هل إيلفين بنفسه هنا؟

أومأت بنعم وأنا أنتظر أن أراه، بدأ السحاب ينقشع من أمامنا ليصدموا جميعًا بجيش من الساحرات والشياطين والأوني على مد البصر وهم يقتربون نحونا.

بالطبع سيرتبكون، فعددنا مقارنة بهم يخجل اللسان عن ذكره، صرخت فيرا:

إيلفين!

نظرت إلى حيث تشير بلهفة، سبابتها للأمام مائلة لليمين قليلا.. هذا هو إذًا؟ رجل مهيب، ملامحه خبيثة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، شعره ينسدل لأيمن وجهه والخصل البيضاء قد تخللته، رجل لا يسعك سوى أن تصرخ سرًّا من التوتر عند رؤيته أمامك للوهلة الأولى، يبتسم بشر مطلق وثقة وكأنه يهزأ من حالنا ساخرًا من عددنا وعدم توقعنا لمجيئه، لكنه كان مخطئًا تمامًا!

كان يركب كائنًا غريبًا مجنحًا وقد حط به أعلى جبل شاهق ليشاهدنا في الأسفل، استطعنا سماعه وكان صوته خشنًا ويدل على أنه صوت شرير حتى لو لم ترَ وجهه قائلًا:

لو كنت أعلم أنكم بهذا العدد لأرسلت بعض الكلاب بدلًا من إرهاق أتباعي.

لا زلت أقف بثبات، لكن بداخلي فرائصي ترتعد من قوة حضوره، بدأ جيشه بالزحف نحونا وأحسست بالهزيمة تتسلل إلى قلوب من هم معي، حينها شعرت به! ابتسمت ابتسامة جانبية بثقة وأنا أنظر لإيلفين في الأعلى.. لترتفع أصواتهم!

سرب من طيور العنقاء صوتها قادم من خلفنا، قلت لمن معي بثقة لا تهتز:

أتعتقدون بأن الأمر سينتهي عند هذا الحد؟

ظهر نير في السماء ورآني من الأعلى لينزل إلي، امتطيته وطار بي عاليًا لأرى الجميع من حولي وتحتي وقد اقتربت طيورهم منهم، وبعضها كان يمتطيها الوزراء الذين تركتهم خلفي بالمملكة، نظرت لوجه إيلفين، كان ينظر بترقب، ويجدر به فعل ذلك!

بدأت الأرض تهتز أسفلي بقوة، والعديد من الأصوات خلفنا لم يكشف الضباب بعد عن أصحابها لكني على علم بهم، صوت ركض يشبه ضرب حوافر الحصان عن الأرض وضحكات نسائية وهسهسة ثعابين بالأرجاء، زئير كلاب وقعقعة صقور قادمة.. دقٌّ بأسلحة حادة على الأرض التي تهتز، ضرب أجنحة بالأعلى تطير قادمة نحوي.

وتوجه نير للذهاب لجميع المخلوقات التي قابلتها ويجمعهم خلف الجدار العظيم.

تقدمت نحو إيلفين الذي كان غيظه يشتد ويعض على أسنانه من الغضب، أمطرني بالعديد من التعاويذ التي كنت أتصدى لها الواحدة تلو الأخرى، ولم يتأثر نير بأي منها، أراد أن يتراجع للخلف، ولكن قام نير برميي بقوة لأقفز على الجبل وأمزج تعويذة بأخرى ليصاب بظهره بجرح بسيط، فقد تصدى لها بتعويذة دفاعية بدائية، سحبت سيفي وتقدمت نحوه.

كان يتفاداني بسهولة لدرجة أنه جعلني أشعر بأني ألوح بعشوائية كالأطفال، ضحك وقد انكشفت أنيابه:

لقد قمتم بالإطاحة بإلمار إذا؟ استخففت بعقولكم.. خاصة الفتى الأشقر!

راوغته بسيفي كي أقطع أقدامه لكنه قفز عاليًا لأوجه تعويذة سريعة أصابت صدره الأيمن، كان علي أن أقاتل بكل ذكاء وتركيز وألا أسمح لمشاعري بالسيطرة علي أبدًا! وجهت سيفي نحوه بسرعة، ولكن لم يخترقه واصطدم بجدار شفاف يعزل بيني وبينه، ابتسم بسخرية وحينها رأيتها خلفه! فيرا وهي تتسلل رفقة جود ليباغتوه، شعر بوجودهم ليندفعا نحوه بكل ما أوتيا من قوة، لقد كان في مستوى آخر يقوم بتعويذتين بنفس الوقت، قام بركل فيرا بقوة على بطنها لتسقط أرضًا

واحتكم بجود.. قمت بكسر الجدار العازل، وكان من الخطأ أن أنضم لجود وأساعده فأنا لم أقاتل بجواره من قبل، ولا أستطيع قراءة تحركاته، إذا قمت بعرقلته لا غير.

كاد أن يصيبني إيلفين، ولكن تلقاها جود بدلًا عني لتنقطع يده ويسقط منجله، ومع ذلك لم يتوقف وأمسك به باليد الأخرى، سرعان ما تعب وتلقى العديد من التعويذات ذات الضرر.. قمت بمزج تعويذة أخرى لتسبب الشلل لقدمه بعد أن فقد دفاعه، وحينها ركع على الأرض بألم واقتربت منه وأنا أضع سيفي على رقبته وأنظر إليه بحقد لم يسبق لي أن وجهته لأحد، سأل بسخرية وهو لا يريد أن يظهر ضعفه أمامي:

لأجل ماذا ستقتلينني؟ فهناك عدة أسباب.

قلت بحدة:

سأقتلك لأجلها جميعها!

بقي ينظر لي بنصف ابتسامة، وكل ما نسمعه هو الصراخ والانفجارات بالأسفل.

حاول تعديل جلسته قدر المستطاع محاربًا الشلل، حينها قال:

هل تعرفين ما هو مفهوم العدل؟

لم أجب ولا زلت أنظر إليه بغضب وعيناي ستخرجان من مقلتيهما، حينها أضاف:

إن كنتِ ستحاسينني بسبب الخيانة، فحينها سيتوجب عليك محاسبة العالم أجمع، هكذا هو العدل! لا نحاسب مجرمًا واحدًا ونترك البقية أحرارًا.

قربت سيفي لرقبته أكثر حتى بدأت الدماء تسيل وقلت:

لن أعاتب بل سأحاسب، أنا هنا لتصفية الحسابات فقط، أما عن مفهومك للعدل فأنا لن أقوم بحَطْبِ كل الأشجار الفاسدة في العالم والتي لا تخصني أساسًا، سأكتفي بتطهير منطقتي فقط، لقد قتلت آرثر، أهذا عدل بالنسبة لك؟

قال بجدية كمن يدعم نظريته:

لم تعامليني كما لو أني ارتكبت جرمًا عظيمًا نتائجه لم يكن ليتسبب بها غيري!

نظرت إليه.. أهذا الرجل مجنون؟

حدق بي:

آرثر كان سيموت عاجلًا أم آجلًا، إما بمرض ما أو بسبب الشيخوخة أو أيًّا كان.. هل ستنتقمين من المرض؟ أنا لم أقم بشيء جديد، قتلت شخصًا كان سيموت بكل الأحوال.

لم أستطع التحكم بمشاعري ورفعت سيفي لأجهز عليه، ولكن لم أعرف أن حديثه هذا كان لأجل المماطلة ليفك تعويذة الشلل، حينها رماني ليسقط من أعلى الجبل، لكن لحسن الحظ أن الجبل مموج، ووقعنا لمسافة سبعة أمتار.

رفعت على قفاي وكان الألم يقرص ظهري، نهضت بصعوبة، وجبنها.. شعرت بأني أفقد الوعي ولكن بطريقة مختلفة، وكأني أغيب عن هذا العالم!

تمالكت نفسي، نهض وهو يحرك أصابعه لأعرف أنها تعويذة محرمة.. ركضت نحوه وأنا أدفعه من خصره، قام بركلي ثلاث مرات بركبته على بطني، رفعت رأسي ونطحته على أنفه لأعرقل حركات أصابعه ويتوقف.. غطى أنفه بأصابعه، تلوت تعويذة أخرى هزت الأرض من تحت قدميه، اندفعت نحوه وقد باغتني بما لم أتوقع!

سكين طعنني بها بمعدتي وقام بدفعي للسقوط للأسفل، وهذه المرة سيكون موتي محتومًا، أثناء دفعه لي أمسكته من شعره ليسقط معي قبل أن أفقد وعيي، لحسن حظي أن روي أمسكني وطار بي بعنقائه، ولكن وعيي كان يتلاشى شيئًا فشيئًا وبدأت أسمع أصواتًا غريبة لم أعتد سماعها، أغمضت عينيَّ لأركز بها وكانت شبه أصوات آلة طبية عندما تتزايد دقات القلب، فتحت عينيَّ بصعوبة وأنا أنظر للأسفل.. هذا القط ذو

الأرواح السبع -إيلفين- لم يمت بعد! إنه يصارع أنفاسه ويقوم بالتعويذة المحرمة! قلت بصعوبة:

روي.. التعويذة! التعويذة روي، فلتقم بها الآن!

أغمضت عينيَّ مرة أخرى بلا رغبة مني ولكني كنت أكافح لفتحهما، وعندما فعلت!

كنت بمكان آخر.. غرفة بيضاء وصوت جهاز طبي بالقرب مني وامرأة تصرخ بـ:

نادي على الطبيب، مؤشراتها الحيوية ترتفع وهي على وشك الاستيقاظ!

أغمضت عينيَّ مرة أخرى وأنا أقول:

أريد أن أعود.. لم أنتهِ بعد، أريد أن أعود!

كلما أغمضت عينيَّ كنت بين الحرب تارة وغرفة بيضاء تارة أخرى، وآخر ما أتذكره من الحرب أن روي استخدم التعويذة لتهتز الأرض وتبرق السماء وأفقد الوعي تمامًا!

***

لا أعرف كم مرَّ من الوقت، لكن لا زلت أسمع صوت الجهاز الطبي بغرفته المتباطئة.. فتحت عينيَّ بشق الأنفس، حاولت أن أعرف بأي مكان أنا؟

تأملت حولي، إنها غرفة.. على وجهي قناع تنفس اصطناعي!

يد تمسك يدي وتشد عليها بقوة، أملت رأسي ببطء.. لقد كانت الجدة!

كانت تبكي وتبتسم بآن واحد، تساءلت إن كانت قد فقدت عقلها أم شيئًا من هذا القبيل.

تركت يدي وذهبت خارجة من الغرفة، وبعد لحظات عادت برفقة الطبيب.

وقف أمامي وهو يتفقد الجهاز والمؤشرات الحيوية، فتح عيني وهو يوجه نحوها قلمًا مضيئًا، قمت بإغماضها بسرعة.

سمعته يخبر جدتي بأني بخير، بينما لا أعرف أين أنا وما الذي يحدث، نظرت لها بتساؤل لتقول ودموعها تنهمر:

لقد نمتِ بغيبوبة مفاجئة لتسع وعشرين ساعة متواصلة!

تسع وعشرين ساعة؟ أنا أعاني من الأرق، لا يتجاوز نومي الساعتين والنصف أو الثلاث! الأرق؟ أرق.. من يعاني أيضًا من الأرق؟

كأني بدأت أتذكر شيئًا ما وقلت بلا وعي:

إيديث.. أين هي؟

رفعت الجدة حاجبها باستغراب وهي تسأل عن هوية إيديث هذه!

أغمي علي مجددًا.

@ART_OF_BOOK

عودة ليست بالحميدة

استيقظت بعد ساعات وقد نزعوا عني قناع الاكسجين والأنابيب التي كانت تربطني، كنت أتناول تفاحًا قامت جدتي بتقطيعه لأجلي.

تذكرت كل ما عشته بتلك الأيام التي كانت مجرد ساعات بعالمي!

سألتها كيف وصلت إلى هنا لتخبرني بأنها وجدتني مغمى علي فوق السرير وأبى الاستيقاظ بتاتًا.

طلبت الإسعاف ليخبروها بأني أصبت بسكتة دماغية مفاجئة، وبقيت هنا لساعات!

لم أتكلم معها، نظرت لما تخبئه خلفها وقلت:

ما ذلك خلفك؟

ابتسمت بعد أن كشفته وأخرجت كتابًا جديدًا بغلاف خشبي وأوراق بيضاء وقالت:

اكتشفت أنك تعانين من حساسية من الورق المقوى الأصفر، لذا قمت بحرق الكتاب القديم وأعدت كتابة القصة ونهايتها أيضًا.

نظرت إليها بصدمة بعدما علمت أنها أحرقت الكتاب القديم، قالت بحزن:

لقد خفت عليك، تذكرت أني قتلت شخصية عفراء، لذا أردت أن أغير النهاية وأتركها حية لأجلك، لقد غيرت الكثير.

نظرت لإيلفين وصرخت بغضب من مكاني وأنا أنحداه:

انظر إلي! أنظر لوجهي! أنا عفراء.. الملكة! نجل إيفروناس التي لم ترضخ لكائن كان بشري أو أسطوري! هل تسمع؟

صرخت بأقصى قوتي:

ما دمت حية فأنت لن تحكم، هل فهمت؟ أنا الملكة!!! وبصراخي صرخ نير بقوة أيضًا ليشتعل جسده أخيرًا بالنيران التي لم تلمسني، واشتعلت بقية طيور العنقاء كاشفة بنورها ما خلف الضباب!

جيش من المحاربين الضخام ومصاصي الدماء الذين كشفوا عن أجنحة تشبه أجنحة الخفافيش، لم أكن قد رأيتها أثناء زيارتي لهم، سرب من السفينيكس الملكي والغريفون الذين أبوا أن ينضموا لنا بوقت سابق ولكنهم هنا الآن، في الأسفل القناطير جميعًا وكلاب السيربيروس، ميدوسا هي وشعبها وقد بدأت بنشر قطيع من الأفاعي ليتفرقوا في الأرض، وخلفها الأقزام وهم يحملون سهامًا بزجاجات تحوي سائلًا أخضر يبدو سامًا، آريا رفقة الملائكة المجنحة الخاصة بها.. إيثان الذي يركض لتتغير بنية جسده أثناء ركضه وقد أصبح وجهه مشعرا وسرعان ما صار يشبه الذئاب، يقف على قدميه وبنيته العلوية تحولت لإنسان ضخم مفتول العضلات، وبدأ هو وأتباعه بالعواء.

نظرت لإيلفين الذي تبدلت ملامح وجهه للغضب، لقد توقع بأني قادمة إليه بقارة كاونتر، لذا أراد أن يقوم بالهجوم أولًا، وصُدِم بهجومي المضاد الذي لم يتوقعه!

الآن.. جيشي ضد جيشك!

ألقيت تعويذة جوية لتُملأ السماء سحابًا ولا تشرق الشمس التي ستضر مصاصي الدماء ليصح لهم القتال بأريحة بدون خوف، تقدم المحاربون الضخام وهم يحملون تلك المطارق الضخمة، بينما شرعت القناطير بإنشاء متاهاتها لعرقلة الساحرات، وبكل طريق قنطور يقود نساء الثعابين والأقزام كي لا يضيعوا، ويغيرون من وقت لآخر تشكيلة المتاهة لإرباك الساحرات.

الغلبة كانت لي بمعركة جوية، فمعي العنقاء، قد تمكن نير من التحرر من قيده وأصبح قادرًا على الاشتعال والغريفون.. السفينيكس، الملائكة المجنحة بأسهمها.

نظرت للأوني بالأسفل، وقد كانت بإشتداد مع كلاب السيربيروس التي أشعلت نيرانًا هي الأخرى محرقة بها كل من تمر بجانبه.

سأشكر بيرل بمجرد عودتي، فقد طلبت منها أن تقوم بمقابلة أكثر وزير يبدو جديرًا بالثقة وتوكله بجمع الصفوف الملكية وطيور العنقاء

ناولتني الكتاب والذي كانت قد أنهته لتفاجئني به عند استيقاظي، لاحظت أني قد ذهبت لآخر الصفحات لأقرأه لتسألني لما لا أقرؤه من البداية.. أنا أعرف ما حدث فأنا من غير مجرى الأحداث، ولكن اكتفيت بإجابتها:

أريد أن أعرف النهاية وحسب.

فتحتها وتجاوزت بعض الأحداث التي أعرفها وعشتها وتوقفت عند السطر الذي استخدم به روي التعويذة وبدأت أقرأ...

"بعد معركة طاحنة بالأسفل والأعلى، دفع إيلفين عفراء لتسقط من قمة الجبل ولكن سحبته من شعره ليسقطا معًا، ولحسن الحظ أن روي وعنقاءه كانا بالقرب ليلتقطها ويسقط إيلفين من ذلك العلو قبل أن يصح لأتباعه التقاطه بسبب انشغالهم بالمعركة.

أصيب برأسه جراء سقوطه على صخرة، ولكنه كان يحارب بإستماتة رافضًا الموت والحقد يعمي أبصاره، رفع يديه بتعب وبدأ يتلو ببطء التعويذة المحرمة وهو يحرك يديه محتضرًا، لاحظت عفراء ذلك لتأمر روي بإلقاء تعويذته المحرمة والمضادة له قبل أن يفعل.

بعد أن قام بتلاوتها اهتزت الأرض لتتوقف المخلوقات بالأسفل عن الحركة وتفقد توازنها.. برقت السماء وأرعدت لتنزل الكائنات المحلقة لعلو أقرب للأرض، وجَّه روي يده ناحية الشياطين والأوني لتشقق

الأرض من أسفلهم وتبتلعهم، انفصلت الأرض مرة أخرى لتنقسم القارة زابورا الكبرى لنصفين وتنهدم متاهات القناطير! كانت هذه التعويذة تقضي على أي مخلوق من المخلوقات الأسطورية، ولكن تتطلب تدريبًا وبنية قوية، سرعان ما توقفت ليسعل روي دمًا قبل أن يدمر القارة بأكملها، أعلنت ميدوسا أن إيلفين قد مات، وقد تمكنت من إرسال أحد ثعابينها السامة ليلدغه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وحينها سيبرد خاطرها بدلًا من جعله يموت ميتة طبيعية، اندثرت الشياطين والأوني وابتلعتهم الأرض مما أرعب الساحرات، وحينها انقضت عليهم طيور العنقاء لتحرقهن وهن حيّات! انتهت الحرب الطاحنة، وقد خسر جود يده، وإيديث عينها اليمنى أثناء اشتباكها مع الشياطين، وفيرا حياتها!

كان لابد من أن يؤول الأمر لهذه النقطة، فقد كانوا جميعًا على استعداد للتضحية بشيء ما، حتى لو كانت أنفسهم! صعدت بياتريس على تلة جبلية صارخة معلنة النصر ليتعالى الهتاف والصياح، لم يصح لعفراء إعلان النصر، فقد كانت فاقدة للوعي ويحملها روي على عنقائه.

عادوا جميعًا للقصر معلنين عودة النظام الملكي لسابق عهده وموت ثلاث مخلوقات من المخلوقات الأحد عشر المنفصلة، وموت إيلفين الذي كان يشكل تهديدًا على عالم إيرفوردن ويلت!

لم يتم الكشف عن الخائن الذي اغتال الملك فيكتور وحاول اغتيال آرثر كي لا توجه الانتقادات لإيديث كونها أخته! واكتفوا بقول أن إلمار فقد أثناء المعركة.

أول ما قاموا به بعد العودة مباشرة هو دفن آرثر بجنازة تليق به، وقد أصبح بطلًا يحتذى به ويتضحيته في سبيل مجد المملكة.

أما عن الأشجار التي كانت ستقطعها بمجرد عودتها، فقد تخلت عن فكرة حطبها وتركتها ذكرى معبرة عن أخيها. أوفت عفراء بوعدها للمحاربين الضخام، وجعلت من قارة ميناري مسكنًا خاصًا بهم وحدهم.

لم يعرف أحد كيف استطاع إيلفين ضم الساحرات والأوني والشياطين لصفه، ذهب جود برفقة طيور العنقاء برحلة استطلاعية لقارة كاونتر حيث كان مسكن إيلفين.. وُجدت مستخلصات المينوتور مكدسة عنده لتأمر الملكة بالتخلص منها، وبنهاية المطاف.. لم تستطع أن تعتذر من فيرا التي فارقت الحياة بأرض المعركة.

***

بعد سنة ونصف، يقف روي وعفراء عند سرير صغير وهما ينظران لطفلهما.. تقول عفراء:

أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن نتركه نائمًا!

روي معارضًا:

أريد أن أتجول برفقته، وأيضًا لست أنا من يريده، بل بيرل!

- نعم، أرى أن بيرل من يريده.

يحاول روي التملص من شكوكها موقظًا طفله:

هيا فلتستيقظ أيها الفتى القبيح!

عفراء بغضب:

لا تقل عن طفلي "قبيح"!

ضحك روي وهو يحاول إرضاءها:

هيا يا آرثر الجميل، فلنذهب إلى بيرل.

"انتهى"

قرأت آخر سطر وقد انهمرت دموعي أمام جدتي لتناولني منديلًا، سألتها لماذا قامت بتغيير المسار وقتلت آرثر؟

لتجيب:

سبق وأخبرتك بأن أسوأ شيء يتعرض له الكاتب هو خروج شخصياته عن سيطرته، آرثر كان قويًا! أقوى مني حتى.. أراد الموت، ولم أستطع منعه.

سألتها، لم قام إلمار بخيانتهم؟ لترد ونظرها بعيد:

الخيانة هي الأمر الوحيد الذي لا مبرر له.

مسحتُ دمعة وحينها لاحظته على ساعدي! إنه وشم المملكة الذي ظهر بتلك الليلة عندما أخبرني إلمار لأول مرة عن إيلفين!

تذكرت شيئًا آخر ورفعت قميصي لأنظر إلى بطني، تلك الندبة موجودة أيضًا!

خبأتها عن جدتي لكي لا تراها وتتهمني بالجنون، شكرتها على الكتاب وأعدته لها، فهي لا تترك كتبها عند أحد.

كل شيء كان حقيقيًا، ليس مجرد حلم وحسب.

الوقت الراهن

أنهيت كتابة مذكرتي وما حدث معي منذ سنتين ونصف من منظوري، هكذا كان الأمر.

إنه كالجرح الذي يرفض أن يشفى، لكنه جرح جميل جدًا لا أريد نسيانه، أغلقت مذكرتي ونهضت نحو سريري القريب من النافذة، وقمت بتشغيل أغنيتي المفضلة بجو كهذا The night we met.

بقيت أراقب الملأ وهم يتحركون، منهم من يعود لبيته الآن، ومنهم من يحرك سيارته ومساحات الزجاج الأمامية للسيارة تمسح المطر ليتسنى له الرؤية.

نظرت لقطرتين من المطر على نافذتي بالقرب من بعضهما راهنت على القطرة اليسرى بأنها ستنزل وتسبق اليمنى، فزت برهاني الخيالي.

نظرت لساعدي حيث وجد ذلك الوشم، أغمضت عينيَّ وأنا أتساءل بداخلي:

أدا، إيديث، بياتريس، بيرل، نير.. هل ستكون هناك مرة أخرى؟

@ART_OF_BOOK

انتهى...